رواد الطب العربي



علي الدجوي

١٩٩٧

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة



رواد الطب العربى

بقلم

على الدجوى

١٩٩٧

مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

• استـــتهلال •

نظرت إلــى الماضى ، مــن نافذة الحــاضــر ، تطلعـا إلى المســتــقــبل ، بـقلب الواعـى الـبــاحث عن الحـقـيــقـة ، وعـقل المدقق المنصــف لجـانب الحق والعـدل ..

على الدجوى



كلمة ... على الطريق

" إن التاريخ كله هو تاريخ الحاضر فنحن لانبغى حقاً من دراسة التاريخ غير التعرف على الإطار الذى نعيش فيه ومعرفة أصوله ، ولا يتسنى لنا معرفة الحاضر وتفسيره مالم ندرك الماضى بالبحث فى حقيقة وجوده .

والواقع أن كل مايتناوله التاريخ بالبحث حاضر موجود ، أما ما مضى وأنقطع وجوده فلا سلطان للتاريخ عليه ، ولا يستطيع المؤرخ فى هذا الميدان أن ينزع إلى الخيال والتصور فى معرفة الصورة للحقيقة للماضى ، فعلى المؤرخ أن يعرف التقاليد والأعراف التى تتدخل فى تلك الصورة ويتأكد من بقاء الحقائق ذخيرة طيبة لبحثه التاريخى ، وقيمتها ليست فى ذاتها ، ولكن فى دلالتها على الماضى ، وقد لاتكشف عن صورة الماضى بشكل مباشر ولكن بما تلقيه من أضواء تنير الطريق أمام المؤرخ " .

المؤرخ الايطالى " بند توكروتش "



الإهداء

ماكان أحقنا اليوم ونحن نأمل تحقيق نهضة تصنيعية خلاقة تغير من وضع الإنسان العربى على أرضه ، كذلك ونحن نستفيد بأثر العلوم الطبيعية والفلكية فى حياتنا ، وفى تحقيق نهضة فى صناعة الطب والدواء ، للوصول إلى أعلى مستوى فى علاج الجنس البشرى بإستخدام الأجهزة التى تتحسس بواطن المرض فى مراحله الأولى وتشخصه بحيث يمكن إيجاد العلاج المناسب له فى تلك المراحل بأعلى مستوى من أجهزة الكمبيوتر والأشعة المقطعية والأشعاعات الذرية والألكترونيات ، والوفرة التى تزداد يوماً بعد يوم فى مجال ثورة المعلومات .

أن نتذكر هؤلاء الرجال العظام الذين أرسوا قواعد العلم من علماء العرب الأوائل ، الذين ضحوا بالحياة فى سبيل أسعاد البشرية، فأستحقوا الخلود على مر العصور .

إلىّ هؤلاء الرواد الأوائل ومن ساروا على دربهم من المحدثين ، أهدى محاولتى تلك للتعرف على جذور الماضى العربى المجيد .

على الدجوى



المحتويات



★ المقــدمة ★

أنها يقينا رحلة شاقة شيقة ، ملحمة فى العلم ، ومكلمة فى الحلم ، مجهدة جاهدة ، جازية ومجذية ، تأمل للمرء وتتأمله ، يجد كل منا نفسه بجدها وجهادها ، قادرة ومقتدرة ، ناذرة ومنذرة ، فكر ونسق منهجى بالحياة ، وللحياة معمار دنيوى ، غايته الأصالة والخلق ، والجدة والإبتكار ، بلورة حقيقية لدموع هؤلاء الفلاسفة ، أم واضعة الفلسفة الحقيقية للدموع ، تستقطب منا ومنهم ، مكنون تلك الشخصيات التى عاشت وعانت لامن أجل نفسها ، ولكن من أجل أن تبقى الحياة شديدة الصدق ، شديدة الموضوعية ، شديدة التجدد ، معجزة رائعة أمام صناع الحياة ، وماذا ترجو أمة من أعلامها وروادها وعلمائها إلا الصدق فى الكلم . والنظر بعين فاحصة متفحصة ، لنمنمات الأمور والأشياء ذاكرة بالحق والخير ، والعلم والخلق والضمير الحقيقة كل الحقيقة ، ذاكرة ومذكرة ، ناكرة نفسها وفضلها ، وغير منكرة حب الإنسان لأخيه الإنسان ، ورغبته الأكيدة فى صياغة وصناعة الحياة ، بعمل علمى ، تحليلى تكاملى ، صنعته عقول خلاقة ، مجيدة ، ومجددة ، بيقين العالم ، وقلب الفيلسوف ، وعين الباحث فى المستقبل ، وتطلع الواعى والمدقق ، لايهمه أن يذرف أنهاراً من الدموع ، أو دموعاً من الأنهار ، فهم قد عاشوا بدموع الفلاسفة وفلسفة الدموع ، فأستحقوا أن يعيشوا للخلود ، كل الخلود على مر العصور . فمهما أتفقنا ، وأختلفنا معهم ، وبهم ، ولهم ، سلباً وأيجاباً . فقد تعلمنا عنهم السماحة وسعة الصدر ، والإيمان بالعقيدة الراسخة ، وحرية الرأى ، أملاً ورجاءاً ، يقيناً وإطمئناناً ، حتى يجد الإنسان - يوماً ما - نفسه فى أروع وأجمل وأدق وأعذب صورة رسمت فى كلمات ، تعالج جوانب تلك العبقرية فى شخصيات هؤلاء الرواد من مختلف الجوانب ، متوقفة متأنية ، فاحصة دارسة ، واصفة محللة ، مقدمة رحلة الإنسان فى صدق وموضوعية ، حتى تجد نفسك من هذا العالم والفيلسوف ، « أنت » « هو » نفسك ، تربطك علاقة المودة

والمحبة ، وتنتهى بك حتماً أن تعى منه الدرس المستفاد ، وتغترف منه القدر الذى تستطيع ، بالقدر الذى تحس ، والقدر الذى تحب ، مؤثراً حنينك للأصالة والأصول المعرفية الحقة فى عصر تتلاحق فيه العلوم والمعلومات بلمح خاطف يبرق للعقول قبل أن يومض للأبصار ، لامكان فيه لجامد أو متوقف ، ولا موقع فيه لخامل أو كسول ، ولاقدم فيه لنائم أو جحود ، فالكل فى عمل ، وعمل دائب ، ينمو فيه من الفرع الأصول ، فيما لو أتبعت فى حياتنا القواعد والسبل والأصول

وكلما أردنا أن نزداد معرفة ، فإن المعرفة بدايتها الحب ، وكم هو رائع وخالد ذلك الحب الذى يبدأ من العلم ، فلقد تعلمنا أنه حتى الإيمان ، أسمى الصفات والقيم ماهو إلا تصديق ، والتصديق إقتناع بمعرفة أو علم جديد ، والإيمان الذى يبدأ بالمعرفة والعلم ويتصاعد إلى حد الإقتناع الواعى ، هو الإيمان القوى المتين الذى لايهتز ولايتزعزع ، وهو أيضاً حب عميق لما نؤمن به ، نستعذب من خلاله التضحية من أجله ، وكم يتمنى المرء أن يكون إيمانه وحبه من هذا النوع الذى يبدأ بالمعرفة والعلم ، كى يكتشف به نفسه ، ويهبها لغيره ، ولغيره ما وهب وما ذهب ، حتى نتعلم دائماً وبإستمرار كيف نحب ، ونزداد حباً ، أملاً فى أن نرسم الطريق الصحيح للعمل الصحيح على الطريق من أجل الإنسان الذى هو غاية وبداية ، لينظر كل منا لفلسفة الحياة مرجعاً ومرشداً ودليلاً ومرآة ، وشموعاً مشرقة على مر الأيام .

لا تطفئوا شمس الحياة ، أن الحياة ثوان ، تتبخر الساعات تأتى من خلفها الأحزان ، الحب غايتنا ، وغاية حبنا ، شموعاً ودموعاً وظلالاً وارفات وجنان ، فماذا حقاً نحن فاعلون ؟ ؟ ! !

وإذا أستطعنا القول أن الموسيقى هى غذاء الروح والنظر وبدقة لنمنمات الأمور فى منظومة الإنسان لمعرفة مكنونه وكيانه واللعب على أوتار الحياة منذ الخلق وحتى توترت به منظومة الحياة فأضحى يأن من التواترية فى حركة الأشياء ... كل الأشياء، متعطشاً بكل جنباته وجوارحه مسترقاً السمع ، مرهفا الحس والوجدان ، مشنفاً بالموسيقى الآذان، مستلهماً الحب والراحة بعد الأحزان .

تنظر للزهور والعشب اليانع تيها بألوانها وجمالها وبهائها ، فترى فيها إشراقة الطبيعة وبدع صنع الله فى الخلق ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، تجد جنات الله مختلفاً ألوانها ، يجذبك لونها وعطرها وشذاها وطيب نسيمها العليل ، فيذهب خيالك إلى ذكريات الماضى والحاضر والتأمل فى المستقبل ، يداعبك أحلام الأيكة والدغل والخضرة والماء والظل الوارف ، وتغريد كروان حالم ، وعصفور آمن ، وبلبل شارد ، فتتذكر ملك الله فأنت جزء من ملكه وخلقه ، فتفيق من هذه الأحلام الجميلة على حقائق يشير إليها العلماء عن فائدة العلاج والتداوى بالأعشاب وضرورة العودة إلى الحياة الطبيعية الخضراء فترى فيها الدواء والشفاء ، بعد طول معاناة من التأثيرات الجانبية للعلاج بالأدوية الكيماوية ، ثم يتحسس الإنسان الخطى باحثاً عن الغذاء لتوفيره بشتى الوسائل الممكنة ، وهو عن هذا الطريق بمرور الوقت قد إكتشف بطريق الصدفة فى المواد الغذائية والنباتات والحيوان مايشبع رغبته فى الحصول على الغذاء والدواء مما يزيد من طاقته ويحافظ على صحته ويشفيه من الأمراض التى قد يصاب بها خلال رحلته فى الحياة ، وعن طريقها عرف القواعد الأساسية لعلم الطب والتطبيب والأقرباذين الدوائى وأكتشف كل يوم - ومازال حتى اليوم - يعرف الداء والمرض ، والدواء بعد العرض ، وهو من خلال التقدم التكنولوجى لمختلف العلوم الطبيعية بجميع فروعها ، بدأ يوجد الوصلة الحضارية والعلمية الإنسانية والعلوم الدنيوية بصفة عامة والعلوم الدينية ، حتى أضحت تلك الحقيقة مؤكدة بشكل قاطع ، بأن الإيمان التجريبى يصل بنا إلى الإيمان اليقينى ، وأن الإيمان اليقينى يصل بنا إلى الإيمان التجريبى ، فالعلم والدين هما صنوان الروح والنفس البشرية الصافية المتوازنة سيكولوجيا وفسيولو جيا وبيولوجيا ، وأن الطريق قريب جداً بين المحسوس وغير المنظور ، فما أكثر أن ترى الأشخاص والأشياء والمناظر والمواد والمخلوقات عامة ، وتشم الزيوت والروائح الطيبة والعطرية ، فتذهب إليها نفوسنا وقلوبنا أو تنفر منها ، فترى فيها ومنها وعليها التأثيرات العجيبة والمغرية سلباً وأيجاباً حتى عدت فى كثير من الأحيان صنفاً ولوناً من ألوان العلاج جنباً إلى جنب مع أشكال وأقسام الطب الأساسى ، فهناك طب « الهيمو ثرابى » أى العلاج بالأعشاب والمواد

الطبيعية ، وطب العلاج بالروائح والزيوت « آروماثرابى» ، والعلاج «بالمثلية»

(هميوباثى) مثل العلاج بالرقائق والمائيات والمغناطيس والكهرباء والأبر الصينية (الفرعونية الأصل) ، والنجوم والأيحاء الذاتى ، والأيحاء الخارجى ، وتوارد الخواطر (التليبباثى) ، والعلاج بالأرواح ، وأستحضار قوة الجن والملائكة ، والعلاج بالحشرات والحيوانات ومنتجاتها ، والعلاج بتاج الشفاء وهو القرآن الكريم ، وتزعم أنك جرم صغير وفيك أنطوى العالم الأكبر .

وفى خضم تلك الأحداث تجد نفسك محب ولهان لجمال الموسيقى والزهور وروعة القبة الزرقاء ، يقظ لمعرفة الطب بركنية الداء والدواء ، متعطش لمعرفة وإيجاد أسلوباً أمثل كسراج تنير به حياتك وحياة أولادك من بعدك ،تستظل فى خلال تلك المراحل قديماً بالأساليب البدائية فى العلم ، وحديثاً بأحدث طرق ووسائل التكنولوجيا الحديثة .

والإنسان فى غمرة صراعه الأبدى فى الحياة ينظر إلى خضرة الشجرة فتريح ناظريه ، ويهوى ظلها الوارف فيجلس إليها يسترجع من الماضى الذكريات ، ويتأمل حاضره ، ويفكر فى مستقبله ، فتعطيه تلك الجلسة المسترخية فى أحضان الطبيعة ضالته التى يسعى إليها من الراحة النفسية هروباً من عناء وشقاء الحياة ذات الوقع السيمفونى المختلف النغمات والطبقات الموسيقية . وهو فى أحلامه قد تهب نسمة ريح جميلة فتسقط بعضاً من أوراق الشجر عليه، وربما ثمرة يانعة طاب قطافها فهو أكلها وهى رزقه الحلال ، وقد تنخر حشرة فى جذع شجرة مثلما ينخر المرض فى جسد الإنسان فينكشف منهما المستور ، وقد يقع حظ الإنسان والشجرة عاسرا فيهويا بعد فقدان الخضرة والصحة والنضارة ، ويعلوهما اليأس والأصفرار مالم يكتب لهما الخالق جل وعلا البراء مما أصابهما من الداء ، فيتأمل الإنسان فى بدع صنع الله سبحانه وتعالى ، ويتدبر فى منظومة الموسيقى والطب والعشب والحياة .

تعالى الله ، أبدع الكون ، وزينه ، شفاءاً ، وبهاءاً ، متعة للناظرين ، وغذاءاً للناس ، فسبحان من يبدأ الخلق ثم يعيده فتبارك الله أحسن الخالقين . دعا الفكر العربى إلى تطوير وتنوير الأذهان والحفز والتبصر فى الخلق والكون ،

وفى قدرة الله خالق كل شىء ، فأهتم العرب إلى النظر فى شتى المعارف والعلوم ، والبحث والتحقيق ، والإبتكار والكشف عن أسرار الحياة .

فتقدموا فى علم الكيمياء ، وشرحوا الأسس التى تجهز بها الأدوية والعقاقير الكيمياوية والغذائية والحيوانية والعشبية الكفيلة بشفاء الأمراض وإطالة العمر بالبحث عن أكسير الحياة والخلود ، مما كان شائعاً فى مؤلفات الإغريق فى هذا العصر ، وهذا الأمر مع عدم صحته أدى إلى فتح الطريق على مصراعيه أمام علوم الكيمياء والطب والصيدلة والعلوم الطبيعية الأخرى ، والكشف عن حقائق علمية بالغة الأهمية للجنس البشرى .

فقد تمكن العرب بإستعمال عقاقير وأدوية كثيرة كالراوند والكافور والكحول والقرنفل والمر والعنبر وغيرها من شفاء كثير من الأمراض .

عرف العرب البنج الذى يستخدم فى العمليات الجراحية الطبية ، وعرفوا طبيعة كثير من الأمراض كالجدرى والحصبة ، وإستعملوا الأمصال فى معالجة بعض الأمراض ، ووصفوا تشريح الجسم الإنسانى وصفاً دقيقاً ، وتمكنوا من علاج الجذام والطاعون .

سجل « ابن البيطار » ألفا وأربعمائة عقاراً لم يعرف اليونان منها غير أربعمائة عقار ، والألف أكتشفها العرب وحددوا منافعها ومضارها . وقد نقل العرب أكثر من ثلاثة آلاف كتاب فى الطب من اللاتينية إلى اللغة العربية.

ألف « أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى » الأندلسى كتاباً فى الطب والجراحة ذو أثر جليل فى هذا المضمار .

وكان أطباء العرب والمسلمين هم أول من أكتشف العلاج بالإيحاء النفسى، والعلاج بالموسيقى ، والتجديد والإبتكار فى العلاج بالأعشاب والنباتات . وهم أول من كشف النقاب عن الدورة الدموية ، ودودة الأنكلستوما ، ولم تعرف جامعة « لوفان » حتى القرن السابع عشر مرجعاً للطب والعقاقير أوفى من كتب « الرازى » ، « وابن سينا » ، « وابن الهيثم » .

وقد صحح الأطباء العرب أراء « أبقراط » « وجالينوس » فى التشريح

ووظائف الأعضاء ، وطب العيون ، وطب الأطفال . وأطباء العرب هم أول من فتت الحصى فى المثانة ، وسدوا الشرايين النازفة ، وأستحدثوا طرقاً جديدة فى علم الجراحة .

لقد وضع العرب دستوراً مستقلاً للطب العربى ، ومنهاجاً يبين دقة الملاحظات السريرية والآراء الطبية والفلسفة الواقعية للعلاج وأستحداث الأدوية والعلاجات اللازمة لتحقيق الشفاء من الأمراض .

لقد كان العرب هم أول من كتبوا عن تلوث البيئة منذ أكثر من ٥ عام مضت وحللوا ذلك تحليلاً علمياً دقيقاً .

ومن منا يستطيع نسيان ذكر رواد النبات والصيدلة والعلاج الطبى العرب « ابن البيطار » « والدينورى » ، « وداود الأنطاكى » وتذكرته المشهورة «وكوهين العطار » ، « وابن العوام » وغيرهم الكثير والكثير

لقد كان هؤلاء العلماء موسوعى النظرة والعلم بشقية النظرى والتطبيقى . بل الأكثر من ذلك كانوا أصحاب مدارس علمية أكاديمية وضعوا الأساس القويم للحضارة العربية والعالمية .

وبعد تلك كلمات لعلماء أجلاء رحلوا عن عالمنا ، ولكن بقيت كلماتهم تضىء لنا الطريق الحق فى زمن أضحت فيه كلمة الحق ضرورة حتمية ، عسى أن نتلمس بها الطريق ، ونقتدى بها ، لنعرف كيف نجد المعرفة ومفتاحها القراءة وكيف نتعلم العلم ومفتاحه التلقى والبحث ، كى نعى العبرة والعظة ومفتاحها الدرس المستفاد والطريق القويم .

وفى يقينى بأن المكتبة ينبوع العرفان .

والله يهدى إلى الرشد وصراطه المستقيم ، أنه نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

علي الدجوي

★ الحارث بن كلدة الثقفى ★

★ الطب العربى فى الجاهلية .

★ دستور الطب العربى .

★ الحارث بن كلدة فى رحاب الإسلام .





الحارث بن كلدة الثقفى

كان فضل العرب على الطب وفنونه عظيما ، فقد درسوا قديمه وحديثه ، وأبتدعوا نظريات جديدة ، وأحدثوا أساليب مبتكرة فى العلاج ، ومن ذلك أنهم عملوا على فصل الجراحة عن الطب وجعلوها قسماً قائماً بذاته ، وأنشئوا المستشفيات لمعالجة المرضى ، ووضعوا اللوائح والتعليمات الخاصة التى تنظم صناعة الطب والصيدلة ، وتحدد الشروط التى يجب أن تتوافر فيمن يمارس صناعة الطب ، ثم أضافوا إلى المعارف اليونانية فى الطب شيئاً كثيراً من إبتكاراتهم ، وجاء فى كتاب « تراث الإسلام » أن العرب زادوا على الطب اليونانى كثيراً ، وكانت زياداتهم مبنية على التجربة ، وفى هذا القول رداً على المزاعم الباطلة التى تقول « أن الطب العربى كان يقوم على الطرق الغيبية فهو طب روحانى لايتصل بالعلم والتجربة ، ولو كان كذلك لما كانت كتبه المراجع الأولى ، التى أعتمدت عليها الجامعات الطبية فى أوروبا إلى القرن السابع عشر ، ومن هذه المراجع التى أكتسبت شهرة واسعة فى دنيا الطب « القانون » « لابن سينا » و « الحاوى » « لأبى بكر الرازى » ، «والتصديق لمن عجز عن التأليف » « للزهراوى » ، وهذه الجامعات تحتفظ بصورة رائعة لأعلام الطب العربى ، ومكتباتها تقتنى المخطوطات العربية الطبية .

ويبدو إهتمام العرب شديداً بالأشتغال بالطب ، وآية ذلك أن مدينة بغداد فى زمن المقتدر بالله العباسى قد حفلت بعدد كبير من الأطباء ، وقد بلغ فى إحد السنوات عدد الأطباء الذين تقدموا بطلباتهم لكى تمنحهم حكومة الخلافة الحق فى مزاولة تطبيب الناس ٨٦٠ طبيباً فى مدينة بغداد وحدها ، ومما يدعو إلى العجب أن صناعة الطب عند العرب لم تكن مقصورة على الرجال وحدهم ، فقد شارك النساء فى الإشتغال بالطب ، وكن منهن من مارسن هذه الصناعة إلى

جانب الرجال ، وإشتهرت من طبيبات العرب بالأندلس « أخت الحفيد بن زهر الأندلسى » وأبنتها ، فقد عرفتا بالنبوغ فى الطب ومعالجة أمراض النساء ولأسرة « ابن زهر » الأندلسية مكان مرموق فى عالم الطب رجالاً ونساء .

وإذا رجعنا إلى أعماق التاريخ حيث كان يعيش قدماء المصريين ، علمنا أن « هيرودوت » اليونانى قد زار مصر فى تلك العصور ، وأطلع على أصول الحضارة المصرية عيانا ومشاهدة وقد سره مارآه من مهارة أطباء مصر القديمة ومالهم من قدرة عجيبة على مزاولة أنواع شتى من الأمراض ، ومما يروى أن «كورش» الأكبر ملك القدس أرسل إلى مصر فى طلب طبيب من أطباء العيون، فلبى المصريون طلبه وأرسلوا إليه الطبيب الذى يطلبه ، ولما بدأ يعالج المرضى بعيونهم كان موضع دهشة الفارسيين جميعاً ، ومن بعد « كورش » كان «دارا» ملك القدس أيضاً يبدى أعجابه الشديد بأطباء مصر ، ويعتمد عليهم فى تطبيب نفسه وأسرته وكان الطبيب (أمحوتب) أعظم أطباء مصر وآله الحكمة عند القدماء - قد ملأت شهرته العالم القديم ، ومن المؤكد أن الإغريق نقلوا عن المصريين كثيراً من وسائل العلاج وأنواع العقاقير وآلات الجراحة ، وكان الكلدانيون وهم من صميم العرب ، يمارسون ألواناً من الطب ، يختلط فيها السحر بالشعوذة بالعلاج المبنى على التجربة فنقل عنهم اليونان جميع معارفهم الطبية ، ثم تدور عجلة الزمان بسرعة وينتقل مركز الحضارة إلى الأسكندرية ، ثم إلى المراكز العلمية التى أنشأها السريان فى بلاد الشام ، وفى جامعة الأسكندرية ومدارس الشام - درس المصريون والعرب والسريان المعارف الطبية اليونانية التى ترجع إلى أصول مصرية قديمة وكلدانية وقد كان ذلك قبل ظهور الإسلام ، وفى أثناء هذه الفترة كان الفارسيون يستعينون بأطباء السريان الذين كانوا يقومون بالتعليم فى مدارس الرها ونصيبين ، وأنطاكية ، وكان « كسرى أنوشروان » محبا للعلماء ، فأخذ يعمل على قيام حضارة علمية فى بلاده ، فأنشأ مدينة « جند يسابور » وبنى فيها (بيمارستانا) ومدرسة طبية ، فكانت هذه المدرسة ذات شهرة عظيمة ، وعن طريقها تسربت المعلومات الطبية إلى العرب ، وكان « الحارث بن كلدة » الطبيب العربى المشهور أحد المتخرجين فى معهد (جند يسابور) .

الطب العربى فى الجاهلية

كان العرب فى الجاهلية يلمون بكثير من المعارف الطبية التى كانت مزيجاً من الطب والكهانة ، والعلاج بالوسائل الأولية ، فكان العرافون هم الأطباء والمرشدون الذين يؤخذ رأيهم فى حل المشكلات ، وكان لكل قبيلة عراف يرجع إليه أفراد القبيلة فيما يصيبهم من أمراض وعلل ، ومن أحداث مختلفة ، وكان الجاهليون ينزلون العراف منزلة الكاهن من حيث الأحترام والتقدير ، فالعراف يعالج أمراضهم بوسائله الخاصة ، كما يخبرهم بالغيب على حد زعمهم ، وإن كان يبدو أقل درجة من الكاهن ، ومن العرافين الذين نالوا شهرة كبيرة في الجاهلية « رباح بن عجلة » وكان يقيم باليمامة ، و« الأبلق السعدى » وهو من أهل نجد ، وكان العرافون يشعرون بأنهم لا يملكون للمريض شيئا ، فما به من داء ، وما يصيبه من شفاء ، ليس مما في طاقتهم فهم لا يستطيعون أن يدفعوا مرضا ، ولا أن يجلبوا شفاء ، إن ذلك كله بأمر الله تعالي . كانت العادة عندما يعرض المريض علي العراف أن يأخذ فى معالجتة بأنواع من الرقى والتعاويذ والبخور وأحيانا يعطي المريض بعض الأدوية ، غير أنه أثناء ذلك كان يقوم بشيء من العزائم كما يكتب التمائم ، ويطلب من المريض أن يحملها ، إذ كان الإعتقاد المسيطر على أغلب الأذهان وقتئذٍ ، هو أن الأمراض ترجع إلى أسباب روحانية ، لا إلى أسباب عضوية فى الجسم نفسه ، وكان إلى جانب هؤلاء العرافين صنف آخر من الأطباء يزاولون العلاج بالكي ، والبتر ، والفصد(قطع العرق أو شقه)ٔ ، والحجامة (المداوة بكاسات مفرغة من الهواء توضع على الجلد فيحدث تهيجاً ويجذب الدم بقوة) ، والحمية ، وبعض العقاقير والأعشاب الطبية التى ينبت بعضها فى بلاد العرب ، ويجلب بعضها من الهند والصين .

ومن هذا يتضح أن الطب فى الجاهلية كان يزاوله نوع آخر من الأطباء وهم الأطباء التجريبيون الذين يرفضون الإعتماد على التأثير فى المرضى بأسماء الجن والشياطين ، وإن كانوا يعالجونهم بالوسائل العلمية والأعشاب الطبية ، وقد كان هذا النوع من الأطباء يخالطون أفراد القبائل فى الصحراء أثناء رعى الماشية وتتبع مساقط الغيث ومنابت الكلأ والعشب ، وكانوا أثناء ذلك يراقبون مايحدث من حمل وولادة ونمو بالنسبة للأنسان والحيوان ، ثم دعتهم الحاجة إلى

تشريح أجزاء الحيوانات فعرفوا أعضاء الجسم ومكان كل عضو ووظيفته وماله من أثر فى صحة الحيوان وبنيته . وقد كانت هذه المعرفة تقترب فى أغلب الظن من الآراء الطبية الصحيحة ، ولهذا نستطيع أن نقول أنه كان بين أطباء العرب فى الجاهلية من يمارسون الطب المبنى على التجارب العملية وأنواع الجراحات ، وكان هؤلاء الأطباء يصيبون فى أكثر الأحيان فى تشخيص العلل ووصف العلاج، ومنهم « ابن حذيم التيمس » ولشهرته فى الطب ضرب به المثل فقيل : « أطب من ابن حذيم » ، ومنهم أيضاً « الحارث بن كلدة الثقفى » وأصله من الطائف ، وقد تعلم الطب فى معهد (جند يسابور) بفارس ، ثم أخذ يمارس هذه الصناعة ببلاد العرب .

دستور الطب العربى

يروى أن « كسرى أنو شروان » كان معجباً به وقد أستدعاه يوماً إلى مجلسه ثم قامت بينهما محاورة مشهورة ، يمكن أن توصف بأنها « أول دستور طبى عربى » جليل الشأن ، ومما جاء فى هذه المحاورة مايلى :

* قال كسرى يسأل الطبيب العربى الحارث بن كلدة : ماالداء الدوى ؟
* فقال الحارث بن كلدة : أدخال الطعام على الطعام هو الذى يفنى البرية ويهلك السباع فى جوف البرية .
* قال كسرى : فما الحمرة التى تصطلم منها الأدواء ؟
* قال الحارث بن كلدة : هى التخمة أن بقيت الجوف قتلت ، وأن تحللت أسقمت
* قال كسرى : صدقت .
* ثم قال : فما تقول فى الدواء ؟
* قال الحارث بن كلدة : مالزمتك الصحة فاجتنبه ، يريد (أجتنب الدواء مادام الجسم صحيحاً) ، فإن هاج داء فأحسم بما يردعه قبل أستحكامه، فإن البدن بمنزلة الأرض أن أصلحتها عمرت ، وأن تركتها خربت .

* قال كسرى : فأى اللحوم أفضل ؟
* فقال الحارث بن كلدة : الضأن الفتى ، والقديد المالح مهلك للآكل .
* قال كسرى : فما تقول فى الفواكه ؟
* قال الحارث بن كلدة : كلها فى أقبالها وحين أوانها ، وأتركها إذا دبرت وولت وأنقضى زمانها ، وأفضل الفواكه الأترج (الحماض) ، والرمان، وأفضل الرياحين الورد ، البنفسج ، وأفضل البقول الهندباء ، وأفضل الخضر الخس .
* قال كسرى : فما تقول فى شرب الماء ؟
* قال الحارث بن كلدة : هو حياة البدن ، وبه قوامه ينفع ماشرب منه بقدر الحاجة ، وشربه بعد النوم ضرر .
* قال كسرى : فما طعمه ؟
* قال الحارث بن كلدة : لايتوهم له طعم ، إلا أنه مشتق من الحياة .
* قال كسرى : فما لونه ؟
* قال الحارث بن كلدة : أشتبه على الأبصار لأنه يمكن كل شىء يكون فيه.
* قال كسرى : أفتأمر بالحقنة ؟
* قال الحارث : نعم قرأت فى كتب الحكماء أن الحقنة تنقى الجوف وتكسّح الأدواء عنه ، والعجيب لمن أحتقن كيف يهرم ؟ أو يعدم الولد!، وأن الجهل كل الجهل من أكل ماقد عرف مضرته مؤثراً شهوته على راحة بدنه .
* قال كسرى : فما الحمية ؟
* قال الحارث : الإقتصاد فى كل شىء ، فأن الآكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها .
* قال كسرى : لله درك من أعرابى لقد أعطيت علماً وخصصت فطنه وفهما - ثم أحسن صلته وأمر بتدوين جميع مانطق به . وليس فى هذه

المحاورة مايدعو إلى الشك من حيث أشارتها إلى بعض الآراء الطبية التى يتوهم بعض الباحثين أنها سابقة لعصره وبيئته ، « فالحارث بن كلدة » تعلم فى جند يسابور ، والمعروف أن المعهد الطبى بها أنتهت إليه جميع المعارف الطبية اليونانية .

وقد توفى الحارث سنة ١٣ هجرية .

الحارث بن كلدة فى رحاب الإسلام

ماكادت شمس الإسلام تشرق وضاءة ناصعة البياض تملأ الدنيا نوراً وتهدى العالم الحائر المضطرب إلى الطريق السوى ، طريق الهداية والسعادة والأمن والسلام حتى قضى على الكهانة والسحر والعرافة ، فحل الطب الطبيعى محلها ، وكان الرسول صلوات الله عليه يعلم أن العرب كانوا يعتمدون على العرافين فى معالجتهم فأراد أن تقوم طائفة أخرى لكى تحل محل العرافين ، فتمارس الطب بأسم الدين ، لذلك نصح الرسول صلى الله عليه وسلم (سعد بن أبى وقاص) وكان قد عاده أثناء مرضه بمكه بأن يستشير الأطباء ، ويدوى أن الرسول قال : أدعوا له الحارث بن كلدة فأنه رجل يتطيب ، ويروى أيضاً أنه قال للحارث : عالج سعدا مما به فلما زار الحارث سعد وعرف مايشكو منه قال : أتخذوا له فريقة بشىء من تمر وحلبة يطبخان ، ثم تحسى سعد هذا الدواء فبرىء. وكان الحارث إذ ذاك على غير دين الإسلام ، وفيما أمر به الرسول أشارة صريحة إلى أن الطبيعى أمر لايتعارض مع الدين ، وأنه يجوز للمسلم أن يستشير طبيباً وثنياً أو نصرانياً ، كما حدث بالنسبة لسعد والحارث بن كلدة الثقفى ويؤيد ما أمر به رسول الله (ماجاء فى الكتاب الكريم « ولقد آيتنا لقمان الحكمة أن أشكر لله » ، وقد فسر الثقات من السلف المراد من الحكمة فى الآية الكريمة فقال : أنها تشتمل على سائر ضروب الحكمة ، ومن بينها (التطبيب) فجعل الإسلام الطب نعمة من النعم التى ينبغى على من أتمها الله عليه أن يشكر الله عليها ، وهذا يؤكد أن فى ذلك تمجيد لشأن الطب وأشادة بما له من فضل على الإنسان ، وقد كان تقدير الإسلام للطب وأعترافه بفضل الأطباء الذين يعالجون المرضى علاجاً طبيعياً ، سبباً فى إقبال عدد كبير من

المسيحيين على الإشتغال بالطب فى ظل الإسلام ، الذى كرم الأطباء من كل جنس . ويذكر الرواة أن النبى صلوات الله عليه كان يحث المسلمين إذا أصابتهم بعض العلل والأسقام على زيارة « الحارث بن كلدة » وأستشارته ، لكى يصف لها مايبرىء أسقامهم بإذن الله تعالى ، وفى هذه الرواية دليل على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يترك للمسلمين حرية العمل فيما يتصل بشئون الحياة، ولكن بشرط ألا يتعارض ذلك مع تعاليم الدين ، و« للحارث بن كلدة » بعض الوصايا الطبية التى تدل على خبرته الواسعة بشئون الطب والعلاج فهو الذى يقول : « من سره البقاء - ولابقاء - فليباكر الغداة ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء » .

ويقول : « دافع بالدواء ماوجدت مدفعاً ولاتشربه إلا من ضرورة ، فأنه لايصح شيئاً إلا أفسد مثله » ، وقال : « أربعة أشياء تهدم البدن : الغشيان على البطنة ، ودخول الحمام على الإمتلاء ، وأكل القديد، ومجامعة العجوز » .

ويقال : أن « معاوية بن أبى سفيان » سأله يوماً ما الطب ياحارث ؟

فقال له : الأزم يعنى (الجوع) ، وإذا تأملنا قوله هذا ثم وصاياه السابقة مع كسرى أتضح لنا أن منهج الحارث فى العلاج والطب يتفق مع الدستور الطبى العظيم الذى وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان « الحارث بن كلدة » ينهى عن الإستحمام بعد الطعام ، ويوصى بالتخفيف من الدين والهموم ، وكان للعرب فى تلك الأيام طريقة فريدة فى التطبيب والعلاج ، ذلك أنه إذا أستعصى عليهم معالجة مريض خرجوا به إلى مكان يشرف على طرق القوافل التجارية كى يراه المسافرون من تجار وغيرهم ، فإذا كان أحدهم قد مرض بمثل مرضه وشفى منه ، أمكن أن يصف له الدواء الذى كان سبباً فى برئه وشفائه . ومن القواعد الطبية التى أشتهر بها الجاهليون قولهم « آخر الدواء الكى » .

رحم الله « الحارث بن كلدة الثقفى » فقد ترك من العلم ماينفع ، ومن الصنعة مايشفع ، ومن الرحمة والخير ما يجمع عليه القدامى وأوائل المحدثين فى مهنة الطب والتداوى .


★ ابن سينا ★



* ابن سـينا *

*** نشأة ابن سينا :** (مولده - إستقراره - موته - ومضات على الطريق - وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) .

*** رسالة ابن سينا :** - (مؤلفاته) .

*** رسالته فى الكيمياء .**

*** نظرياته وتجاربه فى الكيمياء : -**

١) تكوين المعادن طبيعيا .

٢) السلسلة الكيميائية .

٣) تكوين الزئبق .

٤) تحويل المعادن .

٥) تركيب المعادن .

٦) شرب الكحول .

٧) تغليف الحبوب .

*** رسالته فى الطب .**

*** أبحاثه فى الطب : -**

١) التشريح .

٢) حماية الجهاز الهضمى .

٣) حماية الجهاز التنفسى .

٤) شرب الماء .

*** الأدوية التى كان ينصح بها : -**

(السبانخ - الملوخية - البطيخ والشمام - البصل - العسل)

* إستعمال الخل فى العلاج - العلاج النباتى - طب الأسنان عند ابن سينا .

* رسالته فى الموسيقى .

* رسالته فى الرياضيات .

* رسالته فى علم الفلك .

* تقسيم العلوم .

* رسالته فى الفلسفة :

(تحديد الإتجاه - فلسفة الواقع - ينبوع الأمل) .

* رسالة ابن سينا فى المنطق (نظرية البرهان) .

* رسالته فيما بعد الطبيعة : -

١) الله نور السموات والأرض .

٢) فى محيط النفس .

٣) نظرية المعرفة .

٤) جوهرية النفس .

* رسالته فى التصوف : -

١) الأخلاق .

٢) الفضائل .

٣) التنسك .

* منهج ابن سينا .

ابن سينا

نجح عالمنا الشيخ الرئيس « أبو على الحسين بن عبدالله بن الحسن بن على ابن سينا الحكيم » فى تحقيق نصر جديد للعلم ، حتى تفوق فى علوم شتى فى الطب ، والكيمياء ، والموسيقى ، والمنطق والفلسفة والطبيعيات ، صار خلالها خادماً للعلم ، ونبراساً للمتعلمين .

فبنظرة منا لمؤلفات « ابن سينا » ندرك قيمة الرجل ، وعمق نظرتة العلمية ، ومنهاجه الفلسفى ، ومنطقيته الرياضية فى البحث والدرس .

وعلى سبيل المثال ، كتاب « شفاء النفس » جاء موسوعة علمية ضخمة فى ثمانية عشر مجلداً فى العلوم الرياضية والطبيعية والدينية ، فضلاً عن الإقتصاد والسياسة والموسيقى . لقد جعل « ابن سينا » من مواهبه أداة مرنة لخدمة تلاميذه ، وكرس جهوده فى سبيل تسخير العلم لخدمة البشرية ، فأخرج لهم من المؤلفات والرسائل ماجعله ينبوعاً من العلم والفضل ، وترجم معظمها إلى اللغات الأوروبية ، فكانت مؤلفاته رائداً لكل طالب علم ، حتى أن العالم الإنجليزى « روجر بيكون » قرأ مؤلفات « ابن سينا » وتتلمذ على منهاجه فى البحث والدرس

وقال عنه أحد الفلاسفة مشيداً بمكانته العلمية المرموقة ، عند ذكر حديثه عن حجر الفلاسفة :

« ما هذا الحجر إلا مرآة ترى فيها أقسام العقل الثلاثة ، فمن ملكها أصبح عاقلاً مثل أرسطو ، وابن سينا ، وجابر بن حيان » .

فلقد جعله هذا الفيلسوف فى صف « أرسطو » الفيلسوف الإغريقى .

لقد كان شعار عالمنا « ابن سينا » البحث عن الحقيقة ، وأعلاتها جلية

واضحة حتى لو أقتضى الأمر مخالفة من تلقى على يديهم العلم ، إيماناً منه بعقيدته بشرط أن يكون الباحث صادقاً ، فقد حاول أن يزيل عن عقول الناس وحتى العلماء ، غشاوة إستحالة المعادن إلى ذهب ، فى عصر أرتفعت فيه تلك الفكرة إلى مستوى الإيمان الراسخ فى العقول ، فقد تحدى أستاذه « الفارابى » و « جابر بن حيان » وكثيراً من معاصريه حتى ظلمه معاصروه ، وقسى عليه بعض المؤرخون ، حتى وصفه « ابن خلدون » ، « بأنه لايعترف بعلم الكيمياء لأنه من عليه الناس وأثر يائهم » وتلك تهمة عالمنا « ابن سينا » منها براء .

ومع ذلك فقد شهد له المنصفون بالفضل على العلم والعلماء من ذلك قول الأستاذ « مانك » : -

« إن إبن سينا كان أحد العباقرة الذين هم فوق المستوى العادى ، وأحد الكتاب المفرطى الخصوبة ، فأنه فى وسط وظائفه العامة وأسفاره العديدة ، وفى حياته المليئة بالعواصف السياسية والمائجة بالأهواء والرغبات ، فقد وجد من الوقت مايسمح له بتأليف عدد من المؤلفات الهائلة التى يكفى واحد منها لأن يضمن له مكاناً فى الصف الأول بين المفكرين » .

نشــأة " ابن ســينا "

مولــده :

إذا كانت العبقرية ضريبة مفروضة يدفعها العبقرى من كيانه ، أو من أفراد أسرته الذين يحيطون به ثمناً لعبقريته . فإذا آمنا بتلك القاعدة ، فإننا نجد « ابن سينا » مثالا واضحا يدل على صحة ذلك .

فقد كان والده « الحسين بن عبدالله بن الحسن بن على بن سينا » يعيش فى مدينة « بلخ » وكان يقوم بتحضير العقاقير والأدوية ، فلما لم تطب له الحياة فيها ، إنتقل إلى مدينة « بخارى » وتولى فيها أحد المناصب الكبرى عند الخليفة « نوح بن منصور » تزوج خلال إقامته بقرية « خرمتين » من سيدة فاضلة من قرية « أفشنه » القريبة من قريته حيث ولد فيها « ابن سينا » سنة (٩٨٠م - ٣٧٠ هـ) ولما شب عمل والده على تثقيفه وتعليمه . ، وهو يعرف

عند الأوربيين بأسم (Avcena) ولم يدم الحال على ذلك طويلاً ، فقد توفى والده وهو فى سن الثانية والعشرين ، وبوفاة والده تغير مجرى حياته تماماً ، إذ تحول إلى الإنخراط فى السياسة ، إذا لجأته الضرورة كما يردد ذلك فى كتاباته.

ولكن مالذى دفعه إلى هذا الطريق بالذات ؟ ... ماسر ذلك الرجل ؟ ... هذا مما سأجيب عنه بعد .

وقد عينه سلطان مدينة « بخارى » فى منصب من مناصب الدولة ، ولكن لم يلبث أن تركه ، وسافر إلى مدينة « كاركانج » أو « كوركانج » حيث عين قاضياً فيها ، ولم يستقر الأمر به كثيراً إذ رحل إلى « جرجان » ومنها إلى مدينة « همذان » وفيها أستقبله شمس الدولة إستقبالاً عظيماً ثم عينه قائداً لجيشه ، ولم يستقر الأمر به كذلك ، فرحل إلى مدينة « أصفهان » وأستقر به العيش عند « علاء الدولة » أمير أصفهان .

إســــــتقراره :

عندما قدم « ابن سينا » إلى جرجان تعرف فيها بالجورجانى [وفى بعض المراجع « الجوزجانى »] الذى أعجب به فتتلمذ عليه ، ثم أستقر فى مدينة

« همذان » فلما مرض « شمس الدولة » عالجه ابن سينا فبرأ على يديه من مرضه ، فعينه قائداً لجيشه ، ثم بعثه إلى إحدى حملاته التى قام بها إذ ذاك ، فانهزم جيشه شر هزيمة ، وبالرغم من ذلك لم يغضب عليه السلطان ، بل عينه وزيراً ، ولكن الجيش لم يلبث أن تألب عليه وألقى به فى غيابه السجن وطلب إلى السلطان قتله فى الحال ، فرفض وإكتفى بأنه يعزله ولكن المريض عاود شمس الدولة فعالجه ابن سينا فشفى ، فأعاده إلى منصب الوزارة مرة ثانية ولم يدم الحال كثيراً ، إذ توفى السلطان فعرض ابنه عليه أن يبقى فى منصبه فرفض، ثم أختفى فى منزل صديق له حوالى أربعين يوماً ، أرسل إلى « علاء الدولة » أمير أصفهان رسالة يعرض عليه حمايته والإلتجاء إليه ، ولكن تلك الرسالة بلغت أمير همذان فغضب عليه ، وأرسل فى القبض عليه الرسل ، فمكث فى السجن أربعة أشهر ، ولكن علاء الدولة وجه حمله إلى همذان

فهزمها ، وعلى أثر ذلك خرج ابن سينا من سجنه ثم ارتحل بعد ذلك إلى أصفهان فبقى تحت حماية سلطانها حتى أخر حياته ، وكانت هذه الفترة التى قضاها فى أصفهان أجمل سنى حياته بصفة عامة ، وأخصب فترة لإنتاجه العلمى بصفة خاصة ، إذ وجد فيها إستقراره الحقيقى ، فقد كان يدافع الملك نهاراً ، ويطالع الكتب ويؤلف ليلاً ، وكان السلطان يرافقه فى كثير من الليالى ، بل كان يرأس حلقات دروسه العلمية فى كل يوم جمعة .

مــــوته : —

أذا بلغت السعادة أوجها ، فقد دنت النهاية ، لأن تلك فلسفة الحياه ومنطق الموت ، فلما بلغ ابن سينا من العمر الثالثة والخمسين سنة ، مرض بمغص معوى ، فأحضر طبيباً ووصف له كيفية العلاج وأمره أن يركب الدواء من مقادير عينها له ، ولكن الطبيب أخطأ فوضع من أحدى المواد خمسة مقادير بدل أثنين ، وقيل أن الطبيب لم يخطىء ، وقيل أن أحد خدم « ابن سينا » دس عامداً فى هذا الدواء مقداراً من الأفيون ، لأنه كان قد أقترف قبل ذلك جريمة فتوعده سيده بعقاب شديد ، فدس هذا الأفيون فى الدواء ، لعلمه أن ابن سينا مريض بالأمعاء ، ولاشىء أخطر عليها من الأفيون .

وعلى أى حال فقد توفى « ابن سينا » بعد تعاطيه هذا الدواء ، وبعد أن أعتق عبيده ، وتصدق بمال كثير ، واستغفر ربه من كل ما فرط منه ، وتوضأ كى يزيل بالماء غشاوه الدنيا عن مقلتيه ، ثم صلى متوجهاً إلى الله سبحانه وتعالى ، ثم أسلم الروح إلى بارئها وهو يقول هذه الكلمة الخالدة : « إن ربان الجسم قد عجز عن قيادته » . وقد توفى سنة ٤٢٨ هـ .

ومضات على الطريق :

إن وراء هذا الرجل شيئاً كبيراً ينبع من قلبه ، وهو الذى دفعه إلى عدم الإستقرار فى مكان معين ، وكذلك زج به إلى الإنخراط فى سلك السياسة وهو فى طليعة شبابه .

ولكن ماهو سر هذا الرجل ؟ ! .....

من المعروف إن حيوية الشباب تأبى الضيم ، وكبرياء الشباب يأبى الإستعباد والذل ، فحماسة الشاب وفورته تخططان له مستقبله ، فهو لايرضى أن يستغل ويتعالى عليه فى سبيل المهانة مهما بلغ الثمن ، والشاب الحر الأبى لايرضى أن يكون دمية يستخدمها غيره ، ولو كان ثمن أبائه حياته .

فعلى قدر إباء الشباب يتوقف مصير الأمم ، لأن الإباء مبدأ هام فى الحياة ، ومن مجموعة تلك المبادىء تنشأ العقيدة وذو العقيدة جاد جاد فى الدفاع عن عقيدته مهما كلفه ذلك ، يزود عنها حتى يحققها أو ينفق دونها .

وعلى قوة العقيدة يتوقف عظمة الرجال ، ومجد أممهم .

هذا من جهه ، ومن جهه أخرى ... أرى أن السياسة فى أيام الدولة العباسية كانت تسير على وتيرة واحدة هى « النفاق من أجل المنصب » فلكى يحافظ صاحب المنصب على منصبه لابد أن يجارى الخليفه أو حاكم المنطقة فى لهوه ومرحه ورأيه حتى لو كان خطأ - ويرضى بالذل والمهانه فى خدمته ، فى سبيل الأحتفاظ بالمنصب .

والضرورة التى يكررها ابن سينا التى ألجأته إلى الإنخراط فى سلك السياسة ، هى بمثابة وراثته لمنصب والده عند السلطان ، وفى يقينى أن العامل الذى دفعه إلى ذلك ذى شقين هما : -

١- أنه بموت والده أراد أن يحل محله فى مكانته ليظل بيت أبيه عالى الكرامة ، جرياً على التفكير فى ذلك الوقت .

٢- لابد أن هناك دافع مالى من ناحية أسرته دفعه إلى تولى هذه الوظيفة وهى أمامه .

فعلى أساس هذه الفروض نرى لماذا أنخرط فى السياسة ، وكيف لم يكتب له الأستقرار فيها .

فقد كان ابن سينا عفيف النفس ، عزيز الجانب ، ذو عقيدة قوية ، محباً للحرية ، قوى الشكيمة ، صادقاً فى القول والعمل ، درع فى دينه ودنياه ، يخشى الله فوق كل شىء ، على نحو ما يقوله الفيلسوف العربى «عبد الرحمن الكواكبى» :- « أخاف الله سواه لا أراده » . ميالاً للهدوء ، رزيناً فى قوله ،

يقلب الأمور على شتى وجوهها قبل أن يبدى رأيه فيها ، يؤمن بالدليل والحجة برهاناً على صحة مايقول ، حساس ، متواضع ، طيب القلب ، واقعى ، يشعر بنفسه ، معتد بها ، محباً للأستطلاع ، صبوراً ، لايؤمن بالهزيمة كنتيجة أوليه للكفاح ، بل يؤمن بالفشل أساساً للنجاح ، زاهداً ، متصوفاً ، يؤمن أيماناً قاطعاً بالعلم كأساساً لمجد النفس البشرية إذ قال : -

« وبدت تغرد فوق ذروة شاهق ... والعلم يرفع كل من لم يرفع »

لقد كان ابن سينا مجموعة فضائل لو أجتمعت لغيره ، لخلقت شخصية ممسوخه متناقضة ، شاردة الفكر ، بين قواهها صراع داخلى ينعكس فى تصرفاتها ، ولكن ابن سينا كان يؤمن أيماناً قاطعاً بأنه هو ربان نفسه ، يقودها إلى الطريق القويم فى حدود ما تمليه عليه عقيدته .

فكيف يكون شعور القائد الحربى بعد الهزيمة الساحقة ، لو لم تعطى له الفرصة كى يعد العدة ثانياً للأنتصار ؟ .....

بالطبع ..... تكون النتيجة « الموت بالحرمان » ومع ذلك لم تنل تلك التجربة من عزمه وتثنيه عن عقيدته ، حتى ولو كان مصيره السجن والتشريد .

فإذا كان إنتصار ابن سينا فى الجانب العلمى بصفه عامه ، والنفس بصفه خاصه ، فهو نموذج لإنتصار البشرية كلها ، التى تعيش فى صراع دائم من أجل الإستقرار والسلام .

وسقاهم ربهم شراباً طهوراً :

تعلم ابن سينا القرآن الكريم وهو فى سن العاشرة ، ثم درس الأدب واللغة وأخذ يثقف نفسه بمنظوم الأدب ومنثوره بعد أن درس قواعد اللغة وأسرار اشتقاقاتها دراسة قوية متينة ، ثم أخذ الفقه على العالم « إسماعيل الزاهد » ودرس الحساب والهندسة على « أبى عبدالله الناتلى » ، وأخذ بعد ذلك يقرأ الكتب على نفسه ويطالع الشروح حتى أحكم علم المنطق ، وكتاب « أقليدس » فى الهندسة ، كما حفظ الطب ، وتمت له علوم المنطق والفلسفة والرياضة والطبيعة والموسيقى ، وكل ما كان يعرفه أهل عصره من علوم وفنون ، وهو فى

الثامنة عشرة . وقد حفظ كتاب « ماوراء الطبيعة » لأرسطو عن ظهر قلب دون أن يفهمه ، وظل أمامه مظلماً غامضاً حتى كاد يبعده عن الفلسفة ، لولا وقوع كتاب من كتب الفارابى فى يديه ، أشتراه من دلال صغير بثلاثة دراهم ، فإستطاع به أن يحل طلاسمه ، مما يدل على إعترافه بأستاذيه المعلم الثانى بعد أرسطو .

وقد بلغ من أجتهاد ابن سينا أن فاق أستاذه وهو فى طليعة شبابه فى المنطق ، وإكتشف من أسرار هذا العلم ، وعلم كثيراً من طلاسمه ما لم يرقى إلى ذهن أستاذه على مدى تعمقه فى علم المنطق .

وقد زادت دائرة معارف ابن سينا عندما واتته الفرصة لحظة ، عندما قدم على الأمير « نوح بن منصور » ليعالجه ، فشفاه ، وكافأه ذلك الأمير بأن سمح له بالأطلاع على دار كتبه ، وكانت حافلة بآلاف الكتب ، فحفظها ابن سينا كلها ، إذ كانت ذاكرته خارقة . ثم ألف للأمير نوح أول كتاب فى النفس على طريقة أرسطو ، وسماه كتاب « هدية الرئيس إلى الأمير » وهو مبحث فى القوى النفسية ، ومن المؤسف حقاً ، أن نسمع بعض المؤرخين يتقولون على ابن سينا زاعمين أنه هو الذى أحرق مكتبة الأمير نوح بعد ذلك ، ولكن تلك الفرية كاذبة ، فكيف يكون هذا العمل تأتى به النفس الخالية من الأنانية والحسد ، الباحثة عن العلم ، النشارة له ، وهل من المعقول أن يكون مؤلف الأشارات والشفاء والنجاه ، أن يرتفع لمستوى هذه التفاهه ، إلا من قبيل الزعم الباطل الذى ينشره الحانقون . ومهما يكن من الأمر فقد ظل ابن سينا ينتهل من هذا الشراب العذب (الإطلاع) ، ويكتب ما تمليه عليه قريحته ، حتى أعترف له بالفضل ، ففاخر به الشرق ، وأخذ عنه ومدحه الغرب وانتفع بتصانيفه .

رسـالة ابن سـينا

مؤلفـاته :

لقد كان لابن سينا فلسفة ورسالة سامية ، هى فلسفة العلم ، ورسالة العالم والمتعلم ، فعلى قدر ماتتاح لنا الفرص للتعلم ، لابد أن نؤدى الفريضة ونبلغ الرسالة ، فنتعلم لنعلم ، ونجدد ونبتكر ، ليتقدم سير الحضارة فى موكبها الكبير.

تلك هى رسالة ابن سينا ، فعلى قدر ما أتيحت له الفرصة ، زادها من مؤلفاته وشرح الكثير ، وجدد فيها مالم يصل إليه غيره ، وأتاح الفرصة للجميع . وقد ألف فيض غزير من المؤلفات هى كما يلى : -

هدية الرئيس إلى الأمير - الشفاء - القانون - النجاه - الإشارات - الحكمة العروضية - حكمة العلائى - الهداية فى الحكمة - التعليقات فى الحكمة الفلسفية - عيون الحكمة - الأنصاف - الموجز الكبير فى المنطق - الأوسط - الصغير فى المنطق - المناظرات فى النفس - الفصول فى النفس - رسالة فى القوى الأنسانية وإدراكاتها - رسالة فى الأخلاق - الطير - رسالة فى القدر - العشق - الميعاد - حكمة الموت - حى بن يقظان - الهام (الحكمة المشرقية) - رسالة الأدوية القلبية - أرجوزة الحمى - أرجوزة فى كاسات الهواء - رسائل صغيرة فى الطب - رسالة فى الكيمياء - رسالة فى الفلك - رسالة فى الموسيقى - مختصر المجسطى - مختصر أقليديس - الشبكة والطير ومقالة فى غرض المقولات - مقالة فى علم الحكمة - مقالة فى النهاية واللانهاية - ومقالة فى أبعاد الجسم غير ذاتيه له - مقالة فى الجوهر والعرض ومقالة فى علم زيد وعمرو - رسالة إلى البيرونى - علم الطب - الأدوية - الأمراض الجزوية - الأمراض المركبة - رسالة فى المعادن - شفاء النفس - الحاوى - الشراب - الحجر الفلسفى - الطبيعيات والكيميا - عدة رسائل فى أثر المواد الكيمياوية على الجسم - رسالة صغيرة فى النفس .

إن الإنسان ليحار فى صاحب هذا المورد الغزير من البحث والتأليف ، وإن كنت قد أوردت تلك المؤلفات إلا أن هناك مناظرات وقعت بين ابن سينا وكثيراً

من العلماء مثل « أبو الريحان البيرونى » ، و « أبو سهل المسيحى » ، و « أبو الخير الخمار » ، وكذلك كثيراً من المؤلفات تشتتت فى أسفاره وبعد وفاته ، وبعضها فقد بعد هزيمة الزعامة العربية ، وأندثار الثقافة العربية .

وقد ترجمت كثيراً من مؤلفات ابن سينا إلى الفرنسية واللاتينية ، والإنجليزية ، وأنتشرت إنتشاراً عظيماً فى الدول الأوربية . فترجم كتاب الشفاء إلى اللاتينية ، وطبع فى مدينة البندقية سنة ١٤٩٥ م وترجم جزء المنطق فيه إلى الفرنسية الأستاذ « بيبرفاتييه » فى سنة ١٦٥٦م وكتاب الإشارات طبع فى « ليدن » وطبعها « فورجيه » فى سنة ١٨٩٢م ، وهو الذى شرحه الأمام « فخر الدين الرازى » المتوفى سنة ٦٠٦هـ ، والإمام « نصير الدين الطوسى » المتوفى سنة ٦٧٢ هـ و « قطب الدين الرادى » المتوفى سنة ٧٦٦ هـ . وكتاب « عيون الحكمة » طبع تحت إسم « رسائل فى الحكمة الطبيعية » فى القسطنطينية سنة ١٢٩٨ هـ وكتاب « الأنصاف » وهو الذى فقد فى مكتبة السلطان مسعود ، وكتاب « الموجز الكبير فى المنطق » ، وكتاب « الأوسط » وقد كتبه فى جرجان من أجل تلميذه « أبى محمد الشيرازى » ويوجد نسخة خطية منه فى مكتبة القسطنطينية ، وكتاب « الصغير فى المنطق » ترجم إلى الفرنسية على يد « بيبرفاتييه » ، وترجم جزء منه إلى اللاتينية على يد « أشمول ديرس » فى سنة ١٨٣٦م .

أما رسائله فى النفس فمتفرقة ما بين مكاتب القسطنطينية ومكتبة «الأبسكوريال » ، ودار الكتب المصرية .

وكتابه « رسالة فى الأخلاق » مطبوعة فى القسطنطينية ، ورسالة « الطير» شرحت بالفارسية ، وترجمها « ميرين » إلى الفرنسية ، وكتاب « حكمة الموت» ترجم إلى الفارسية وهو موجود فى إيران ، ونسخة ترجمت إلى الإنجليزية فى لندن ورسالة « حى بن يقظان » ترجمها « ميرين » إلى الفرنسية، وكتاب « القانون » ترجم إلى الفرنسية وهو موجود فى باريس ، وترجم إلى العربية فى روما سنة ١٥٩٣م وترجم إلى اللاتينية عدة مرات .

وقد كانت مؤلفاته تدرس فى جامعات أوربا بعد وفاته بستة قرون .

والدليل على ذلك قول « جوستاف لوبون » : -

« إن أساتذة جامعة مونبيليه لم يكفوا عن شرح كتابات ابن سينا فى الطب إلا منذ خمسين سنة فقط » .

ولا زالت جامعة باريس تحتفظ فى كلية الطب بصورتين كبيرتين ملونتين أحداهما للرازى ، والأخرى لابن سينا .

رسالتة فى الكيمياء

كانت مؤلفات « ابن سينا » فى الكيمياء ، ذات طابع خاص ، فأما أن يوردها فى مؤلف مستقل فى هذا العلم مثل كتابه « الحجر الفلسفى » أو كتابه « الطبيعيات والكيمياء » وكذلك رسائله فى أثر المواد الكيمياوية على الجسم .

أو يوردها فى مؤلف يشتمل على عدة بحوث أخرى فى العلوم المختلفة مثل كتاب « حكمة العلائى » .

فقد كان لابن سينا عدة تجارب ، وبحوث ضمنها كتبه ، وقد جرى على طريقة أن يوزع تلك الأبحاث على جمع كتبه تقريباً ، بأن يؤلف المؤلف مبتدئاً بالمنطق فالفلسفة فالطب ، فالكيمياء ، فالطبيعيات ، فالرياضة .

إلى أن ينتهى من مؤلفة ، وأن كانت تلك القاعدة لاتسرى على بعض مؤلفاته .

" نظرياته وتجاربه فى الكيمياء "

١- تكوين المعادن طبيعياً : -

قام ابن سينا بدراسات جديدة فى الحرارة والكثافة النوعية وتكوين المعادن بقيت حتى القرن الثالث عشر أهم مصادر طبقات الأرض عند الأوربيين ، إذ تناول فيها الجبال فقال « أنها تنشأ من سببين مختلفين ، فقد تكون نتيجة أضطرابات فى القشرة الأرضية أو لفعل المياه الجارية .

٢- السلسلة الكيميائية : -

يقول ابن سينا إن المعادن سبعة هى : الخارصين ، النحاس ، الحديد ، القصدير ، الرصاص ، الفضه ، الذهب ، وهذه الأنواع السبعة متباينة وكل واحد منها قائم بذاته .

٣- تكوين الزئبق : -

يرى ابن سينا أن الزئبق ليس عنصراً بل هو ماء متحد بمادة كبريتية أرضية رقيقة ممتزجة به بشكل لايمكن معه التمييز بين سطحيهما .

والزئبق لايعلق باليد ولايوزع نفسه بأحكام على الإناء الذى يحتويه إذ يتقطع فى قاع الإناء ، إذ كانت كميته صغيرة .

٤- تحويل المعادن : -

أعترض ابن سينا على إمكان تحويل المعادن من حالة إلى أخرى ، ولكنه سلم بإمكان صبغها بألوان مختلفة ، فيمكن صبغ المعدن الأحمر بلون أبيض ، فيصبح شبيهاً بالفضه تماماً ، وأن صبغ باللون الأصفر فيصبح شبيهاً بالذهب ، وهكذا . ولنستمع ما قاله ابن سينا نفسه عن تحويل المعادن قال : -

« أنا لا أنكر أنه يمكن الوصول إلى درجة من الدقة فى التقليد والمحاكاة تخدع أكبر الناس دهاء وحرصاً ، ولكن عملية التحويل لم تكن مفهومة عندى ولا مهضومة فىَ أى وقت من الأوقات بل بالعكس لقد إعتبرتها مستحيلة حيث أنه لاتوجد طريقة معروفة لشبح الإرتباط المعدنى وتحويله من نوع إلى نوع . فالخواص التى تدركها الحواس ، ليست فى الفروق التى تميز بين معدن وآخر . بل أن هناك فروقاً باطنية كافية لانعرفها ، ولم نعرفها إلى الآن . وإذا كان الشيء مجهولاً لدينا فكيف يتسنى لنا عمله أو أتلافه » .

وبالرغم من جهود ابن سينا فى ذلك ، فقد ظل إيمان الناس بقوة « أكسير الحياة » كبيراً ، وبإمكان تحويل المعادن إلى ذهب أمراً ممكناً .

٥- تركيب المعادن : -

يعتبر ابن سينا أن المعادن تتركب من (كبريت وزئبق) أو أجسام تشبه تركيبهما . فإذا كان الزئبق نقياً ، ومزج بكبريت أبيض أنقى منه لايساعد على الإحتراق فالناتج فضه .

وإذا كان الكبريت نقياً وممتازاً فى معدنه ، وله لون النار ، فأنه يجمد الزئبق إلى ذهب وإذا كان الزئبق من صنف طيب وكان الكبريت غير نقى ، وقابلاً للإحتراق ، فإن الناتج يكون نحاساً . وإذا كان الزئبق فاسداً وغير نظيف، فالناتج يكون حديداً . ومن المحتمل أن يكون زئبق القصدير جيداً ، وكبريته رديئاً ، وقوة تماسكه بالزئبق ليست حسنة .

٦ - شرب الكحول : -

وقد شرح ابن سينا أثر الإدمان على شرب الكحول فى الكبد .

٧ - تغليف الحبوب : -

وقد توصل ابن سينا إلى تغليف الحبوب التى كان يعطيها لمرضاه ، وتلك الطريقة عرفت بعده ، بعدة قرون .

وقد تضمنت أبحاثه وصف كثير من الأدوية وطرق تحضيرها ، متبعاً فى ذلك صدق العالم ، ورأفة الطبيب ، وأخلاص الباحث .

* ومن الجدير بالذكر أن « الطغرائى » الذى كان رئيساً للوزراء ، ويشتغل بعلم الكيمياء ، وقد لقب « بالطغرائى » نسبة إلى الطرة التى تكتب فوق البسملة بأسم نعوت الملك - قد تولى الرد على « ابن سينا » فيما ذهب إليه من أستحالة تدبير الذهب ، وحاول أن يثبت بالدليل العقلى لا العملى أن إستحالة المعادن أمر ميسور ، وله فى ذلك من مؤلفاته كتابى « المصابيح والمفاتيح و «حقائق الإشهادات » .

رسالة ابن سينا فى الطب

* مقدمة عن التراث الطبى العربى

لم يختلف الفحص الطبى عند العرب عما هو متبع حالياً ، فقد كان الطبيب العربى يعنى بفحص البول ويقيس النبض ، ويسأل المريض عما يشكو منه ، وعن طريقة معيشته وعاداته والأمراض التى أصيب بها من قبل ، وعن حالته الصحية ومناخ بلاده ، وغير ذلك من الأسئلة التى تساعد الطبيب على تشخيص المرض ، كذلك مهر أطباء العرب فى ملاحظة لون الجلد وملتحمات العين وحالة الجلد عند اللمس ، من سخونته وبرودته ، وملمسه ناعم أو خشن ، فضلاً عن براعتهم فى تشخيص الأمراض ، فقد أستطاعوا بحذقهم أن يصفوا الأمراض المعدية وصفاً دقيقاً .

توصل « ابن سينا » إلي التفرقة بين بعض الأمراض ، أما « ابن زهر الأندلسى » فكان أول من وصف خراج الحيزوم وإلتهاب التامور الناشف والأنسكابى .وكان أطباء العرب هم أول من أستخدم المرقد (المخدر) للإستعانة به فى أجراء العمليات الجراحية ، وهم الذين عرفوا أثر الكاويات فى الجراحة ، وكانوا أول من تنبه إلى ما للون الأظافر من دلالة على أمراض السل ، كما توصلوا إلى معرفة أمراض اليرقان والهواء الأصفر ووصفوها وصفاً دقيقاً ينتفع به الطبيب فى تشخيصها وأهتموا بعلاج الجنون فكانوا يصفون له الأفيون بكميات كبيرة ، ومما يدل على عنايتهم بعلاج الأمراض العقلية والعصبية أنهم خصصوا لها أجنحة خاصة فى المستشفيات ، وأنهم فضلاً عن إستخدام الأفيون كدواء في بعض الحالات ، فأنهم فى الوقت نفسه كانوا يسلكون طرقاً أنسانية مبتكرة تقوم على الإلمام بعلوم النفس وأدراك أثر الوهم فى هذا النوع من المرضى ، وعرفوا السل الرئوى ، وأشاروا إلى أن الأمراض تنتقل بالماء والتراب ، فأكدوا بذلك إنتقال العدوى ، فى حين أن الأوربيين المعاصرين لهم كانوا ينكرون ذلك .

وجاء فى كتاب « أطباء العرب » للدكتور خير الله : « أن العرب وإن كانوا يجهلون وجود جراثيم الأمراض إلا أنهم كانوا يثبتون وجود العدوى بطرق

منطقية لاشك فيها ، وأن « ابن الخطيب » الفيلسوف الأندلسى كان يجزم بوجود العدوى ، وعرف أطباء العرب مرض البواسير ، وقالوا : أنه ناشىء من قبض المعدة ، وأن المأكولات النباتية يمكن أن تكون علاجاً شافياً ، والعرب هم الذين كشفوا مرض (الأنكلستوما) ويؤيد ذلك المرحوم الدكتور محمد خليل عبد الخالق فى مقال نفيس نشره قبل وفاته ، جاء فيه : « أود أن ألفت النظر إلى أن « ابن سينا » أول من كشف الطفيلية الموجودة فى الإنسان المسماة بالأنكلستوما ، وقد كان هذا الكشف فى كتابه « القانون » فى الطب فى الفصل الخاص بالديدان المعوية ، ويقول :

(سمى « ابن سينا » هذه الطفيلية الدودة المستديرة ، وكان لى الشرف فى سنة ١٩٢١م أن قمت بفحص ما جاء فى كتاب القانون فى الطب ، وأمكننى أن أقوم بتشخيصها بدقة وتبين من هذا أن الدودة المستديرة التى ذكرها « ابن سينا » هى التى نسميها الأنكلستوما وقد أعاد (دوبينى) أكتشافها فى إيطاليا سنة ١٨٣٨م أى بعد كشف « ابن سينا » لها بتسعمائة سنة تقريباً ، وقد أخذ جميع المؤلفين فى علم الطفيليات بهذا الرأى فى المؤلفات الحديثة ، وكذلك مؤسسة « روكفلر » ولذلك كتبت هذا ليطلع عليه الناس ، ولكى يضيفوا إلى إكتشافات « ابن سينا » العدة هذا الكشف العظيم لمرض هو أكثر الأمراض إنتشاراً فى العالم الآن » .

وقد عرف العرب مرض الفيل وكيف ينتشر فى الجسم . وهم أول من وصف الجمرة الخبيثة ، وكانوا يسمونها النار الفارسية .

وكان « الرازى » أول طبيب عربى قال بالعدوى الوراثية ، وأما أستاذه « الطبرى » فكان أول من أهتدى إلى كشف الحشرة الخبيثة التى تسبب الجرب ، وأدرك أطباء العرب خطر الأمراض الوبائية ، ففكروا فى عمل أدوية خاصة لوقاية السكان من آثارها المدمرة ، ويروى أن « ابن التميمى » الطبيب العربى قد توصل إلى عمل معاجين خاصة دفعاً للأوبئة ، وسبق العرب الأقرنج إلى وصف أمراض الجذام والحصبة والجدرى ، وبيان أسبابها وأعراضها وقاموا بمحاولات ناجحة فى التحليل النفسى تقرب كثيراً من مذهب (فرويد) فى الطب النفسى ، وكان « ابن سينا » و « جبرائيل بن بختيشوع » من الذين

أستخدموا التحليل النفسى فى علاج بعض الحالات ، ويعد « ابن النفيس الدمشقى » أول طبيب فى تاريخ الطب وصف الدورة الدموية الرئوية ، وأثبت أن الدم ينقى فى الرئة .

ومما يسجل للعرب بالفخر أنهم لم يهملوا طب العيون ، فقد كانت لهم إكتشافات عظيمة الشأن فى هذا الميدان ، ويبدو أن إنتشار هذه الأمراض فى بعض البلاد العربية كمصر والشام والعراق ، كان سبباً فى إهتمام أطباء العرب بأمراض العيون ، وقد توصلوا إلى أنواع من العلاج أستمر العمل بها إلى القرن السابع عشر .

ثم شرحوا عيون الحيوانات شرحا فسيولوجيا ، وعرفوا السبب فى حركة مقلة العين وقالوا : أن حركة مقلة العين ناشئة عن أنقباض وأنبساط القزحية ، وأهتم « ابن سينا » بتشريح العين فى كتاب « القانون » ، فتحدث عن عضلات العين ووظائفها ، وأما « ابن ماسوية » فقد تحدث عن أمراض العيون حديثاً طبياً دقيقاً ، وألف « حنين بن إسحق » كتاباً يدعى (المقالات العشر فى العين) وترجمه (ماكس مايرهوف) إلى الإنجليزية ، ومن أطباء العرب الذين نالوا شهرة واسعة فى أمراض العيون « على بن عيسى » فقد وضع رسالة هامة فى تشريح العين ، وبيان أمراضها الظاهرة ، والباطنة فكانت رسالته هذه مرجعاً عظيماً فى هذا المجال .

وكان « ابن الهيثم » ممن عنوا بوصف العين وبيان طبيعة النظر والعلاقة بين العين وقضايا البصريات ، ويروى أن « صلاح بن يوسف الكحال » كان أشهر من « على بن عيسى » فى طب العيون وأكثر مهارة منه وقد وضع كتاباً فى أمراض العيون وأسبابها وأدويتها ، وكيف تحفظ العين ، وهو من المراجع الهامة ، وقد برع أطباء العيون العرب فى عملية قدح الماء الأزرق الذى يرى فوق العين .

كذلك برع أطباء العرب فى فنون الجراحة الطبية ونجحوا فيها نجاحاً منقطع النظير فقد كان «على بن عباس المجوسى » أول من توصل إلى عملية الشق العجانى على الحصاة ، وكان « الزهرواى » الطبيب الأندلسى أول من

أستخدم فى الجراحة الأدوات والآلات الطبية ، ونقل (جوستاف لوبون) عن العالم « هاللر » أن كتب الزهراوى كانت مرجع الجراحين جميعاً إلى القرن السابع عشر الميلادى ، ومن مؤلفاته كتاب الآلات الجراحية التى تستخدم فى العمليات على أختلافها وقد أوضحها بالأشكال مبيناً طريقة أستخدامها .

أستخدم العرب فى الجراحة المخدرات كالحشيش والأفيون والزوأن وست الحسن (هيوسيامين) ، وأخترعوا الأسفنجة المخدرة وأستعانوا بالخيوط المصنوعة من أمعاء الحيوان على تخييط الجروح ، ويقول « الأستاذ / حافظ طوقان » فى كتابه « العلوم عند العرب » : « وكانت الجراحة نفسها محتقرة فى أوربا والجراحون منظوراً إليهم كألجاس ، وكانت الجراحة عندهم بأيد الحلاقين والجزارين ، وكانت المدارس الطبية الأوربية تتحاشى تعليم الجراحة من القرن الحادى عشر إلى القرن الخامس عشر ، لأنهم كانوا يعتقدون أنها لاتليق بالأطباء المحترمين ، وأنه لايجوز لهم أن يغيروا ما خلق الله ، ففى سنة ١٦١٣م أصدر مجلس (تورس البابوى) قرارا يفرض على المدارس الطبية أهمال تعليم الجراحة ، كان كل ذلك يجرى فى أوربا فى حين أن أطباء العرب يشيدون للطب مقاماً رفيعاً ويعدون الجراحة قسماً منفرداً ومحترماً من الطب .

فالعرب كانوا يحترمون الجراحة الطبية بوصفها قسماً من الطب قائماً بذاته، وقد عرفوا بطريق التجربة أن الجراحة فى بعض الحالات أجدى وسيلة فى جسم الداء ، لذلك أهتموا بالطب الجراحى فى الوقت الذى كان الأوربيون ينظرون إليه بوصفه شيئاً حقيراً لاينبغى أن يمارسه الأطباء المحترمون ، وكانت الكنيسة فى الوقت نفسه تحرم عليهم الألتجاء إلى مزاولة الجراحة فى تطبيب الأنسان ، لأن فى هذا العمل تغييراً لما خلق الله ، وهذا الفهم دليل على مقدار العقلية التى كان يتميز بها الأوربيون فى هذه العصور وعلى ماكانوا عليه من تفسير التعاليم الدينية تفسيراً خاطئاً ، ونسى هؤلاء الذين زيفوا تاريخ الحضارة ، وأنكروا كثيراً من فضل العرب على التراث الأنسانى ، نسى هؤلاء أن العرب فى العصور الوسطى كانوا أنضج الأمم عقولاً ، وأنهم فهموا بدقة موقف الدين من العلم فأدركوا بعقولهم الناضجة أن الدين والعلم يبحثان معاً عن الحقيقة ، وأن لكل منهما وسائله الخاصة فهما مختلفان فى الوسائل ولكنهما متفقان على

الغايات ، وفى ضوء هذا الفهم المستنير قام العرب والمسلمون بدورهم كاملاً فى خدمة الحضارة الأنسانية ومهدوا الطريق بما أدوه للعلوم وبخاصة العلوم الطبية ، إلى هذا التقدم العلمى الباهر الذى يجنى العالم كله ثمراته الطبية اليوم .

* الدستور الطبى النبوى

كان العرب ذوى عناية وأختصاص فى نوع من الطب يدعى (الطب النبوى) وقد أطلق عليه هذا الأسم لأنهم كانوا ينسبونه إلى الرسول صلوات الله عليه وسلم . ومن يرجع إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يجد أن بعض أحاديثه الشريفة ترسم دستوراً طبياً عظيم الشأن فى باب العلاج الطبى والمحافظة على سلامته .

* صحة المسلم : فالرسول يقول : « جوعوا تصحوا » ،

* ويقول « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء »

* ويقول : « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن عليه فأن كان - لامحالة - فاعلاً ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

* ويقول صلى الله عليه وسلم : « نحن قوم لانأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لانشبع » .

فأتخذ أطباء المسلمين هذه الأحاديث دستوراً للمعالجة يعتمد على التجربة، ثم ما للأيمان من أثر قوى فى صحة المريض ، وقد ثبت أن المريض إذا وثق بطبيبه ، وبالدواء الذى يصفه له كان ذلك من أقوى أسباب الشفاء .

* أنشاء المستشفيات

أبدى العرب أهتماماً شديداً بأنشاء المستشفيات وكانوا يسمونها «البيمارستانات » وقد بدءوا يتنبهون إلى أهميتها الطبية منذ العصر الأموى ، بيد أنهم لم يقيموها على أسس طبية صحيحة إلا فى العصر العباسى ، فشيد عدد كبير منها فى بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها من العواصم الأسلامية والمدن

الكبرى ، وكانوا يبالغون فى عنايتهم بأختيار المكان الصحى الملائم الذى يصلح لأقامة مستشفى عليه ، وكانت لهم سياسة طبية مرسومة يتبعونها فى أنشائها ، فهناك المستشفيات التى أعدت لجميع الأمراض ، والتى أعدت لأمراض معينة ، فمثلاً أنشئوا المستشفيات للأمراض العقلية ، وأخرى لأمراض الجذام وللعيون ، ومستشفيات للسجون ، وأخرى للجيش ، وللمستشفيات الثابتة والمتنقلة ، وأهتدى العرب إلى فكرة أنشاء المستشفيات المتنقلة مما يدل على تقدم الوعى الطبى ، وأن الحياة الأجتماعية والصحية قد وصلت إلى درجة جعلت المسئولين يقومون بتقديم الخدمات الطبية إلى الناس فى جميع القرى والمدن ، ويقول « الدكتور / أحمد عيسى » فى كتابه (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام) : أن العرب أول من أنشأ البيمارستان المحمول وهو مستشفى مجهز بجميع مايلزم للمرضى والمداواة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة ، وكل مايعين على ترضية الحال لكل من المرضى والعجزة والمزمنين والمسجونين ، ينتقل من بلد إلى آخر من البلدان الخالية من (بيمارستانات) ثابتة ، والتى يظهر فيها وباء أو مرض معد ، مما يبين أن وجود هذا النوع من المستشفيات برهان ساطع على تقدم الفكر الطبى عند العرب .

ومما يدعو إلى العجب أن النظم التى تتبع داخل المستشفى كانت تسير على نمط يعد من أحدث الطرق من حيث العناية بصحة المرضى ، وغذائهم ، وتتبع أحوالهم ، ومراقبة تطورات أمراضهم ، وأثر العلاج الذى يقدم إليهم ، وكانت المستشفيات على نوعين : مستشفيات للرجال ، ومستشفيات للنساء ، وقد بلغت العناية بتنظيمها إلى درجة أنهم قسموا كل مستشفى أقساماً ، وجعلوا كل قسم يشتمل على قاعات وغرف ، منها ما هو خاص بالأمراض الداخلية ، ومنها ما هو خاص بأمراض العيون أو الجراحة ، أو الكسور أو التجبير ، كذلك كانت أقسام الأمراض الداخلية تشتمل على غرف بعضها للحميات ، أو حوادث الأسهال ، مما يعطينا فكرة واضحة عن وجود نظام طبى دقيق لأدارة المستشفيات العربية الأسلامية وتنظيمها وتوفير الخدمات الطبية بها على أحسن وجه .

كان هذا حال المستشفيات العربية الأسلامية فى العصور الوسطى ، فإذا

نظرنا إلى حـال الأوربيين فى ذلك الوقت وجـدناهم يؤمنون بأن المرض نقـمـة وعذاب من الله ، لذلك كانوا لايرحمـون المريض ، ويعدون الأشفاق عليـه أمراً مـخالفاً لتعاليم الدين ، وفى هذا المجتـمع الذى تسيطر فيـه هذه الأفكار على الناس فى مـعـاملتـهم ، عـاش المرضى يقـاسـون أهوال المرض ، وتنكر أهلوهم وذووهم لهم مما جعلهم يستعذبون الموت تخلصاً من هذه الأهوال وتلك الآلام ، بل أن الأمر قد يصل أحياناً إلى ما هو أشد وأنكى من ذلك ، فالمصابون بالجذام يحرقون ، ويوقع العقاب الشديد على المجانين ، وحينما بدءوا يتحررون من هذه الأفكار والأعـمـال ، وأقـامـوا بعض المستـشـفـيات ، كـانت بمثابة بيئـة خصبـة للجراثيم ، وعشا للأمراض الخبيثة ، وفى هذا يقول (الدكتور/ ماكس نوردو) «أن مستشفيات أوربا فى العصور الوسطى كانت مثالاً للفوضى والقذارة» .

ويمكننا فى ضـوء ذلك أن نتـبين الفـرق الهـائل بين مـا كـان عليـه العـرب المسلمـون والأوروبيـون ، فـقد كـان العـرب يتزعـمـون العـالم فى العلوم الطبيـة وغيرها من مقومات الحضارة ، وكانت كلمة (عربى) تحتل فى الأذهان المكانة التى كانت تختلها كلمة (غربى) أو أوربى فى هذا العصر ، لقد كانت كلمة (عربى) تقرع أذن كل أوربى فى تلك العصور قرعاً شديداً ، وذات أثرا مدويا .

* الأقـــرباذين الـدوائـــى

وهو يتـصل بالطب أتصالاً قـوياً فى أعداد الأدوية (الأقـرباذين) إذ كـان أطباء العرب يمارسون صناعة الطب وأعداد الأدوية فى وقت واحد . كذلك كـان « الرازى » و « ابن سينا » يصـفـان المرض ويشـخـصـانه ، ثم يعـدان الدواء للمـريض ، غيـر أن ذلك لم يمنع وجود صيـادلة مختصين ، وكـانت هناك عناية خاصـة بأعدادهم والأشراف عليهم ، ومنحهم الأجازات الطبـية التى تسمح لهم بممارسـة صناعـة الصيـدلة ، حيث أهتم العـرب بجلب العقـاقـير الطبـيـة من كل ناحية وبخاصة بلاد الهند ، كما كانت هناك مدارس خاصة للطب كذلك كانت هناك أيضـاً مدارس خاصـة لتعليم الصيـدلة ، وكـان تقدم العرب فى فن أعداد الأدوية دليلاً قوياً على نبوغهم فى علوم الكيمياء والنبات ، لذلك عرف العرب فى العـصور الوسطى بالبراعة فى صنع الأدوية وتجـهيزها فلم تقف مهارة العرب

فى هذه الناحية عند معرفة المواد التى تدخل فى تركيب الأدوية ، فقد مهروا فى الوقت نفسه فى معرفة النسب والمقادير التى تؤخذ من كل عنصر ، وهذا النسق هو المتبع اليوم فى الصيدلة الحديثة .

وكانوا يعنون أشد العناية بالغذاء بوصفه عاملاً مهماً فى العلاج ، لذلك كانت القاعدة الطبية عندهم الأعتماد على الغذاء كأسلوب من أساليب العلاج ، ثم على الأدوية المفردة ، ثم على الأدوية المركبة ، وكانوا لايستخدمون الأدوية المركبة إلا عندما تشتد الحاجة إليها ، ولم ينسوا أن يكون أستعمالها فى حذر ومهارة ويقال : أن الوزير « أبا المطرف عبد الرحمن بن محمد بن وافد الأندلسى» (٣٨٠ هجرية - ٤٦٠ هجرية) وكان ممن برعوا فى الطب ، وله فيه مذهب سليم لايوافق على التداوى بالأدوية إذا كان فى الإمكان التداوى بالأغذية وماهو قريب منها وإذا دعت الضرورة إلى الأدوية ، فكان لايرى التداوى بالمركب ، إذا كان فى الأستطاعة التداوى بالدواء المفرد ، وحين لايجد مفراً من إستعمال الدواء المركب ، فقد كان لايكثر التركيب ، ومما لاشك فيه أن العرب كانوا يعلمون أن هناك سراً خطيراً فى تركيب الأدوية ، وأنه كلما قلت العناصر التى تدخل فى تركيب الدواء ، كان ذلك أكثر أفادة للصحة وجلباً للشفاء ، وأن الأكثار من العناصر قد تكون له عواقب وخيمة ، ويوافق الطب الحديث على النظرية العربية ، ويؤيد سلامتها من وجهة النظر الطبية ، أما الأوربيون فى العصور الوسطى فقد كانوا يؤمنون بأن أثر الدواء يتضاعف إذا كثرت العناصر الداخلة فى تركيب الدواء ، وقد أثبت « ابن رشد » فساد النظرية الأوربية فى القرن الثانى عشر ، مما يؤكد أن العرب كانوا يتبعون فى التطبيب وأعداد الأدوية نظريات علمية صحيحة .

لقد كان العرب يسلكون أصح المذاهب الطبية ، ويلتزمون بالمناهج السليمة فى العلاج ، وكان « ابن سينا » وغيره من أطباء المسلمين يعالجون المرضى بالحقن وإستعمال المخدرات أثناء العمليات الجراحية ، ويعالجون الصرع والجنون والسل وأمراض العيون بطرق علمية دقيقة ، فى الوقت الذى كان ينظر فيه الأوربيون إلى المحموع والمصروع والذى به بثور خبيثة بأنه شيطان من الشياطين، فيوسعونه ضرباً ولكما ، كى يخرج الشيطان من جسمه ، فإذا لم يشف المسكين

من مرض أعتقدوا أن شيطانه من أخبث الشياطين ، وهنالك يقروون أنه لابد من عقابه عقاباً شديداً ، وليس هذا العقاب إلا الحرق ، ولكى يحرقوا هذا الشيطان الخبيث ، كانوا يحرقون معه المريض السيىء الحظ .

ذلك تصوير دقيق للعقلية الأوربية قبل عصر النهضة .

ذلك ليعرف القارىء العزيز ويتبين الحقائق عمن أسسوا دعائم الحلقة الوسطى بين الحضارات القديمة والحضارة الحديثة ، فقد قامت هذه الحلقة الوسطى على أسس من التهذيب والأبتكار والأضافة ، مما ساعد التراث الأنسانى على السير قدما ، فلولا العلم والثقافة العربية الأسلامية ، لما وصلت الحضارة الحديثة إلى ما وصلت إليه الآن .

ولكى تبدو الحقائق جلية للعيان ، سنتحدث عن نابغة أطباء العرب والمسلمين « ابن سينا » . ورسالته فى الطب .

رسالة " ابن سينا " فى الطب

ألف ابن سينا فى الطب كتاب « القانون » وكتاب « الأدوية القلبية » ، وكتاب « حكمة العلائى » وكتاب « حكمة العروض » ويعتبر كتاب «القانون» أهمها ، فقد اعتبر إلى عهد قريب عمدة فى الطب ، بل لايزال بعض العلماء المحققين فى أوروبا يرجعون إليه فى بعض المسائل . وتوجد منه نسخة خطية فى باريس .

وقد طبع بالعربية فى روما عام ١٥٩٣م ، وترجم إلى اللاتينية ، وله رسائل فى الطب مثل « أرجوزة الحمى » ، و « أرجوزة » فى كاسات الهواء ، وله أرجوزة تعليمية فى الطب ليسهل حفظها ، وقد شرحها كثير من الفلاسفة مثل « ابن رشد » ، ومطلعها : -

الطب حفظ صحه بدء مرض ... من سبب فى بدن ومن عرض

وكان ابن سينا يعنى بالملاحظة والتجربة ويستخرج منهما القوانين الكلية ، وقد وضع فى أول « القانون » قواعد للتجريب سبق بها « جون ستيوارت مل » بقرون طويلة .

ويسرت له هذه الملاحظات والتجارب الإهتداء إلى علل كثير من الأمراض وطريقة علاجها ، كالسرطان ، وأمراض المثانة ، وهو أول من وصف قرحة المعدة. ولانزاع أن اشتغال ابن سينا بالطب قد أثر على فلسفته من جهة المنهج الذى يتبعه فى البحث فقد كان يؤمن بالتجارب ، ويجريها على الحيوانات ويتتبعها ويرى أثرها ، ويجرب عليها الدواء قبل أن يجريه فى الإنسان .

وقد ظلت كتابات ابن سينا فى الطب مرجعاً وأساساً للدراسات الطبية فى جامعات فرنسا فى القرن السابع عشر . ويبدو من مناهج جامعة لوفان سنة ١٦١٧م ، أن دراسة الطب فيها أعتمدت عندئذ على كتب الرازى وابن سينا . ولاعجب ، فقد وافق البابا « كلمنت الخامس » سنة ١٣٠٩م على أن تكون كتابات هذين العالمين من الكتب التى يجب أن يختبر فيها الطلبة أجبارياً للحصول على شهادة الطب من جامعة مونيبليه بفرنسا .

أبحاثه فى الطب

*التشريح *

جاء فى كتاب القانون عدة فصول عن التشريح ، فهو لم يترك عضوا من أعضاء الجسم ، حتى تشريح الأسنان وعظام الفكين ، وفى كلامه عن الأعصاب والعضل يتناول أعصاب الوجه والجبهة والمقلة والجفن والخد والشفة واللسان ، فضلاً عن أعصاب النخاع والصدر .

وهكذا يكاد القارىء لكتاب ابن سينا أن يظن أن ناحية من نواحى الطب الحديث لم تفته . وقد قسم ابن سينا مؤلفه إلى خمسة كتب ، الكتاب الأول فى علم الطب ويشمل أربعة فنون ، هى حد الطب وموضوعاته من الأمور الطبيعية، وذكر الأمراض والأسباب والأغراض الكلية ، وحفظ الصحة ، وبيان وحدة المعالجات بحسب الأمراض الكلية .

والكتاب الثانى الأدوية المفردة ، والثالث فى الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الأنسان من الرأس إلى القدم ، والكتاب الرابع فى الأمراض الجزئية إذا وقعت لم تختص بعضو ، مثل الحميات ، والكتاب الخامس فى تركيب الأدوية

وهو الأقرباذين .

*حماية الجهاز الهضمي *

ينصح ابن سينا بتعديل الطعام في كميته بحيث لايزيد أو لايقل عن اللازم وفي كيفيته بأن لايكون أحر أو أبرد أو يبس أو أرطب مما يجب . ويحذر من تناول أغذية سريعة الهضم بعد أخرى بطيئة الهضم مباشرة ، كما يحذر من تناول أغذية غير منسجمة في وجبة واحدة ، أوفي وقت متقارب مما يسبب عفونه وعسر الهضم .

* حماية الجهاز التنفسي *

ينصح ابن سينا بعدم دخول الحمام دفعة واحدة والجسم مجهد أو الخروج منه دفعة واحدة ، نظراً لم تسببه الحالتان من نوازل .

* شرب الماء *

كذلك يرى عدم الأفراط في شرب الماء أثناء الطعام ، نظراً لما يسببه ذلك من عسر الهضم وتخفيف عصارة الكبد والعصارات المعدية ، وتلك المبادىء ينادي بها اليوم كل طبيب في الشرق والغرب .

* الأدوية التي كان ينصح بها *

كان ابن سينا دائماً يميل في علاجاته إلى العقاقير التي تحضر من الأعشاب والنباتات ، ويصفها ويصف فوائدها للجسم ، ويصف تحضير العقاقير بطريقة سهلة مبسطة ، ولا يميل إلى الرمز أو الغموض كسائر أطباء وعلماء عصره ، الذين يميلون إلى الغموض كي لايتداركِ تلك المعلومات عامة القراء ، ويفهمها المختصين في تلك العلوم .

١- السبانخ :

كان العرب يسمون السبانخ بأسم « الإسفاناخ » وقد أخذوه عن الفرس ، وقد بدأت زراعته بفارس ، ومنها أنتشرت غرباً وشرقاً حتى وصلت الصين وزرعت بها قبل المسيح بمائة سنة ، ويقول « ابن البيطار » إنها كانت تزرع

بنينوى وبابل . أما دخول السبانخ إلى أوروبا فلم يكن قبل القرن الخامس عشر.

ويقول « ابن سينا » فى كتابه « القانون» (إن أجود السبانخ ما كان ضارباً إلى السواد لشدة خضرته ، إذ تنفع لأمراض الصدر والعطش طازجة أو مطبوخة ، كما تربط الأوراق النيئة على الأورام فتسكنها) .

ويعد السبانخ أكثر الخضر الورقية أستعمالاً فى الشتاء ،وقد أثبت التحليل الكيمياوى أن كمية مركبات الكالسيوم فى السبانخ مرتفعة ، وبه نسبة كبيرة من حامض الأكساليك ، وهذا هو السبب فى قلة الكالسيوم عند تناوله إذ يحث بينهما أتحاد كيمياوى ويكونا أكسلات كالسيوم ، وهذا هو السبب فى ضرر الأكثار منه وخصوصاً الأطفال لبناء العظام والأسنان .

وبالسبانخ أملاح الحديد وفيتامين (أ) وفيتامين (ج) المضاد لمرض الأسقربوط ، وفيتامين (ك) الذى يساعد على تجلط الدم طبيعياً .

٢- الملوخية :

وقد وصف ابن سينا الملوخية « بأنها مغذية وملطفة وملينة وواقية للأغشية بفضل ما فى أوراقها من نسبة عالية من المواد الغروية ، وقد وصف البذور بأنها سامة ، ومسهل شديد » .

وقد أيدت التحاليل العلمية ذلك فأثبتت وجود آثار من مادة جلوكوسيدية تسمى (الكوركورين) وهى على ضآلة كمياتها تجعل البذور مرة الطعم ، سامة التأثير ، إذا أخذت بكميات وافرة . (وزيت بذرة الملوخية مفيد فى علاج بعض الأمراض الجلدية) .

وقد أيده فى ذلك علماء كثيرون أمثال « ابن البيطار » إذ قال : -

« أنها مفيدة للطحال ولها خواص مسهلة » .

وقال عنها « عبد اللطيف البغدادى » فى أثناء رحلته لمصر : -

« أنها كثيرة اللعابية ، أشد مائية من الخبازى ، باردة مرطبة للمعدة ، مسكنة للحرارة ، ويسرع أنحدارها لتزلقها » .

وذكرها « أبو نصر بن حفاظ المعروف بالكوهين الإسرائيلي الهاروني العطاري » في شرح أسماء الأدوية المفردة التي يحتاج إليها تركيب الأدوية .

وقال العلامة الرشيدي : - « إن بذورها يسهل الأخلاط الغليظة واللزجة وإن اليونان لم يعطوها أسم (كركورس) إلا لكونه يرخي ويقلل إنضمام الألياف العضلية المعوية فيتسبب عن ذلك أنحدارها وأنزلاقها . ومن المعروف أن الخضراوات غنية بالكاروتين الذي يتحول إلى فيتامين (أ) الذي يساعد على زيادة مقاومة الجسم للألتهابات والأمراض والذي يؤدي عند غيابه إلى ضعف الإبصار ليلاً .

ويعطي مقدار ٣٨ جرام طاقة مقدارها ٤٢٠٠ وحدة دولية ، وبها حمض النيكوتنيك وهو يقي من مرض البلاجرا وكذلك بها فيتامين (ج) المضاد لمرض الأسقربوط .

والأملاح المعدنية متوفرة إذ تبلغ ٢.٧٦٪ في الملوخية الخضراء ومقدار١٦.٤٩٪ من الملوخية الجافة ، وبها الكالسيوم والحديد مع أملاح البوتاسيوم ، والصوديوم ، والمغنسيوم والفوسفور والكلور. وبها مواد مخاطية وصمغية وبها مواد كربوهيدراتية .

٣ - البطيخ والشمام :

قال ابن سينا عن البطيخ : - « إنه مدر للبول نضيجه ونيئة وأنه مفيد في حالة حصاة الكلّية » . وقال عنه : « أنه مفيد في تحليل الأورام . وينقي الدم وينفع في علاج الكلف والبهق والحزاز (الكلف = هو شيء يعلو الوجه كالسمسم . الحزاز = هو قشر الرأس وما شابهه) ، إذا عجن كما هوبدقيق الحنطة وجف في الشمس » .

ومن المعروف أن البطيخ يحتوي على ٩١ - ٩٣٪ من الماء ، وبه قليل من المواد البروتينية والدهنية ، والسكريات بها بنسبة ٩٪ ، وتعطي ٣٠ - ٣٥ سعراً حرارياً لكل جرام ، وبها قليل من الكالسيوم والحديد إذ بها ٨ ملليجرامات كالسيوم ، ٢ ملليجرام من الحديد ، وبه فيتامين (أ) وفيتامين (ج) المضاد لمرض الأسقربوط ، وقد أوصى ابن سينا بالأستفادة من الشمام

وعدم الأفراط فى تناوله ، وهذاصحيح ، إذ يؤكد الدكتور « راجنز برج » عالم التغذية الألمانى : - « أن الشمام التام النضج يفيد المصابين بالإمساك المزمن والبواسير والحصوات ، وأردف هنا فأقول أن مجلة « البحث الغذائى الأمريكية » قالت عن الشمام : -

« أن الشمام علاج مفيد لتحلل الأورام ومنع الألتهابات الجلدية وأن الأكثار منه مضر حيث يعطل الهضم ويضعف عمل المعدة » .

٤ - البصل :

ذكر ابن سينا ومن جاء بعده من الأطباء المسلمون « أن عصير البصل يساعد على تفتيت الحصوات الكلوية ، كما يدر لبن المرضع ، كما يفيد فى القراع بشرط أن تنظف الرأس جيداً » .

وقد أثبتت تجارب العلماء أن المزارع البكتيرية المحتوية على عصارة البصل قد ماتت البكتريا بها ، وخصوصاً البكتيريا العنقودية التى تسبب الجروح المتقيحة والدمامل واللوز والزور .

كذلك يساعد البصل على القضاء على ميكروبى الدفتريا والدوسنتاريا الباسيلية بعد خمس دقائق من تعرضها للمواد الطيارة المنبعثة من تلك العصارة .

وقد قال عن تلك العصارة الطبيب العالمى « جورج لوكوفسكى » : -

« يكثر المعمرون فى البلدان التى يكثر فيها آكل البصل ، وأن مرض السرطان غير معروف فيها ولاسيما فى بلاد بلغاريا » .

٥ - العسل :

كان ابن سينا يعتقد شأن الأطباء العرب فى قيمة العسل الطبية النافعة ولكن قول « سيديو » على عكس ذلك لم يغير من قيمة العسل وفوائده . حيث قال ابن سينا عنه : -

« أنه حار يابس .... فيه قوة جالية ، مفتحه لأفواه العروق ، لجلبة

الرطوبات من قعر البدن ، وهو يمنع العفونه والفساد من اللحم ، وإذا لطخ به البدن منع القمل والصيئان وقتلها ، وإذا أضيف إليه القسط (والقسط عود هندى وعربى) يجعل من البخور دواء وهو مدر للبول نافع للكبد ، والمغص ، والدود ، وللبهق والكلف طلاء » .

وقد زاد عن ذلك بعض الأطباء العرب حيث قال : -

« إذا لطخ على الكلف أزاله وإذا عمل فيه ملح ودهن على آثار الضربة التى لونها كلون الباذنجان أزالها ، وهو ينقى القروح الوسخة ، وإذا لطخ مع الشب أبرأ القوابى ، وإذاخلط بالملح الزرآنى وقطر فى الأذن نقاها ، وجفف قروحها ، وسكن دويها ، والأكتحال به يجلو ظلمة البصر ، والتحنك والغرغرة به يبرىء الخوانيق واللوزتين ، والعسل يقوى المعدة ، ويشهى الطعام ، ويلين البطن إن وجد حركة وقلة أستعداد من الغذاء للنفوذ ، فإن تمكن من تنفيذ الغذاء عقل، كما أن شرب العسل مسخنا بدهن ورد نفعه من نهش الهوام . والعسل يحفظ الميت إذ وضع فيه دائماً » .

وتلك الحقائق أثبتتها التجارب العلمية الحديثة ، وأن كان بعضها مخالفاً للواقع أيما مخالفة .

ومما يؤيد صحة فائدة العسل ، قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : -

١- «من لعق العسل ثلاث غدوات من كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء» .

(عن ابن ماجه عن أبى هريرة عن النبى عليه الصلاة والسلام) .

٢- وجاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : -

« الشفاء فى ثلاثة : شرطه محجم ، أو شربه عسل ، أوكيه بنار - وأنا أنهى أمتى عن الكى » .

٣- ولا أصدق من قول الله سبحانه وتعالى فى هذا الشأن : -

« وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها

شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »
(صدق الله العظيم) .

٤- كذلك فأنى أورد فى هذه الفقرة فوائد العسل كما أيدتها التجارب العلمية:-

١ - فى علاج الصداع العصبى .
٢ - لجلب النوم .
٣ - فى تغذية الناشئين .
٤ - فى مقاومة الشيخوخة وتأخير ظهور أعراضها .
٥ - لمنع شلل الأطفال .
٦ - لتزويد أصحاب الأعمال الفكرية بالكفاءة والمجهود اللازمين لتأدية عملهم الشاق .
٧ - لمساعدة الحوامل أثناء الحمل .
٨ - كغذاء مثالى به فيتامين (ك) على وجه الخصوص .
٩ - للمساعدة عند التسنين فى الأطفال .
١٠- فى حالة الأضطرابات الجلدية والحساسية .
١١- فى علاج الزكام والتهابات الجيوب الأنفية .
١٢- فى حالات فقر الدم .
١٣- كمادة سكرية طبية ، وكمصدر للطاقة الحرارية .
١٤- يدخل فى مركبات طبية عديدة علاجاً لأمراض المسالك التنفسية .
١٥- يؤدى إلى إنعدام مرض السرطان ، مما أيد ذلك الدكتور « هافاس » بفرنسا ، والدكتور « بيك » بأمريكا . لأن العسل فى رأى الدكتور « هافاس» :-

« يمنع إنقسام خلايا السرطان ، لأن أنقسام الخلايا غيرالطبيعى ، هو العامل على تكوين هذا المرض المميت ، وتمادى فى القول إلى أن الشواهد تبين أن أنتشار هذا المرض بين مربى النحل معدوم » .

وقد عزز هذا الرأى « الدكتور بيك » : -

« أن مرض السرطان غير معروف بين النحالين فى الغالب » .

١٦- ولا يسبب عسل النحل أضطرابات لأغشية القناة الهضمية الدقيقة .
١٧- يحدث تمثيل العسل فى الجسم سريعاً وسهلاً .
١٨- لايضر عسل النحل بالكلى ، ولايسبب تليف أنسجتها .
١٩- يزود عسل النحل الفرد بأعظم وحدات النشاط بأقل صدمه للجهاز الهضمى .
٢٠- له تأثير طبيعى كامن يجعل عملية الأخراج سهلة . وقد كان العرب يسمون العسل « بالحافظ الأمين » ، وقد أثبتت التجارب صحة هذا القول .

أثبت الدكتور « سلمث » بجامعة كلورادو الأمريكية أن فائدة العسل فى المجال البكترولوجى كبير جداً إذ توصل إلى : -

١- أبيد ميكروب التيفود فى العسل النقى بعد ٤٨ ساعة .
٢- مات ميكروب البراتيفود فى العسل النقى فى ظرف ٤٨ ساعة .
٣- هلك ميكروب انتريتيدس الذى يسبب التهاب الأمعاء الدقيقة فى ظرف ٤٨ ساعة فى العسل النقى .
٤- هلك ميكروب الدوسنتاريا فى عشر ساعات إذا تعرض للعسل .
٥- ماتت مزرعة من ميكروب سيوباستيفر الذى يسبب التهابا شعبيا رئويا بعد أربعة أيام من اتصالها بالعسل .
٦- مات ميكروب كولاى فى العسل النقى فى اليوم الخامس ، ووجود هذا الميكروب فى الإنسان دليل على وجود تقرحات من حمى التيفود كما أنه إذا دخل الدم سبب التهابات البريتون .

تلك رسالة القلب الرحيم ، والعقل الراجح الذى مافتىء يفيد البشرية عامة يقينا منه بأن « العقل السليم فى الجسم السليم » .

ولقد كانت مؤلفات ابن سينا تدرس فى فرنسا منذ القرن الثالث عشر ، وقد أقر «لويس الحادى عشر » هذا النظام فى التعليم عندما نظم التعليم فى بلاده فى أواخر القرن الخامس عشر .

وكانت مؤلفات ابن سينا تدرس كذلك فى جامعة « بادوا » الأيطالية .

ولنرى الأستاذ البستانى يروى عن ابن سينا مايلى : -

« كان من أشهر الحكماء والأطباء العرب ، فهو أبقراط الطب ، وأرسطو الحكمة عند العرب والأفرنج ، وقد جمع فى فسيح صدره كتابات أرسطو ووعى فى خزانه معارفة حكمته وقواعده ، ونقل الأفرنج عنه أكثر ماعندهم من كتابات جالينوس وأبقراط ، ونشروا أشهر تأليفه فى اللغة العربية وترجموا أكثرها إلى لغاتهم ، وكان هو المعول عليه شرقاً وغرباً فى قواعد الحكمة والطب ، وقد أعترف له الجميع بالفضل ، فأفتخر به الشرق ، وأخذ عنه ومدحه الغرب وانتفع بتصانيفه .

إستعمال الخل فى العلاج

جاء فى كتاب « القانون » فى الطب « لابن سينا » عن إستعمالات الخل فى العلاج ما لا يختلف عما هو ثابت الآن فى مراجع الطب الحديث ، وقد أوردها ابن سينا كما يلى : -

« يمنع أنسياب المواد إلى الداخل ويلطف ويقطع وقد يشرب أو يصب على نزف الدم وإن كان خارجاً فيمنعه ، ويمنع الورم ، حيث يريد أن يحدث ، ويعين على الهضم ويضاد البلغم وهو نافع للصفراويين وضار للسوداويين .

ويطلى مع عسل على أثار الدم فينفع ولكن الأكثار منه يصفر ويمنع حدوث الأورام وسعى الغانغرينا ويشفى الحمرة ويمنع من سعى كل ورم وينفع من الداحس ويمنع من النملة والجمرة إذا طلى به أن يحدث منه الورم .

وإذا وضع على الجراحات صوف مبلول بخل منعها أن ترم ، ويمنع سعى القروح الساعية والجرب والقوباء وينفع من حرق النار أسرع من كل شيء . وهو ضار للعصب وإذا طلى مع الكبريت على النقرس نفع ، وإذا خلط بدهن زيت أو دهن ورد وضرب به ضرباً وبل به صوف غير مغسول ووضع على الرأس نفع مع الصداع الحار ، ويشد اللثة ، وكذلك التنطيل به والتمضمض به خصوصاً مع الشب ينفع من حركة الأسنان ودمويتها ، وبخار الخل الحار ينفع من عسر السمع

ويحده ويفتح سداد المصفاه بقوة ويحلل الدوى .

وأدمانه يضعف البصر . وهو صالح للمعدة الحارة والرطوبة ، وللشهوة ، ويعين على الهضم ، كل ذلك لدبغة المعدة ، وبخار الخل يحلل الإستقساء ، والأدمان منه ربما أدى إلى الأستقساء . ويبرد الرحم ويحقن بالخل المسخن والملح لقروح الأمعاء الساعية بعد الحقن اللينة .

ويستعمل فى السموم فيصب على النهوض ، وينفع من الأفيون والشوكران ، والخل المتخذ من العنب البرى ينفع من عضة الكلب وغير ذلك ، وقد يشرب سخناً على الأدوية القتالة فينفع » .

* العلاج النباتى *

(١) ذكر « ابن سينا » بأن العرقسوس يصفى الصوت وينقى قصبة الرئة والحميات » .

(٢) ذكر « ابن سينا » فى كتابه « القانون » بأن « نبات الحنظل» يقطع نزيف الدم ويشفى الجذام وداء الفيل والأورام والبثور وآلام المفاصل والرأس » .

* ذكر « ابن سينا » فى كتاب « القانون » أن نبات « الينبوت»
(الخرنوب النبطى) « يمنع التردد الكثير إلى دورة المياه » والأسم العلمى لهذا النبات هو Prosopis Stephaniana وبه مواد كربو هيدراتية وصموغ وحمض تانيك وغيره ، وهو يستخدم لعلاج مرض البول السكرى ، والذى ثبتت صلاحيته الطبية حديثاً فى هذا العلاج نتيجة للتجارب التى أجراها «الأستاذ الدكتور / فيصل دبدوب » عضو الجمعية العربية لتاريخ الصيدلة ، والتى يتشرف المؤلف بعضوية مجلس إدارة تلك الجميعة الموقرة ومقرها الدائم بالقاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية .

* يقول « ابن سينا » عن نبات البلسان (Commiphora Opobalsamum) وتسمى كذلك (Balsamodendrum opobalsamum) ويتبع العائلة (Burseraceae) وهو شجرة مصرية تنبت فى عين شمس فى مصر.

قال « ديسقوريدس » الطبيب اليونانى الذى ولد فى آسيا الصغرى فى القرن الأول بعد الميلاد ، وصاحب الجيش كطبيب فى تنقلاته فى بلاد البحر الأبيض المتوسط أن شجرة البلسان لاتكون إلا فى فلسطين ، ولكن جاء أطباء العرب بعده فأكدوا وجودها فى عين شمس أيضاً . ورآها المؤرخ « عبد اللطيف البغدادى » بنفسه ثم أختفى أثرها من مصر فى أوائل القرن السابع عشر .

يستعمل نبات البلسان فى علاج الأحشاء العليلة وعرق النسا شربا ، وفى وجع الجنبين والربو وضيق التنفس والرئة وسوء الهضم وينقى المعدة ويقوى الكبد ، وللمغص ، ومقاوم للسموم ، وينقى القروح ، ويجلو الغشاوة فى العين ويحد البصر ، ويدفع رطوبة الرحم وينشفها بخوراً ، وينفع من بردها ويخرج الجنين والمشيمة ، وينفع إذا دهن به جميع أوجاع الرحم ، وطبيخه يفتح فم الرحم ، وهو نافع من عسر البول والصداع والماليخوليا كما ورد فى الطب الشعبى عن هذا النبات .

طب الأسنان عند " ابن سينا "

أزدهر طب الأسنان عند العرب وأهم من كتب ومارس ذلك التخصص « أبو بكر محمد بن زكريا الرازى » فى كتابه « الحاوى فى الطب » ، وبعد ذلك يأتى « أبو القاسم الزهراوى » فى كتابه « التصريف لمن عجز عن التأليف » ثم « على بن عباس » فى كتابه « الكامل فى الصناعة الطبية » ، ثم « أبو على الحسين بن سينا » فى كتابه « القانون » فى الطب ، وأخيراً نجد « داود الأنطاكى » فى كتابه « تذكرة أولى الألباب » قد جمع الكثير من الوصفات المعالجة فى طب الأسنان .

وفى السطور التالية سنتعرض بإيجاز لما كتبه «ابن سينا » فى طب الأسنان فى الفصل السابع والثامن من كتابه الثالث من « القانون » فى الطب .

* فصل فى حفظ صحة الأسنان

قال « ابن سينا » من أحب أن تسلم أسنانه فيجب أن يراعى ثمانية أشياء هى : -

(١) أن يتحرز عن تواتر فساد الطعام والشراب فى المعدة .
(٢) أن لايلح على القىء خصوصاً إذا كان ما يتقيأ حامضاً .
(٣) أن يجتنب مضغ كل علك خصوصاً إذا كان حلوا كالناطف والتين العلك .
(٤) أجتناب كسر الصلب وأجتناب المضرسات .
(٥) أجتناب كل شديد البرد وخصوصاً على الحار وكل شديد الحر وخصوصاً على البارد ، وأجتناب أشياء تضر الأسنان بخاصيتها مثل الكرات .
(٦) أن يديم تنقية مايتخلل الأسنان من غير أستقصاء ، وتعد إلى أن يضر بالعمور وباللحم الذى بين الأسنان فيخرجه أو يحرك الأسنان .
(٧) أستعمال السواك بأعتدال ولايستقصى فيه أستقصاء يذهب ماء الأسنان . إذا أستعمل بأعتدال جلا الأسنان وقواها وقوى العمور ومنع الحفر وطيب النكهة ، وأفضل الخشب بالسواك مافيه قبض ومرارة .
(٨) يجب أن يتعهد تدهين الأسنان عند النوم مثل دهن الورد أن أحتيج إلى تبريد أو دهن البان والناردين أن أحتيج إلى تسخين ، وربما أحتيج إلى مركب منهما ، والأولى أن يدلك أولاً بالعسل أن كان هناك برد ، أو بالسكر أن كان هناك ميل إلى برد . وأن سحق الطبرزد وخلط بالعسل جلى ونقى وشد اللثة ثم يجب أن يتبع بالدهن . ومما يحفظ صحة الأسنان الدلك بالملح المعجون بالعسل ، وكذلك الدلك بالترمس ، والشعب اليمانى بشىء من المر. ومن الأدوية الحافظة أيضاً المسك والكافور والصندل والورد ودم الأخوين والعفص ودقيق الشعير .

أوجاع الأسنان

قد توجع الأسنان بسبب فى جوهرها ، أو سبب فى العصبة التى فى أصلها ، أو سبب فى اللثة وورم وزيادة لحم ثابت فيها أو لأسترخائها وترهلها فتقبل المواد الرديئة فتعفن فيها ، وتؤذى الأسنان وتجعلها قلقة ، وقد توجع الأسنان فى الحميات .

ذهاب ماء الأسنان

هو أن يكون الوجع مع البارد والحار والصلب وأكثره سبب برد . فإذا كان السبب برد فيستعمل حب الفار والشب والزراوند الطويل والتكميد الدائم بصفرة

بيض فأن لم يسكن الوجع ذلك بابا ، رج فيفر فأن لم ينجح فالترياق ودهن الخردل والقطران المسخن إذا مسح به مراراً .

وأن كان السبب مزاجاً حاراً وهو قليل فيجب أن يدام تمريخ الأسنان بدهن الورد المفتت فيه كافور وصندل .

*** الأدوية المحللة المستعملة فى أوجاع الأسنان المحتاجة إلى التحليل : -**

* **مضمضات** : تمسك فى الفم مدة طويلة مثل خل مطبوخ فيه حنظل أو خل مطبوخ فيه عفص أو خل مطبوخ فيه بنج أو خل مخلوط يكندس .

* **غرغرات** : بنفس الأدوية المستعملة فى المضمضات .

* **مضوغات** : من نفس الأدوية المذكورة أو يؤخذ فوتنج جبلى وعاقر قرحا وفلفل أبيض ومر ويعجن بلحم زبيب وبندق ويمضغ منه بندقة بندقة .

* **لطوخات وأطلية** : من نفس الأدوية المحللة تجمع بماله قوام مثل العسل ويؤخذ للضربان خردل مسحوق يوضع على أصل السن .

* **كمادات من خارج** : تستعمل قبل الطعام بساعتين أو بعده بأربع ساعات، وهذا يحتاج إليه لشدة الوجع وللتكميد بالملح والجاروش أو بالزيت المسخن أوبالشمع الذائب ، وقد تكمد اللحى تكميداً بعد تكميد ليجذب إليه المادة فإذا ورم اللحى سكن الوجع .

* **كاويات** : يطبخ الزيت ببعض الأدوية المحللة المذكورة أو وحده ، وتؤخذ مسلة تحمى وتغمس فى ذلك الزيت وتنفذ فى تجويف أنبوب وتنهدم على السن الوجعة ، وقد جعل على ماحواليه شمع أو عجين أو شىء آخر يحول بين السن وما حواليه من الأسنان والعمور .

وربما أحتيج فى الكاويات إلى أن تثقب السن بمثقب دقيق لتنفذ فيه الكاويات وإذا لم تنجع المعالجات كويت السن بالمسلة المحماة مرات حتى يسكن الوجع .

* **دلوكات** : تتخذ مما سلف ، والزنجبيل بالعسل ولوك جيد وأيضاً الخل والملح.

ـنب الأسنان وتآكلها (دود الأسنان)
سببه رطوبة رديئة تتعفن فيها ، ويؤدى إلى وجع وضربان بسبب المادة
يئة التى تنشأ من المعدة أو من الرأس . فإذا كان الوجع بمشاركة عضو مثل
س ، نبدأ بتنقية العضو المشارك بقصد أو بأسهال مثل الأيارج وشحم الحنظل
السقمونيا أو بالغرغرات المنقية للرأس .
– وإذا كان الوجع فى نفس السن (وليس فى اللثة) يستعمل دهن
ردين ودهن اللبان ، وإذا كان الوجع سببه الدود والتآكل ، فالعلاج الآتى
ـقط العفن (الدود) الموجود بالأسنان : بذر بنج ٤ درهم ، بذر كرات ٤
هم، بذر بصل ٢,٥ درهم ، يعجن الجميع بشحم الماعز ويأتى كل حبة وزن
هم ويبخر منه بحبة مع تغطية الرأس بالقمع أو بمسك وحده .
تحشى السن بمصطكى وسعد ، أو بمر ، أو بعفص وحضض ، أوبقنة وكبريت
ـفر وحضض ، أو بميعة وأفيون ، أو بمسك وسعد ، أو بمسك وحده .
أما الكافور فنافع جداً فى الحشو ، ويمنع زيادة التآكل ويسكن الألم ، ويجب
يحشى بعنف وشدة كى لايزيد الوجع .
وإذا لم يسكن الوجع يقطر فى السن المتآكل زرنيخ مذاب فى الزيت
غلى فيه) ، ومما ينفع أن يقطر فى جانب السن المأكولة دهن اللوز . وربما
حتيج فى الكى إلى أن تثقب بمثقب دقيق لينفذ فيها الدواء الكاوى ، وإذا لم
جع المعالجات كويت السن بالمسلة المحياة مرات حتى يسكن الوجع . فإذا لم
ـكن الوجع بعد ذلك قلعت السن .
ـبير قلع الأسنان : السن الوجعه ربما لم تقبل علاجاً البته أو كلما سكن
وجع عاد عن قريب .
قبل القلع يجب التأكد من أن الوجع فى السن نفسها وليس فى اللثة أو فى
عصبة التى تحت السن .
الأصوب أن يشرط حوالى السن بمضغ ويستعمل عليه الدواء فمثلاً يؤخذ
شور أصل التوت وعاقر قرحا ، ويسحق فى الشمس بخل ثقيف حتى يصير
العسل ثم يطلى به أصل السن فى اليوم ثلاث مرات ، أو يسحق العاقص قرحا
بشمس فى الخل أربعين يوماً ثم يقطر على المشروط ، ويترك عليه ساعة أو

ساعتين ثم يجذب فيقلع أو يؤخذ عروق صفر وقشور التوت من كل واحد جزء ومن الزرنيخ الأصفر جزئين يعجن بالعسل ويجعل حوالى الضرس مدة فأنه يقلعه. وأن كانت السن ضعيفة ، فأذب الشمع مع العسل فى الشمس ثم قطر عليه زيتا أو مر ليمضغه .

أمراض اللثة

إذا كان هناك ورماً باللثة والعمور فنبدأ بوضع دهن الورد والمصطكى على اللثة ثم نرسل على أصول الأسنان العلق . أويفصد العرق الذى تحت اللسان أو يحجم تحت اللحية وإذا كان الوجع شديداً نلصق على أصل السن عاقر قرحا مع كافور ونقيدهما كلما أنحلا ، وأن زاد الوجع تستعمل أفيون مع دهن الورد. اللثة يعرض لها الأورام بسبب مادة تنزل إليها فى أكثر الأمر من الرأس وقد يكون بمشاركة المعدة ، وقد يعرض لها أورام فى أبتداء الأستسقاء ، وعروض سوء القنية يستدل على جنس المادة باللون واللمس .

إذا كانت المادة حارة أستعمل الأستفراغ وفصد الجهارك وعولج فى الأبتداء بالمضمضات المبردة ، وفيها قبض مثل ماء الورد واللبن الحامض وماء الآس ، ولدهن شجرة المصطكى قوة عجيبة فى تسكين أوجاع اللثة وإذا كانت اللثة لاتزال تنتفخ وتورم ولاتبرأ أحتيج إلى كى أجوده أن يؤخذ الزيت المغلى بصوفة ملفوفة على مبسل مراراً حتى تضمر وتبيض .

فصل فى اللثة الدامية

ينفع منها الشب المحرق المطفأ بالخل مع ضعفه ملح الطعام ومثله ونصفه سورى ينثر عليه .

فصل فى قروح اللثة وتآكلها ونواسيرها

بعضها ساذجة وبعضها مبتدئة فى التعفن وبعضها آخذه فى التآكل . أما الساذجة فعلاجها علاج القلاع ، وأما الآخذة فى التعفن فيجب أن تعالج بمثل الأبهل والحسك ، فأن نفع وإلا أخذ من الحفص جزءا ، ومن المر نصف جزء ، وجمع يدهن الورد وأستعمل . ومن المضمضات النافعة المضمضة بخل العنصل ، والمضمضة بألبان الأتن ، والمضمضة بسلافة ورق الزيتون وسلافة الورد .

نقصان لحم اللثة

يؤخذ من الكندر الذكر ومن الزراوند المدحرج ومن دم الأخوين ومن دقيق الكرسنه وأصل السوسن أجزاء سواء يعجن بعد السحق بعسل وخل العنصل ويستعمل دلوكا .

استرخاء اللثة

أن كان يسيرا فيكفى فيه التمضيض بما طبخ فيه القوابض مثل الشب المطبوخ فى الخل . وأما إن كان كثيراً فالصواب فيه أن يشرط ويترك الدم يجرى ثم يتمضمض بعد ذلك بسلاقة القوابض .

تغير لون الأسنان

قد يكون ذلك من القلح الذى يتكون على الأسنان أو من مادة رديئة تنفذ فى جوهرالسن تغير لون السن إلى باذنجانية .

الأول : يعالج بما يجلو وينقى مثل زبد البحروالملح والحرق المسحوق ورماد الصدف والملح الأندرانى . ومما يبيض فى الحال سحيق الفخار الصينى أو سحيق الزجاج .

الثانى : يعالج بما يحلل المادة ويخرجها ويجلو معاً مثل الفلفل والفوذنج والقسط والزراوند المدحرج .

تفتت الأسنان وتكسرها

غالباً العلاج يكون بتقوية السن بالقوابض القوية والشب والنوشادر قوى التأثير .

تسهيل نبات الأسنان

العلاج بالدلك بالشحوم (الحنة والسمن ودهن السوسن) .

أورام الشفتين وقروحها

يبتدأ فيها بإستفراغ الخلط القالب ثم تستعمل الأدوية الموضعية ، أما الأورام فهى قريبة الأحكام من أورام اللثة .

* « رسالته فى الموسيقى » *

هناك جانب آخر من الفنون الحسية كان لابن سينا فضلا كبيرا على هذا العلم، وأعنى به هنا الموسيقى . نرى فارقاً كبيراً بين الموسيقى اليوم ، وبين الموسيقى العربية والغربية ، لكن هذا الفارق هو نتيجة طبيعية لأستعداد الشعوب واختلاف نفسياتها ، مما لايقف حائلاً دون أعترافنا بفضل ابن سينا وغيره من لهم دراسات عميقة فى هذا المجال ، مما دفع « ترند » إلى القول : -

« إن نظرية الموسيقى الأوربية تأثرت كغيرها من نواحى المعرفة فى العصور الوسطى بالمؤلفين المسلمين » .

كذلك يقول « ويلز » : -

« إن الغرب لم يعرف أى نوع من أنواع الأنسجام الموسيقى فى العصور الوسطى حتى زمن الحروب الصليبية ، عندما قويت الصلات بين أوروبا والبلاد الأسلامية » .

منذ ذلك الوقت أخذ يظهر فى موسيقى الغرب نوع من التوزيع الغنائى وأنسجام الألحان ، فضلاً عن تطور تدوين النوته الموسيقية ، ولا شك فى أن الفضل فى ذلك التطور الذى أحرزته الموسيقى الأوربية منذ القرن الثانى عشر - عندما أنتشر التوزيع الغنائى والأنسجام الموسيقى (الهارمونى) إنما مرده إلى تأثير ابن سينا وعلماء الموسيقى العرب وجهودهم .

قرأ ابن سينا أبحاث اليونان فى الموسيقى ، ثم زاد عليها بأن تتلمذ على (الفارابى) فى الموسيقى ، وقرأ مؤلفات (الكندى) المتوفى سنة ٨٧٣م، فقرأ ابن سينا للكندى عدة كتب منها : -

رسالة فى ترتيب النغم - رسالة فى الإيقاع - رسالة فى المدخل إلى صنعة الموسيقى .

قرأ للفارابى كتابه « الموسيقى الكبير » وكتاب « كلام فى الموسيقى » وكتاب « فى إحصاء الإيقاع » ، وألف ابن سينا فى الموسيقى ثلاث رسائل

أهمهما وردت فى كتابه « شفاء النفس » .

وقد أدخل عدة تجديدات على الإيقاع الموسيقى ، وعلى الديوان الموسيقى ، الذى يتألف من نغمات موسيقية بينهما مسافات معينه . ويتألف الديوان كما يلى : -

(قرار جاركاه ، باكاه ، عشيران ، عجم عشيران ، رابت، دوكا ، سيكا ، جاركاه) .

وتلك النغمات لها مقابلاتها فى الموسيقى الغربية هى : -

(دو . رى . مى . فا . صول . لا . سى . دو) .

وتلك النغمات بمسافات موسيقية معينه هى : -

(١ ، ٩/٨ ، ٥/٤ ، ٤/٣ ، ٣/٢ ، ٥/٣ ، ١٥/٨ ، ٢)

وبالتالى يتألف من تلك النغمات السلم الموسيقى (Musical Scale) وقد أدخل ابن سينا عدة ألفاظ ومصطلحات موسيقية نقلها الأوربيون عن مؤلفاته بألفاظها العربية إلى مؤلفاتهم ، فلفظ Lute مأخوذ عن عود ، ,Guitar مأخوذ من قيثاره ، و Rebec أو Ribible مأخوذ من رباب و Naker من النقارة ، و Kanoon مأخوذ من القانون ، و (Timbal) مأخوذ من الطبل .

وقد دفع الأعتراف بالفضل Young عندما عبر عن هذه الأضافات التى ابتكرها العرب بالقول بأنها : - « خلقت لنا ثروة عظيمة فى نوعها ، ومقدارها » .

فلولا كتابات ابن سينا وغيره فى الموسيقى لما أستطاع الموسيقى الألمانى «لودفيج فان بتهوفن » أن يتجلى بأروع ألحانه فى « اللحن الجنائزى » ، وفى سمفونياته الخالدة ، ولما تمكن « موزارات » من صوغ الطبيعة فى وجدانه فى قالب موسيقى .

« رسالته فى الرياضيات »

ألف ابن سينا فى الرياضيات والطبيعيات كتاب « الشفاء » ، وكتاب «النجاه » وكتاب « الأشارات » وكتاب « حكمة العلائى » وكتاب « رسالة فى الفلك » وكتاب « مختصر أقليديس » لكن من المؤسف حقاً أن كتابه «الشفاء » جاء به كثير من التشويه ، وكذلك نجد أن كتاب « النجاه » ظهرت

طبعاته مبتورة ، فإذا بحثنا عن الجزء الرياضى وعن الطبيعة لم نعثر لها على أثر ، ولا أحسب أن الشيخ الرئيس يغفل هذا الجزء الهام فى مؤلفه ، ولا أدل على قوله عن نفس مؤلفه : - « وسألونى أن أبدأ فيه بإفادة الأصول من علم المنطق ثم أتلوها بمثلها من علم الطبيعيات ثم أورد من علمى الهندسة والحساب ما لابد منه لمعرفة القدر الذى يقرن بالبراهين على الرياضيات ، وأورد بعده من علم الهيئة مايعرف به حال الحركات والأجرام والأبعاد والمدارات والأطوال والعروض دون الأصول التى يحتاج إليها فى التقاويم وماتشتمل عليه الزيجات مثل أحوال المطالع والزوايا وتقويم المسير بحسب تاريخه إلى غير ذلك ، وأن أختم الرياضيات بعلم الموسيقى ، ثم أورد العلم الألهى على أبين وجه وأوجزه وأذكر فيه حال المعاد وحال الأخلاق والأفعال النافعة فيه لدرك النجاة من الغرق فى بحر الضلالات ، فأسعفتهم بذلك ، وصنفت الكتاب على نحو ملتمسهم ».

وقد أضاف ابن سينا حيث قال : -

« أن الرياضة حسابها وهندستها وهيأتها وموسيقاها كانت من ملتمس أصدقائه ، وأن أجابهم إلى هذا الملتمس دون أن يستثنى منه شيئاً » .

وأورد فى هذا الكتاب ستة مقالات تحتوى على خمسة وأربعين فصلاً صدرها بأبانة المبادىء التى يجب على مزاول علم الطبيعة أن يتقلدها ، ثم تناول بعد ذلك الأجسام من جهة تجوهراتها ولواحقها ومايعرض لها من تغيرات متعاقبة ،

ثم عرض للحركة فأبان عللها وأنواعها ، وفرق بين المستدير منها والمستقيم، ومايتجزأ منها وما لايتجزأ ، ومايتضايف منها إلى بعضه أو يتعارض معه ثم شرح الزمان والمكان ، والمتناهى واللامتناهى ، ثم تحدث بعد عن الأجسام العامة وصورها وكيفياتها وأشكالها ، وبسائطها ومركباتها وماتشغله من أحياز.

وما يعرض لها من حرارة وبرودة ، ورطوبة ويبوسة ، ثم تناول ماتمتاز به ثانيتها عن أولاها ، وثالثتها عن ثانيتها .

وعالج ابن سينا فى كتابه « الأشارات » أدق مسائل الرياضة والطبيعة .

أنقسام الذرة : -

ففى هذا القسم أثبت ابن سينا أن الذرة قابلة للانقسام ، وهذا القول أيدته

حاث الحديثة ، والتجارب التى قام بها « جاى لوساك » و « بوهر
رفورد » و « لوثر ماير » . فى بدايات العصر الحديث .
وأورد فصلاً عن إستحالة المادة وتطوراتها ، وقد أثبتت التجارب التى قامت
ى العناصر الذرية المشعة مثل الراديوم والبلوتينيم ، أن هذه العناصر المشعة
حول إلى عناصر أخرى تبعاً لنصف عمرها وفى مدى معين إلى أن تصل إلى
لة الأستقرار وهى الرصاص .

لم الفلك : -

ن المعروف أن العرب تقدموا فى هذا العلم وقطعوا فيه شوطاً بعيداً ، بل إنهم
صلوا إلى بعض النتائج والأرصاد الدقيقة التى نفخر بها اليوم ، كما ألفوا من
كتب ما ظلت مراجع هامة لبضع مئات من السنين . تلك النتائج كانت ثمرة
هود علماء الفلك العرب ، مثل البيرونى ، وابن سينا وغيرهم ومما يؤسف له
يوم حقاً أننا نخلط بين التنجيم وعلم الفلك ، بل أن البعض يعتقد أن الفلك ما
و إلا تنجيم وحساب للطالع وشفاء للمريض وذلك لقلة المعرفة بهذا العلم الذى
شرح مبادئه بطريقة سهلة لايملها كل متعطش إلى الثقافة بوجه عام .
قد كانت كتابات ابن سينا فى الفلك مرجعاً للباحثين ، فكتب فى كتابه
« الأشارات » فصلاً فى هذا العلم ، شرح فيه الأفلاك وحركاتها المدارة بالعقول،
رماتحدث هذه الحركات من آثار فى الطبيعة .
وكثيراً ما كانت تقوم المناظرات بين ابن سينا وأبو الريحان البيرونى فى الفلك ،
من ذلك رسالة بعث بها إليه ، أجاب فيها على عشرة أسئلة فى الفلك ، ورسالة
أخرى أجاب فيها على ستة عشر سؤالاً فى هذا العلم .

"تقسيم العلوم"

كان الفلاسفة العرب يعتبرون أن الفلسفة فى ذلك الزمان تحوى جميع العلوم ،
والمقصود بتلك العلوم : العلوم الرياضية والطبيعية .
كانت الفلسفة تدخل فى فروع العلم ، أو هى قائمة عليه ، من ذلك ما ذكره ابن
سينا فى أحدى رسائله المسماه « فى أقسام العلوم العقلية » قال يعرف
الحكمة : « بأنها صناعة نظر يستفيد منها الإنسان فى تحصيل ما عليه الوجود
كله فى نفسه ، وما عليه الواجب مما يجب أن يكسبه فعله ، لتشرف بذلك نفسه

وتستكمل ، وتصير عالماً عقلياً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود ، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة ، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية » .

وفى هذا التعريف نجد أن ابن سينا يجعل الحكمة ملازمة للفلسفة ، وتنقسم الحكمة إلى قسمين : نظرى وعملى .

النظرى بغيته الحق ، والعملى غايته الخير . وتنقسم الحكمة النظرية ثلاثة أقسام : الطبيعيات والرياضيات والإلهيات . ويعرف الإلهيات فى اللغات الأوربية بأسم الميتافيزيقا . وأقسام الحكمة العملية هى : - الأخلاق ، وتدبير المنزل ، والسياسة .

والحكمة الطبيعية منها أصلية ومنها فرعية ، فالأصلية ثمانية أقسام ، كل قسم منها يشرحه كتاب يعد عمدة فى موضوعه وهى : -

سمع الكيان ، والسماء والعالم ، والكون والفساد ، والجزء الأول من الآثار العلوية الذى يشرح ظواهر الشهب والسحب والرعد والزلازل وغير ذلك ، والمقالة الرابعة من كتاب الآثار العلوية وهى الخاصة بالمعادن وكتاب البنات ، وكتاب الحيوان ، وكتاب النفس .

الحكمة الفرعية الطبيعية هى : الطب ، وأحكام النجوم (وهو يختلف عن علم الفلك والهيئه) ، ثم علم الفراسة ، وعلم التعبير ، وعلم الطلسمات ، وعلم النيرنجيات ، وعلم الكيمياء .

أقسام الحكمة الرياضية الأصلية أربعة هى : الحساب والهندسة ، والفلك والموسيقى ، ولها فروع عددية وهندسية كثيرة .

يبحث علم أحكام النجوم فيما يقول ابن سينا : -

« علم تخمينى الغرض منه الأستدلال من أشكال الكواكب بقياس بعضها إلى بعض وبقياسها إلى درج البروج وبقياس جملة ذلك إلى الأرض على مايكون من أحوال أدوار العالم والملك والممالك والبلدان والمواليد والتحاويل والتسايير ».

أما علم التعبير فهو : - « الغرض منه الأستدلال فى المتخيلات الحكمية على ما شاهدته النفس من علم الغيب فخيلته القوة المخيلة بمثال غيره » .

والعلم الإلهى (الميتافيزيقا) يبحث فى أصول الطبيعيين والرياضيين ، وفى إثبات وجود الله ، وإثبات جوهر الروح ، وكذلك المسائل التى تدخل فى نطاق

بحث علم ما بعد الطبيعة .

من ذلك التقسيم نرى أن ابن سينا يحذو حذو أرسطو وشرحه من الإسكندرانيين فى تقسيم العلوم ، وجعلها أقساماً متشعبة عن الفلسفة .

[الإسكندرانيون : ينسبون إلى الفليسوف المصرى « أفلوطين » الذى ولد فى مدينة الأسكندرية ونهل من منهلها العذب ، لأنها حضارة العلم فى ذلك الوقت وقد بعث الروح فى الفلسفة الأفلوطونية ، وكانت لغة الكتابة عنده اليونانية ، وهو صاحب التاسوعات التى فصل فيها عملية الفيض عن الواحد ، وقد أثر بفلسفته على فلاسفة المسلمين . وسمى متبعين مذهبه بأسم الأسكندرانيين] .

يحذو ابن سينا حذو أرسطو فى أعتبار المنطق آله للعلوم ، لذلك أفرد له قسماً خاصاً من أقسام الحكمة ، ولم يسلكه من جمله الحكمة النظرية . لكنه يختلف مع أرسطو ، فهو يجعل من فروع العلم الإلهى معرفة نزول الوحى وعلم المعاد ومايتصل بذلك من السعادة والشقاء فى الآخرة .

علماً بأن تلك المسائل التى تبحث فى الوحى والنشور والساعة من العلوم الدينية لا الفلسفية .

مهما يكن من مخالفة ابن سينا للعرف المتبع وقتئذن ، فأنه قدم إلى طالبى العلم أيضاحاً جديداً فى تقسيم العلوم ، أحبه سابقاً به إلى الكمال ، مما حذى حذوه غيره من الفلاسفة .

« رسالته فى الفلسفة »

من أنا .... ومن أنت ، وماسر ذلك العالم المتضارب الرأى ، المشتت الذهن، الساعى وراء الهدف ، وما هذا الوجود الذى حولى ؟ أهو جزء منى ، أم أنا عضو فيه ، أم كلانا شىء واحد لايمكن تجزأته ..... وما سر تلك الأضواء البراقة التى تلمع فى ظلمات الليل ، وتسبح فى مملكة الله .... ولكن ماهو الله سبحانه وتعالى ... وما معنى الخلق ، والكون ، والأبد ، والنهاية .

بلا شك ... أننا فى خلقنا وفى أنفسنا نقيم الدليل على وجود الله سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه واحد ... أحد ... فرد ... صمد ، وصفوة القول حديث الله سبحانه وتعالى القدسى : - « كنت كنزاً مخفياً ، فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فيه عرفت » . إن وراء كل نفس بشرية ، أشياء تضطرم صداها فى جوانبه

ولايعرف لها حلا ، بينما يعرف البعض منا تلك الحلول ، وذلك هو الفارق بين أى فرد منا وبين الفيلسوف . فالفيلسوف يفكر ... ويفكر ويتدبر فى الشىء حتى يخرج بفرض ، يطبق عليه قواعد القياس والأستدلال وما نحو ذلك من المنهج الرياضى فى الفلسفة ، وبذلك يتم الأختبار عليه ، فإذا ثبتت جديته ، صار نظرية كاملة ينتفع بها البشر جميعاً ، فإذا كان العلماء قد أناروا لنا الطريق ، وأضائوا شعلة العلم فى العقول ، فإن الفلاسفة أصلحوا ما أفسدته القلوب ، وطهروا النفس من شوائب الضلاله على مر الزمان .

ولكن ذلك ليس مدعاه أن يكفر الفيلسوف بالله ... وبوجوده ، لأنه فى تلك الحالة قد أضل نفسه قبل أن ينقذ الناس ، وتضاءل كثيراً ونسى أن الله سبحانه وتعالى قال « وفى أنفسكم أفلا تعقلون » .

دواؤك فيك ولاتشعر ... وداؤك منك ولاتبصر

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك أنطوى العالم الأكبر

فكأنى بابن سينا اليوم وهو يصيح فى الفلاسفة من بعده بقول الله تعالى :

« كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم ثم إليه ترجعون» فقد عمل ابن سينا على تقريب وجهات النظر بين آراء أرسطو من ناحية والمبادىء الدينية السماوية من ناحية أخرى .

على حين أن ابن رشد رفض أن يحيد عن طريقته من أجل ذلك الغرض وأختار أن يعبر عن آراء أرسطو تعبيراً دقيقاً مما جعل الناس يتهموه بالزندقة والكفر والإلحاد .

ولست بتلك المقدمة أفترى بها على ابن رشد بصفه خاصة ، فأثره وأسلامه أجل من أن ينكر ، ولكن كثيراً من الفلاسفة أختلفوا مع الدين الإسلامى ، فلما نبذهم الناس ، كفروا بالله وتلك جريمة لايغفرها الله . بل أكثر من ذلك كان بين الفلسفة والدين عداء مستمر منذ ظهورها على مسرح الحياة الإسلامية ، وانتهى الصراع بينهما إلى تغلب الدين فقضى على الفلسفة قضاءاً مبرماً ، وحرم الأشتغال بها ، وعدت من جملة الزندقة والإلحاد .

ولم يعاد أعتبارها إلا منذ أوائل القرن العشرين ، فعادت إلى الظهور ، ولم تعد الفلسفة بدعة أو كفراً ، لقد تعلم ابن سينا الفلسفة عن الفارابى ، وكانت

حينئذ خليط من مثالية أرسطو ، وفلسفة أفلاطون ، وفلسفة أفلوطين المحدثة ، والفيثاغورثية وأطرافا من الفلسفة الهندية والفارسية ، ودليل ذلك ماقاله « ابن خلكان » فى وفيات الأعيان : -

« والرئيس ابن سينا بكتبه تخرج ، وبكلامه أنتفع فى تصانيفه » .(أى بكتب الفارابى) .

قال بعض المستشرقين : -

« وليس شىء مما يوجد فى فلسفة ابن سينا ، وابن رشد إلا وبذوره موجودة عند الفارابى » وقد ألف ابن سينا فى الفلسفة « الشفاء » و « النجاة » و « الأشارات » ، و « الحكمة المشرقية » . وكتابه الحكمة المشرقية دار فيه خلاف عظيم ، فقد أراد ابن سينا أن يوضح فيه مذهب الأشرافيين ، الذى قال عنه « ابن طفيل » فى رسالة « حى بن يقظان » أن ابن سينا كتب الشفاء متأثراً بمذهب « المشائين » . وقد سمى تلاميذ ابن سينا الذين أتبعوا الفلسفة المشرقية « بالمشرقيين » .

ولاندرى أيهما أصح ، قول بعض تلاميذه ، بأن المشرقين منسوبة إلى المشرق لا إلى الأشراق ، ويكون معناها بناء على ذلك : حكمة أهل الشرق من الهنود والكلدانيين ، وهذا رأى خاطىء ، ولعلهم فى ذلك يريدون تشويه تلك الفلسفة أم قول بعض تلاميذه ، بأن الفلسفة المشرقية هى بمثابة تخطيط جديد للفلسفة الأسلامية على ضوء من تعاليم الأغريق . ومع ذلك فلكل رأى مؤيديه ، ولكنى أرجع الرأى الثانى ويؤيدنى فى ذلك قول الدكتور « أحمد فؤاد الأهوانى » فى كتابه : -A. E.El Ehwany : Islamic Philosophy

حيث قال : القائلون بفلسفة عربية يذهبون إلى أنها كتبت باللغة العربية ، وأنها ترجمت أولاً إلى العربية ، ثم ألف فيها الفلاسفة بعد ذلك وأضافوا إليها بالعربية ، ولكننا يجب أن نذكر أن ترجمة الفلسفة اليونانية إلى العربية ليس سبباً كافياً للقول بأنها عربية لأن أئمه الفلاسفة لم يكونوا عربا بل تركا كالفارابى ، أو فرسا مثل ابن سينا ، وأن بعض الفلاسفة ألفوا بالفارسية ، ومع ذلك يكون فكرهم جزءاً من هذه الفلسفة الإسلامية وتسمى كذلك لأن العنصر الجديد الذى أثر فى الفلسفة اليونانية والإسكندرانية وغيرهما فى تلك الفلسفة

التى نقلت إلى اللغة العربية ، هو الإسلام الذى كان على الفلاسفة أن يعملوا له حساباً وأن يوفقوا بينه وبين هذا العنصر الجديد وبين غيره من الأنظار الفلسفية».

مهما يكن من أمر تلك الفلسفة المشرقية ، فقد كان تأثير فلسفة ابن سينا عامة كبير فى العالم الغربى ، وتركت ترجمات مؤلفاته إلى اللاتينية والإنجليزية والفرنسية وغيرها ، أبلغ الأثر فيمن تتلمذ على يدى ابن سينا من الأوربيين ، من ذلك قول « ترند » : -

إن أعظم ما خلفه المسلمون للفكر الأوربى هو أعمال فلاسفتهم ، مثل الفارابى(توفى ٨٥٠) م ، والكندى (توفى ٨٧٣) م وابن سينا (توفى١٠٣٧) م ومن المعروف أن « ديموند » أسقف طليطلة أشرف على ترجمة أعمال الفارابى وابن سينا والغزالى وغيرهم .

فبفضل فلسفة ابن سينا وغيره من فلاسفة العرب ، عقدت حلقة بين الفكر الإغريقى بعد أن مهده الفكرالعربى - وبين العقلية الأوربية التى كانت حينئذ لم تعرف من أرسطو حتى أسمه ، فأتصال العقلية الأوربية الغربية بالفكر العربى هو الذى أثار حماسة الأوربين لدراسة الفلسفة اليونانية . مما جعل الأستاذ « جيوم » يتساءل إذا لم يكن التأثير الأول الفعال عربياً فيكيف نفسر أختلاط أسم أرسطو بالتعاليم المنسوبة إلى ابن سينا أجيالاً طويلاً وأيده فى هذا الرأى (روجربيكون) .

تحديد الإتجاه :

تأثر ابن سينا فى شبابه بالإسماعيلية والمذهب الباطنى ، وكان يسمع رسولهم يتحدث إلى أبيه وأخيه الأكبر ، يتناقشون فى أمر النفس والعقل على طريقتهم ، ولكنه كما قال فى حديثه : - « لم يقبل هذا المذهب وانصرف عنه».

والأصح أنه كان مستقلاً فى تفكيره أرتفع عن السنه والشيعه جميعاً ، وخرج بمذهب (سينوى) جديد . ولذلك كان من العبث البحث عن عقيدته أهى شيعية أم سنية ، لأنه بإعتباره فيلسوفا كان ذا نظر مستقل إلى الحقيقة سواء أكانت فلسفية أم دينية . ويكفى أن ضرب صفحاً عن سائر الأدلة التى كانت شائعة لإثبات وجود الله ، ونادى بنظرية جديدة هى أن الله واجب الوجود ،

وذلك بعد تقسمة الموجود قسمة عقلية إلى واجب ، وممكن ، وممتنع ، إنه إذن صاحب مذهب فى الوجود إن لم يكن مبتكراً كل الإبتكار فهو على الأقل متميز عن غيره كل التميز ، ومن أجل ذلك أصبح الشيخ الرئيس مثالاً للفلسفة الإسلامية ، بعد أن أتضحت معالمها على يديه ، فهو يقول بإرتباط العالم كله بجميع أجزائه من لدن واجب حتى عالم العناصر والهيولى المحض . وقد كان هدف ابن سينا الحقيقة وحدها ، دليل ذلك ماقاله فى أول « الشفاء » . أن الغرض من الفلسفة الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر مايمكن الإنسان أن يقف عليه .

وكما وجدناه جاداً فى البحث عن الحقيقة نجده فى « الأشارات » جاداً فى أثبات أن الله واجب الوجود بطريقة الصوفية حيث قال : -

ثم إذا بلغت به الإرادة الرياضة حداً ما عنت له خلسات من إطلاع نور الحق لذيذة كأنها بروق تومض ثم تخمد عنه .

وقد علق « ابن طفيل » على هذا الكلام فى رسالة حى بن يقظان : - فهذه الأحوال التى وصفها إنما أراد بها أن تكون له ذوقاً ، لا على سبيل الإدراك النظرى المستخرج بالمقاييس وتقديم المقدمات وإنتاج النتائج .

أهداف الفلسفة : -

عرف ابن سينا الفلسفة بأنها صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ماعليه الوجود كله فى نفسه ، وما الواجب عليه عمله مما ينبغى أن يكتسب فعله ، لتشرف بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود ، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسب الطاقة الأنسانية ، ومن هذا التعريف نتبين تلك الأهداف التى سارت عليها الفلسفة الإسلامية بصفه عامة ، وفلسفة ابن سينا بصفه خاصة ، فيما يلى : -

١- البحث عن المبادىء الأولى ، أو الجواهر الأساسية والعلل الفاعلة للأشياء حتى ينتهى هذا البحث إلى العله الأولى .
٢- البحث العقلى الحر المنظم عن أسرار الكون وخفايا الوجود .
٣- البحث عن من أين ، وإلى أين ولماذا .
٤- البحث عن مايمكن معرفته ومايجب فعله .

فلسفة الواقع :

يحكى عن ابن سينا أن إحدى تلاميذه دعاه إلى أدعاء النبوة فتريث فى الرد لحظة ثم قال : -

كيف أدعى النبوة ولم يمضى على موت النبى الإربعمائة عام وكان ذلك فى ليلة من ليالى الشتاء القارسة وعندما أذن المؤذن لصلاة الفجر ، أيقظ « ابن سينا » تلميذه هذا وطلب منه أن يخرج خارج البيت ليحضر له الماء من البئر ليتوضأ ويصلى الفجر ، فأظهر علامة الأمتعاض وعدم الموافقة ، فرد عليه ابن سينا حيث قال : -

كيف تطالبنى بادعاء النبوه ، فقد كان النبى محمد عليه الصلاة والسلام يطلب من أصحابه الطلب ، فما ردوه أبداً فى طلبه » .

حقاً تلك أخلاق العلماء ، وأيمانهم بالله سبحانه وتعالى . وتلك الرواية أرى أنها حدثت فى سنة (٤١١ هـ - ١٠٢٠م) ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم توفى سنة (١١هـ - ٦٣٢م) .

ينبوع الأمل : -

كانت رسالة ابن سيناء فى الفلسفة ، رسالة سامية متكاملة الأركان محددة الهدف ، فبفضل فلسفة ابن سينا تحرر الكثيرين فى أوربا من ظلمات الجهل الذى طبق على الأعين والنفوس ، ومن تلك القيود التى فرضتها الكنيسة ، لدرجة أن نفس رجال الكنيسة تأثروا بفلسفة ابن سينا ، وعلى سبيل المثال القديس «توما الأكوينى » ، ومن الفلاسفة المحدثين « رينيه ديكارت » فإذا أعتبرنا أن فلسفة ديكارت كانت نقطة أنتقال الفكر الأوربى من عهد محاكاة الأغريق إلى عهد الأصالة والأنطلاق ، فإن فلسفة ابن سينا مرحلة انتقال من فلسفة الأغريق التى لم تنحو بالمسائل وجهه عملية ، إلى الفلسفة الأسلامية التى أتجهت أتجاهاً عمليا بالفلسفة ووضعت الجدية فى الفلسفة المشائية وفلسفة أفلوطين ، فكان حقاً علينا أن نقول ويقول معنا الأوربيون ، بأنه لولا فلسفة ابن سينا وغيره من فلاسفة العرب ، لكان من المتعذر على ديكارت أن يفسر الوجود

فلسفياً على « الأساس الديناميكى » ولكان من الصعوبة بمكان أن يصل الفيلسوف الألمانى (كانت) إلى حل معضلاته الفلسفية ، ولا أستطاع الفيلسوف الأمريكى « أنشتناين » من سبك معادلاته الرياضية .

أن علينا أن نعترف بالحقيقة ، بغض النظر عن أهانتها للآخرين ، فالأفراد زائلون ، والحقيقة خالدة . وعلى ذلك فأننا نجد وسط الركام نوراً ، فهذا الأستاذ الفرنسى «كارادى فو » يعترف بأن ابن سينا لم يكن حاكياً لأرسطو ، ولا عبداً له كما توهم الجاهلون .

رسالة ابن سينا فى المنطق

كان المنطق عند قدماء الأغريق جزءا من الفلسفة ، حتى تطور بفضل أفلاطون وأرسطو الى علماً قائماً بذاته ، ولما انتقل التراث الأغريقى إلى العرب، وضحت دراسة علم المنطق كعلم مستقل عن غيره ، وأدخلت عليه أساسيات جديدة من المنطقيات الأسلامية ، فتسلمته أوربا علماً ذا سبك رياضى لمنطقياته فى أطار علمى عربى أصيل ولكن ماهو علم المنطق ؟

علم المنطق هو العلم الذى يبحث فى مسائل الوجود فى أطار من الواقع ، بحيث تكون نتيجة تلك الدراسات التى تتم عليها تقبل المناقشة أو الأختبار .

فعندما نسمع القائلين بأن تلك المسألة منطقية ، أى أنها متسمة بطابع رياضى مقنع فى ذاته ، ويقبل الأختبار عليه ، والحكم على مدى صحته . وعلى ذلك فالمنطق هو العلم اليقينى الذى يقنعنا عن طريق الحقيقة وحدها بدون الإلتجاء إلى التسليم بالأقوال والأحكام السابقة ، لقد كان فضل ابن سينا على المنطق كبيراً ، فقد أزال عن المنطق غشاوة التعقيد ، وصاغه فى أسلوب واضح يمكن أن يكون فى متناول العقليات العادية فضلاً عن الممتازة ، وفوق ذلك فقد أبدع فيه أبداعاً مشرفاً وجدد فيه نواحى لم تخطر « لأرسطو » نفسه ولا «لقرقديوس » ، أو « للأسكندر الأمزوديزى » ببال ، وأن نظرة واحدة يلقيها الباحث على كتب « الشفاء » و « النجاة » و « الأشارات » ، أو على الكتب المنطقية الفنية : « الكبير » و« الوسيط » و « الصغير » لهى أصدق برهان على صحة ذلك .

وأكثر مالفت أنظار المستشرقين إلى فلاسفة الأسلام عامة ، وابن سينا

خاصة هو ذلك الفرق الجلى البارز الذى أو ضحوه بين الحدين الكامل والناقص والرسم . فجعلوا الأول هو التعريف بالخواص ، أو بالعرضيات ، وجزموا بأن التعاريف الجامعة المانعة التى تصلح لأن تكون أساساً للبراهين الثابتة يجب أن تؤسس على الحدود لا على الرسوم .

ويلاحظ «كارادى فو » عقب دراسته منطق ابن سينا أنه على الرغم من تأثره بأرسطو وفرفديوس ، بأنه لم يكن ذنباً لهما ، وإنما كان حر الفكر ، مجدداً فى كثير من النواحى ، وهو فى هذا يقول « ان كل ما قلناه آنفاً عن ابن سينا وما استشهدنا به من نصوصه يشعر القارىء بميزات الوضوح والإيجاز والدقة والحزم والقوة فى هذا المنطق الذى يتبع المؤلف فيه أرسطو وشرحه ، ولكن بحريه ودون أن يصير نفسه مرة واحدة عبداً لهما ، لا فى منهجهم ولا عملهم ، بل بالعكس هو يكمل منهم ما نقص ، ويصلح ما فسد ، ويهاجم ما حاد عن الحق فى رأيه » .

ومن ذلك أيضا قوله : -

« ان منطق ابن سينا واضح جلى مؤدى بأسلوب جليل ، يعد تحفه فنية فى العصر الذى كتب فيه ، وليس موضوعاً فى تلك الصور المعقدة البربرية التى ظهرت فى القرون الوسيطة فى أوروبا ، ولا مصوغا مثل تلك الصياغات التى دلت على فساد أذواق أصحابها » .

وقد كان لابن سينا فضل تنسيق علم المنطق ووضعه متكاملاً ، وتعمقه فى المناقشات المنطقية العميقة وكان طابع ابن سينا فى المنطق طابع تجريبى أنعكس على المنطق لكثرة أشتغال ابن سينا بالطب والعلوم الطبيعية . وكان ابن سينا يحاول جاهداً أن يرجع إلى المنطق جاده الرشد والصواب ، فقد أعتبره معظم الفقهاء سبب الخلل الواقع فى الفلسفة ، الذى هو أداتها ، حتى قيل « من تمنطق فقد تزندق » ، ولكن ابن سينا بالرغم من ذلك لم يقف بالمنطق ضد الدين ، وينحرف به عن جاده الصواب ، ولذلك نرى ابن سينا ينادى (بالرمزية) فى المنطق بدون الألتفات إلى اللفظ حيث قال : -

« لو أمكن أن يتعلم المنطق بفكرة ساذجة إنما تلحظ فيها المعانى وحدها لكان ذلك كافياً ولو أمكن أن يطلع المحاور فيه على ما فى نفسه بحيلة أخرى

لكان يغنى عن اللفظ ألبته » .

نرى ابن سينا ينادى بأن المنطق فنا وليس علماً ، ومن ذلك قوله فى كتابه « الأشارات » حيث قال : -

« إن المراد من المنطق أن تكون عند الأنسان آله قانونية تعصمه مراعاتها عن أن يضل فى فكرة » .

وعلى ذلك يعتبر ابن سينا المنطق آله أو « أورجانون » كما ذهب إلى ذلك شرح أرسطو ، وليس علماً كما ذهب إلى ذلك الرواقيون ، فهو الأداة التى تمتحن بها العلوم النظرية والعملية على حد السواء .

فالمنطق أساساً علم ذهنى ، وقضاياه إنما يلتفت فيها إلى وجودها الذهنى لا إلى وجودها خارج الذهن ، أى أن نتصورها ، كما يقول ابن سينا فى المدخل:

« وإذا أردنا أن نفكر فى الأشياء ونعلمها ، فتحتاج ضرورة إلى أن ندخلها فى التصور ، والأمور أنها تكون مجهولة بالقياس إلى الذهن لا محالة ، وكذلك أنها تكون معلومة بالقياس إليه » .

ولكن ابن سينا أدخل فى كتبه المتأخرة أعتبار القضايا الوجودية التى لاتستمد العلاقة بين موضوعها ومحمولها من الذهن بل من النظر إلى الشىء الخارجى ومراعاة أحواله المتغيرة .

نظرية البرهان :

من المعروف أن المنطق عبارة عن تنظيم قضايا معينة ، لنستنتج منها نتيجة مجهولة وهذا التنظيم قد نتبع فيه القياس أو يكون برهاناً . وقد عنى العرب عناية كبيرة بالقياس وأنتهى بهم الأمر إلى رد كل تفكير إلى أشكال قياسية ، حتى تكون النتائج مستمدة بالضرورة من مقدماتها .

هنا نرى ابن سينا وهو يضع نظرية البرهان ، فإنه يرجع إلى القياس ، ويقول أنه قياس يقينى مؤلف من يقينيات لانتاج يقينى » فالقياس الذى يوقع اليقين هو البرهان ومقدمات القياس أصناف كثيرة منها المحسوسات والمجربات والمتوترات والوهميات والمشهورات والمقبولات والمظنونات والمسلمات والأوليات.

ولكن مبادىء البرهان لابد أن يتوافر فيها شرطان هما : - أن تكون كلية وضرورية أى صادقة فى كل زمان ومكان ، وهذه لاتتوفر إلا فى الأوليات

والمحسوسات والمجربات والمتوترات ، والبرهان سبيل إلى الإستدلال فى العلوم ، مثل علم الهندسة وبه تدرس قضايا العلوم بعناية ، والتجربة لايمكن فى نظر المنطق الأسلامى أن تسمو إلى منزلة البرهان اليقينى لأنها تنصب على بعض الجزئيات وكثيراً ما يكتنفها الخطأ .

كذلك لايسمو الاستقراء إلى مستوى اليقين وكل مايبلغه ظن قوى غالب إلا إذا كان إستقراءً كاملاً فيكون حينئذ شبيهاً بالقياس .

والمنطق وثيق الصلة بالعلوم الرياضية ، التى أوضحها « برتراند راسل » فى العصر الحديث الذى وحد فى منطقه بين المنطق والرياضية .

لكن وجد ابن سينا أنه لايمكن الأعتماد على القياس وحده ، بل لابد من إجراء الملاحظات والتجارب أى أتباع منهج الأستقراء فهو المنهج النافع فى العلوم . ولم يكن من الممكن تقدم هذه العلوم ذلك التقدم العظيم على أيدى علماء العرب لولا أعتمادها على الأستقراء ، ووضعهم الشروط الكفيلة بصحة الملاحظات واستخراج القوانين الكلية منها ، وذلك مافعله ابن سينا فى الطب ، فقد كانت لابن سينا تجارب تتبعها ردحاً طويلاً من الزمن ، واستخرج منها قواعد كلية ، مما جعل المؤرخين له يقولون إنه عدل فى آخر حياته فى منطقه ، فأخذ بمنطق جديد يفسح المجال لمشاهدة الحس المشروط بالشروط العملية بدلاً من القياس النظرى البحت .

وجملة القول : إن البرهان نافع فى العلوم الرياضية والطبيعية ، لأن مقدماته بحسب الطبيعة ونفس الحق ، أما القياس الجدى فإن مقدماته إنسانية تبحث فى شئون المجتمع وتنفع الحكام والمدبرين للدولة والمعلمين ، ومقدماته ليست بحسب الطبيعة ونفس الحق بل بحسب واضع أو واضعين ، فالحق ينظر إلى ما فى نفسه ، والشهرة ينظر إليها من حيث التعارف للتسليم به . فمن المشهور ماهو مشهور محمود عند الفلاسفة والحكماء مثل أن الجميل أفضل من اللذيذ ، ومنه ما هو مشهور محمود عند أكثر العلماء مثل أن السماء كرية وذلك مما قاله ابن سينا في كتابه « الجدل » .

وبعد فتلك رسالة ابن سينا فى المنطق ، فإذا كان طاليس هو مؤسس الفلسفة عند اليونان كما يقول أرسطو فإن ابن سينا هو مؤسس علم المنطق فى

ظلال تعاليم الإسلام ، على أسس قويمة قربت مابين العلم والدين وباعدت مابين البدعة والعلم .

رسالته فيما بعد الطبيعة

ألف ابن سينا فى هذا الفرع من العلوم مؤلفات ضخمة منها ، كتاب الشفاء والنجاة ، والأشارات ، وحكمة العروض ، وحكمة العلائى ، ورسالة فى النفس .

تناول فى كتابه النجاة شرح النفس الناطقة وأبان ملكاتها وكيفية حصول المعرفة فيها ، وبين كيف أن القوى المادية تخدم القوة الناطقة وتعينها على ما من شأنها أن تعين فيه ، وكيف أن النفس تدرك المجردات بدون آلة ، ثم انتهى باثبات حدوث النفس وعدم سابقيتها للبدن ، وباثبات خلودها ، وأبطال التناسخ ، واتخاذ النفس دليلاً على وجود العقل الفعال الذى يفيض عليها . وأورد فى هذا الكتاب مقالتين عن الألهيات أشتملتا على ثمانية وخمسين فصلاً ، وتعتبر أولاها كمقدمات ضرورية لفهم مابعد الطبيعة ، إذ أبان ابن سينا قيمة هذا العلم ومكانته بين العلوم ، ثم بين معنى الموجود والواحد ، وأقسامها ومساوقة كل منهما للآخر ، ثم أثبت فيها وجود المادة والصورة وأبان أن كل واحد منهما لاتنفك عن الأخرى فى الأجسام ، ثم عرض العلل وأنواعها وأوضح حاجة الممكن إلى الواجب ، ثم تناول القديم والحادث وأثبت أن كل حادث مسبوق بمادة . وفى المقالة الثانية تناول بيان معنى الواجب والممكن ثم أثبت فيها وجود الوجود الواجب ووحدته وأزليته وكماله وبساطته وحقيقته وخيرته ، وعدم القبول لأى نوع من أنواع المتركب وأنه عقل وعاقل ومعقول ، وأنه يعلم بذاته ، ومن علم بذاته فاض عنه كل شيء . أما فى كتابه « الأشارات » ، فقد عرض فى القسم الذى خصصه للألهيات لمذهب الوجوديين ، بين فيه الواجب والممكن ، فأبان ذاتيه الأول واستغناء عن كل مساعدة ، كما أوضح علل الثانى الضرورية لوجوده ثم نظم فى سلسلة تتوقف كل حلقة منها على ما فوقها إلى الطرف الأول الذى هو واجب الوجود لذاته ، وقد أشار فى هذا القسم أيضاً إلى آراء المدارس السوفسطائية والرواقية والأبيكورية التى تزعم أن الموجود هو المحسوس، وأن مالا يناله الحس بجوهره ففرض وجوده محال ، وأن مالا

يتخصص بموضع بذاته كالجسم ، أو بسبب ماهو فيه كأحوال الجسم ، لاحظ له من الوجود إلى آخر ما قررت هذه المدارس ، فرد عليها ردوداً مفحمه لم تدع مجالاً للشك فى أنها كانت ضالة باطلة ، وقد ترجمت معظم كتب ابن سينا فى هذا العلم إلى معظم اللغات الأوربية .

الله نور السموات والأرض :

قبل أن نعرض لقول عالمنا ابن سينا فى تفسير خالق الوجود ، الله سبحانه وتعالى ، نتدبر قول الله سبحانه وتعالى فى سورة النور (ص ٤٦٣) ، وفى سورة الكهف (ص ٣٩٥) ، وفى سورة طه (ص ٤٠٩) .

الآية الأولى قال الله تعالى فيها : -

١- « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال الناس والله بكل شىء عليم » .

والآية الثانية قال الله تعالى فيها : -

٢- « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً » .

والآية الثالثة قال الله تعالى فيها : -

٣- « قال لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى » .

ولنسمع الآن قول علماء التفسير فى تلك الآيات الكريمة :

١- ففى سورة النور يقول الأمام « السيوطى » فى تفسيره : -

الله نور السموات والأرض أى منورهما بالشمس والقمر (مثل نوره) أى صفه فى قلب المؤمن (كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة) هى القنديل والمصباح السراج أى الفتيلة الموقودة والمشكاة الطاقة غير النافذة أى الأنبوبة فى القنديل (الزجاجة كأنها) والنور فيها كوكب درى ، أى مضىء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعه الظلام وبضمها وتشديد الباء منسوب إلى الدر اللؤلوء (توقد) المصباح بالماضى وفى قراءة بمضارع أوقد مبنياً للمفعول بالتحتانية ، وفى أخرى توقد بالفوقانية أى الزجاجة (من) زيت

(شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية) بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولابرد مضر إذ (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) لصفائه (نور) به (على نور) بالنار ، ونور الله أى هداه للمؤمن نور على نور الإيمان (يهدى الله لنوره) أى دين الأسلام (من يشاء ويضرب) يبين (الله الأمثال للناس) تقريباً لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شىء عليم) ومنه ضرب الأمثال .

ويقول الأستاذ « محمد فريد وجدى » فى تفسيره : -

الله نور السموات والأرض لايرى شيئاً فيهما إلايه ، صفه نوره ككوه فيها مصباح ، المصباح فى قنديل من الزجاج ، القنديل كأنه كوكب مصوغ من جوهر الدرة ، يتوقد من زيت شجرة مباركة هى شجرة الزيتون ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يرشد الله لتلمس نوره هذا من يشاء من عباده ، يضرب الله الأمثال للناس ليبين لهم المعنويات بالمحسوسات .

٢- وفى سورة الكهف ، يقول الأمام « السيوطى » : -

قل لو كان ماء البحر هو مايكتب به لكلمات ربى الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به لنفذ البحر فى كتابتها قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله البحر مدداً زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هى .

ويقول الأستاذ « محمد فريد وجدى » : -

قل لو كان البحر مدادا (جمع مدة وهو مايستمده الكاتب) لكلمات ربى لفنى البحر قبل أن تفنى كلمات ربى ولو جئنا بمثله مداداً (أى زيادة ومعونة).

٣- ويقول الأمام « السيوطى » فى تفسيره سورة طه : -

قال لاتخافا إننى معكما بعونى (أسمع) مايقول (وأرى) مايفعل . ومن تلك الآيات الكريمة نرى أن الله سبحانه وتعالى أراد أفهام خلقه عن مدى نوره تعالى بطريقة ملموسة ، ولكن الله تعالىٰ عزته وجلاله لم يرسم الصورة التى يتوهمها البشر فى كون الله سبحانه وتعالى فذلك سر ألهى لايمكن للبشر أدراكه ، ومع ذلك فقد حاول سيدنا موسى رؤية الخالق جل وعلا فطلب من الله ذلك ، قال موسى : ربى أرنى أنظر إليك . ثم رد الله سبحانه وتعالى عليه قال: لن ترنى ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترنى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا

أول المؤمنين » .

فالله سبحانه وتعالى مترفع فوق كل التشبيهات الجسدية والحسية ، فالله يسمعنا ويرانا أينما كنا ، وهو معنا أينما ذهبنا ، وقدريته فاقت كل شىء بل هو الخالق الأعظم وأن كلمات الله سبحانه وتعالى لاتنفد أبداً ، وأن الله متنزه عن التألفات الخمسة التالية كما يقول ابن سينا وهى : -

١- التألف المادى كتألف الجسم من : عظم ولحم ودم .

٢- التألف الذهنى كتألف الجسم عقلياً من : هيولى وصوره .

٣- التألف المنطقى لتألف القول الشارح من جنس وفصل .

٤- التألف من : الذات والصفات .

٥- التألف من الماهية والوجود .

وعلى ذلك فإن المتكلمين الذين يرون أن الوجود صفه زائدة على الذات ، وأن له صفات تدعى صفات المعانى مخطئون ، لأن ذلك يؤدى إلى تطرق النقص إليه تعالى ، وعلى ذلك ممكن القول الآن أن واجب الوجود ليس بجسم ولا مادة جسم ولا صورة جسم ولا مادة معقولة ولا صورة معقولة فى مادة معقولة ولاقسم، لا فى الكم ولا فى المبادىء ولا فى القول فهو واحد من هذه الجهات الثلاث ، ومن ذلك قول ابن سينا فى أثباته أن الله واجد الوجود قال : -

« أن الموجود ، والشىء والضرورى ، معانيها ترتسم فى النفس أرتساماً أو ليا ليس ذلك الأرتسام مما يحتاج إلى أن يجلب بأشياء أعرف منها » .

وقد قسم ابن سينا الشىء الموجود قسمة منطقية فهو إما واجب أو ممكن ، أو ممتنع . وهذه الثلاثة يعسر تعريفها تعريفاً محققاً فقال : أن الواجب إنه غير الضرورى أو أنه المعدوم ، أو أنه الذى لايمكن أن يفرض معدوما ، أو أنه الذى إذا فرض بخلاف ماهو عليه كان محالاً .

وتعريف واجب الوجود هو عند ابن سينا الموجود الذى متى فرض غير موجود عرض منه محال ، أما الممكنات هى الموجودات فى العالم الفنان والمتصوف ومن لف لفهما ، وإما أن ينظر إليها وكأنه متفرج يتابع ما يجرى أمامه على مسرح الحوادث فيصفه وصفاً يصلح لنفسه وللناس .

ولكن النظرة التى لاتتغير هى نظرتنا للروح ، لهذا السر الكامن فى

أنفسنا والذى اختص به المولى جل وعلا فلايمكن أن نقف على حافة العالم الأثيرى ونحن مشدودين إلى أغلال المادة لنفسر ماهى الروح ولذلك يقول « أوليفر لفودج » :

« إن أرتباط الإنسان بالمادة ليس هو الجوهر ، فإن صلته بالروح هى الأساس ، ومن يظن غير ذلك فإنه يسيء إلى نفسه ، ويخطئ فى حق الله ، وفى حق الروح البشرية ولنرى أن ابن سينا أعتبر الإنسان جسماً طبيعياً له صورة تسمى نفساً هى كما له الأول وهى مجموع وظائفه الحيوية وليست هذه النفس شيئاً يفارقه البدن ، وقد أنتهى من ذلك إلى نظرية دافع عنها هى أن الإنسان مركب من جوهرين ، هما البدن والنفس وأن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن ، مفارق له ، وبخاصة بعد الموت » .

وقد أشار عالمنا إلى أن :- « ظن أكثر الناس وكثير من المتكلمين أن الإنسان هو هذا البدن ، وكل أحد فإنها يشير إليه بقوله « أنا » فهذا ظن فاسد » .

أما المذهب الذى يؤيده ابن سينا فهو أن البدن مغاير للنفس ، والنفس جوهر روحانى فاض على هذا القالب وأحياه ، واتخذه أله فى إكتساب المعارف والعلوم ، حتى يستكمل جوهره بها ، ويصير عارفاً بربه ، عالماً بحقائق معلوماته ، فيستعد بذلك للرجوع إلى حضرته ، ويصير ملكاً من ملائكته فى سعادة لانهاية لها .

أما النفس فهى عنده جوهر شفاف هبط إلى الأجسام البشرية من عالم الأزل وحكم عليه الله بالبقاء فيها زمناً محدوداً . وكان فى أول الحس التى تحتاج إلى علة مادية وصورية وفاعلة وغائية فى وجودها ، فكل ممكن الوجود يحتاج إلى علة أخرى فى وجود .

ولكننا لانستطيع أن نتسلسل فى العلل إلى مالانهاية له ، ولابد أن نقف عند علة أولى ليس لها علة وهى الموجود الواجب الوجود بذاته وهنا يضع ابن سينا شروطاً لواجب الوجود على رأسها أنه واحد ، ثم يمضى يصفه بصفات سلبية ، أنه لاماهية له ، ولاجنس ولافصل ، ولا كيفية ولا كمية ولاأين ولا متى ولا ند له ولاشريك له ولاضد له وهو يشير إلى أن واجب الوجود عقل

محض ، لأنه ذات مفارقة للمادة من كل وجه . وكذلك هو معقول محض وذاته عقل وعاقل معقول وهو يعقل كل شيء على نحو كلى ، ومع ذلك فلا يغرب عنه شيء شخصى ولايغرب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وهذا من العجائب التى يحوج تصورها إلى لطف قريحته .

ثم نراه فى كتابه « الإشارات » يتأمل الوجود نفسه دون أى أعتبار من النظر فى أحوال المخلوقات ، ومن ذلك قوله : -

« تأمل كيف لم يحتج بياننا لشيوتى الأول ووحدانيته إلى تأمل لغير نفس الوجود ولم يحتج إلى إعتبار من خلقه وإن كان ذلك دليلاً عليه . ولكن هذا الباب أوثق وأشرف ، أى إذا اعتبرنا حال الوجود فشهد به الوجود من حيث هو وجود ، وهو يشهد بعد ذلك على سائر مايعده فى الوجود » .

فى محيط النفس :

هناك نظرتان ينظر الإنسان بأى منهما إلى نفسه وإلى العالم ، أو ينظر بكليتهما ، بهذه مرة وبتلك أخرى ، ذلك أن الإنسان إذ يقف إزاء الحقيقة الخارجية ، فإما أن ينظر إليها خلال ذاته فيشبهها بنفسه تشبيهاً يدمج الطرفين فى كائن واحد وتلك هى وقفه الأمر آسفا شاعراً بغربته .

متضايقا من حصره فى هذه الدائرة المادة الضيقة ، ولكنه لم يلبث أن يشعر بسرور عظيم ، لأنه رأى مالم يكن يرى لو أنه أستمر فى عالمه العلوى، وهى فى الأصل من عالم الكمال ، ولكنها قد تصاب بنقص من أصطحابها للجسم ، فتصبح مفتقرة إلى التطهر والنقاء اللذين لاتعود إلى مرتبتها الأولى إلا بهما .

وقد صور ابن سينا النفس فى تلك القصيدة قال : -

هبطت إليك من المحل الأرفع .... ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف .... وهى التى سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك وربما .... كرهت فراقك وهى ذات تفجع

أنفت وما أنسب فلما واصلت .... ألفت مجاورة الخراب البلقع

وأظنها نسيت عهودا بالحمى .... ومنازلا بفراقها لم تقنع

حتى إذا أوصلت بهاء هبوطها .... فى ميم مركزها بذات الأجزع

علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت .... بين المعالم والطول الخضع
تبكى إذا ذكرت دياراً بالحمى .... بمدامع تعمى ولما تقطع
وتظل ساجعة على الدمن التى .... درست بتكرار الرياح الأربع
اذا عاقها الشرك الكثيف وصدها ... قفص عن الأوج الفسيح الأرفع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ... ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ... ماليس يدرك بالعيون الهجع
وعدت مفارقة لكل مخلف ... عنها حليف التراب غير مشبع
وبدت تغرد فوق ذروة شاهين ... والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأى شيء أهبطت من شاهين .... سام إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أرسلها الإله لحكمه ... طويت عن الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربه لابد ... لتكون سامعه بمالم تسمع
وتغرد عالمة بكل خفية ... فى العالمين فخرقها لم يرقع
وهى التى قطع الزمان طريقها ... حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق للحمى ... ثم أنطوى فكأنه لم يلمع

نظرية المعرفة :

لايكاد يختلف وجهه نظر ابن سينا عن وجهه نظر المعلم الثانى (الفارابى)، لأنه يرى مثله أن وسيلة المعرفة هى الحواس الخارجية والحواس الداخلية أو هى الحواس والعقل ، غير أنه يقسم المعرفة إلى ثلاثة أقسام : -

١- معرفة المبادىء الأولى .
٢- معرفة جواهر المعقولات .
٣- معرفة المستقبل .

والقسمان الأول والثانى هما اللذان يصلان إلى الإنسان عن طريق الحواس والعقل ، وأما القسم الثالث ، فهو يرد إلى الإنسان عن طريق الوحى والألهام . ويسمى مدرك القسمين الأولين بالأداه الطبيعية . أما أداة القسم الثالث ، فوسيلة خارقة للعادة . والأداة الطبيعية عند ابن سينا قسمان : فطرية وأكتسابيه فأما الفطرية فهى ملكة مشتملة على قوة مستعدة لأدراك المبادىء الأولى دون تعلم ولا أكتساب وهذه المبادىء مثل قواعد : الكل أعظم من الجزء

والواحد نصف الأثنين . وإذا ساوى ثالث أحد القسمين المتعادلين ، وجب أن يساوى الثالث . أما القسم المكتسب فيحتاج فى إدراكه إلى مجهود أكبر من مجهود القسم الأول ويجب أن تبتدىء عملية التفكير فيه بالشعور الوثيق بوجوب انفصال الصور التجريدية عن عالم المحسات . وكيفية الأبتداء أن يتصور الشخص أن ما فى عقله ليس هو الحجر ولا الحيوان ، وإنما هو صورتاهما. أما الإلهام فوسيلة الفضيلة والتنسك ، لأن الروح لاتعرف المستقبل إلا بمقدار أتصالها بالموجود الأعلى ، وهى لاتتصل به إلا إذا تغلبت على الجسم، ولذلك فهى فى حالة النوم تكون أكثر أتصالاً بالملأ الأعلى منها فى حالة اليقظة، وهى بعد الموت أكثر منها فى حالة النوم .

جوهرية النفس :

(١) للشيخ الرئيس ابن سينا ثلاثة أدلة على جوهرية النفس هى : -

١- أستمرار الأنسان ثابت طول عمره .

٢- ذات الأنسان مغايرة للجسم .

٣- أن فى الأنسان شيئاً يجمع أدراكه مثل البصر ، واللمس ، وباقى حواسه ، ويجمع هذه الأفعال .

(٢) ذكر ابن سينا فى كتابه الشفاء برهاناً آخر على جوهرية النفس يعرف بأسم « الرجل الطائر » ألخصها فى نقطتين : -

أ- أحساس الأنسان بنفسه فقط ، كما لو كان طائراً فى الهواء غير معتمدا على الأرض .

ب - يمكن أثبات جوهرية النفس من المنظر إلى الفكر فقط ، مما قاله «رينيه ديكارت» : - « أنا أفكر إذن أنا موجود » .

وعلى ذلك فالأنسان حر فى أختيار طريق حياته ، مسئولاً عما يصدر عنه، ومعاقبا عليه ، لشعوره بذاته .

هذا التفكير ، وتلك الوسيلة من الحياة ، لها حدود هى قول الله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولاتبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لايحب المفسدين » .

(صدق الله العظيم) .

« رسالته فى التصوف »

التصوف ينطوى على نزعات أخلاقية ووجدانية جديره بالدراسة والتأمل ، وهو أيضاً وسيلة لمعرفة تسمو على كل ماعداها من المعارف ، والتصوف عبارة عن منهج يوصل إلى غاية ، هذا المنهج يتمثل فى أنواع السلوك والرياضيات والمجاهدات ، يأخذ الصوفيه بها أنفسهم فيصلون إلى غايتهم القصوى الا وهى التحقق بمعرفة الله عز وجل وإدراكه إدراكاً مباشراً .

وكلمة الصوفية والتصوف أختلف فيها الكثيرون ، فهذا « أبوالفتح البستى » يقول : -

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا .... فيه وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الأسم غير فتى .... صافى فصوفى حتى لقب الصوفى

وقال جعفر الخلدى : - « التصوف هو العلو إلى كل خلق شريف والعدول عن كل خلق دنىء » .

وقال الحلاج : - « الصوفى هوالرامى بقصده إلى الله عز وجل فلا يعرج حتى يصل » . ومن مذهب الصوفيين الفناء ، من ذلك قول (الحسين بن منصور الحلاج) : -

أنا من أهوى ومن أهوى أنا .... نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته .... وإذا أبصرته أبصرتنا

ويعرف الأمام « عبد الوهاب الشعرانى » علم التصوف فيقول : -

« أن علم التصوف عبارة عن علم أنقدح فى قلوب الأولياء حين أستنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل بهما أنقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنهما نظير ما أنقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها » .

وقد عبر « عمر بن الفارض) (١١٨٢ - ١٢٣٥م) فى « تائيته » عن الحالة الصوفية التى يفنى فيها العبد عن صفاته البشرية ليتحقق وجوده بصفات الربوبية قال : -

كلانا مصل واحد ساجد إلى .... حقيقة بالجمع فى كل سجدة
وما كان لى صلى سواى ولم تكن ... صلاتى لغيرى فى أداء كل ركعة

فـلاحى إلا من حـيـاتى ..... وطوع مـرادى كل نفس مـريده
ولا قـائل إلا بلفظى مـحـدث .... ولا ناظر إلا بناظر مـقلتى
ولا منصت إلا بسـمـعى سـامع ..... ولاباطش إلا بأزلى وشـدتى
ولا ناطق غيرى ولاناظر ولا ..... سميع سوائى من جميع الخليقة

الأخلاق :

يعتبر ابن سينا فى طليعه الأخلاقيين المتفائلين فى عصره ، فقد قرر أن كل ما فى الكون خير بالجوهر ، وأن ما يشاهد فيه من شر هو خير ، لأن الخير الأساسى لايتحقق إلا ممتزجاً بشىء عارض مما يحسبه الناس شراً ، لتصادمه مع أغراض الأفراد ، ولو أنهم كانوا أكثر دقة لما جعلوا مصالح الأفراد مقياساً للخير والشر ، بل لجزموا بأن صلاح الكل العام هو المقياس لهما ، ولنظروا إلى خير المجموع دون أكثرات بالأجزاء ، وأيقنوا بأن الفساد الجزئى ليس شراً أساسياً ، بل هو لعارض كقيام مانع أو تخلف شرط ضرورى للأنتقال من القوة إلى الفعل أو كسوء استخدام للمشتمل على الخير يقبله شراً بسبب جهل أو تحول عن الفطرة الصالحة أو هو وسيلة طبيعية لتحقق الخير العام .

ولهذا رأى ابن سينا أن وجوب الصلاح والخير فى هذا الكون أمر لابد منه، وإلا لوجد الفساد والشر حيث توجد العناية الربانية ، وهذا ما لايصدق به عاقل، غير أن معنى العناية هنا هى مايلزم ضرورة من علم الله بذاته وأحاطته بأنه غايه كل كمال ، وعلى ذلك يستحيل صدور النقص أو الشرعية، وهو فى هذا يقول : -

« فالعناية هى أحاطه علم الأول بالكل ، وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى تكون على أحسن النظام ، وبأن ذلك واجب عنه وعن أحاطته به ، فيكون الموجود وفق المعلوم على أحسن النظام فعلم الأول بكيفية الصواب فى ترتيب وجود الكل منبع لفيضان الخير فى الكل » .

ثم أردف فقال : -

« الأمور الممكنة فى الوجود ، منها أمور يجوز أن يتعدى وجودها عن الشر والخلل والفساد أصلاً ، ومنها أمور لايمكن أن تكون فاضلها فضيلتها ألا ويكون بحيث يعرض منها شر عند أزدحامات الحركات ، ومصادمات

المتحركات، وفى القسمة شربه المصلى الأطلاق ، وأما بحسب الغلبة ، وإذا كان الجود المحض مبدأ لفيضان الوجود الخيرى الصواب ، كأن وجود القسم الأول واجباً فيضانه مثل وجود الجواهر العقلية وما يشبهها .

الفضائل :

قسم ابن سينا السمات التى يجب أن يتسم بها الناس إلى أربع أقسام هى:

الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدالة .

ووضع تحت كل قسم منها طائفة من الفضائل الثانوية جعلها بمثابة الأفراد التى تتألف منها هذه الأنواع ، ثم أنتهى بها جميعها إلى العدالة ، لأنها هى قصوى غايات القوى النفسية . ثم قدر أن النفس مؤلفاته من ثلاث قوى : -

الأولى التمييزية ، وفضيلتها الرئيسية هى الحكمة . الثانية الغضبية ، وفضيلتها الرئيسية هى الشجاعة ، الثالثة الشهوية ، وفضيلتها الرئيسية هى العفة ، ومن ذلك قوله : -

« فأن المعتنى بأمر نفسه ، المحب لمعرفة فضائله وكيفية أقتنائها لتزكو بها نفسه ، ومعرفة الرذائل وكيفية توقيها لتتطهر منها نفسه المؤثر لها أن تسير بأقصر السير ، فيكون قد وفى أنسانيته حقها من الكمال ، أن المستعد للسعادة الدنيوية والآخروية يجب عليه تكميل قوته النظرية بالعلوم المحصاه المشار إلى غاية كل واحد منهما فى كتب إحصاء العلوم ، وتكميل قوته العملية بالفضائل التى أصولها : -

العفة والشجاعة والحكمة والعدالة المنسوبة إلى كل قوة من قواه وتجنب الرذائل التى بأذائها . أما العفة فإلى الشهوانية ، والشجاعة إلى الغضبية ، والحكمة إلى التمييزية ، والعدالة إليها مجموعة عند أستكمال كل واحدة بفضيلتها وفروعها التى أما كالأنواع أو كالمركب منها ، وهى السخاء والقناعة والصبر والكرم والحلم والعفه والصفح والتجاوز ورحب الباع ، وكتمان السر والحكمة والبيان والفطنة وأصالة الرأى ، والحزم والصدق والوفاء والود والرحمة والحياء وعظم الهمة ، وحسن العهد والتواضع .

التنسك :

على الرغم من تأثر ابن سينا بمنهج أرسطو إلا أنه صدرفى مذهبه الصوفى عن مبدأ المعرفة الألهية فقرر مبدئياً أن الطريقة الصوفية الحقيقية هى التى تنتهى بصاحبها إلى معرفة البارى جل وعلا معرفة رفيعة لانظير لها ، ولكنها ليست عقلية آتيه عن طريق القياسات المنطقية ، بل عن طريق النور الذى ينعكس فى مرآة النفس .

وقد أمعن ابن سينا فى أحترام توحيد غاية العرفان إلى حد أن أعلن « أن من قصد فى معرفته لله غاية أخرى - ولو كانت هى المعرفة ذاتها - كان كأنه قدثنى أو أشرك بالله سبحانه وتعالى ، من ذلك قوله : -

« من طلب العرفان للعرفان فقد قال بالثانى » .

ومهما يكن من الأمرفان مراحل تلقى النفس للأشعاع الإلهى واحدة عنده وعند الفارابى « مرحلة الأرادة » .

والمراحل هى كما يلى : -

١- مرحلة الأرادة .   ٢- مرحلة الرياضة .   ٣- مرحلة الحد .

مرحلة الرياضة لها ثلاث غايات هى : -

١- تخليص النفس من علاتقها بكل الدوائر الفانية ، أو نبذ كل مايشغل عن الله وهذا ينال بالزهد .

٢- تطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة .

٣- تصفيه الجانب الباطنى من النفس ، أس السر ، وجعله بوساطة التأمل والطهر والعفاف والميول النقية جديراً باليقظة الدائمة ، والتنبه الحازم المتين .

ومرحلة الحد لاتدرك فيها النفس الرسالة لتلقى أول الأنوار المعنوية وطليعة الألهامات العلوية إلا بثلاث مراحل هى :

١- مرحلة السكينة .

٢- فيض بالعرفان « ربى أنى لما أنزلت إلى من خير فقير » .

٣- مرحلة الملكة .

والمرحلة الأخيرة يكون الصعود إليها أرادياً ، أى كلما شاءت سمت ، ومتى أرادت أرتقت ، دون مانع ولاعائق ، وذلك لأن الفيض الربانى قد منحها

السلطان الذى بفضله قد تستطيع أن تزيل من أمامها العقبات ، والذى به تملك أن تلتفت إلى العالم الأعلى كلما عن لها ذلك .

وهذا الحد النهائى ينقسم إلى مرحلتين هما : -

١- أن يكون الصوفى موزعاً بين حالتين ، إذ هو ينظر تارة إلى نفسه ، وأخرى ينظر إلى أنعكاس النور الإلهى الأبهر على صفحه نفسه .

٢- وفى تلك المرحلة ينصرف الصوفى عن كل شىء حتى عن نفسه ، ولاينظر إلا إلى إنعكاس أنوار الجلال الألهى . وبهذا يتحقق للصوفى مرحلة الوصول ، وحينئذ يتحقق فيه قول الله تعالى :-

« إلا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون » .

وبعد : ذلك هو الرجل ، وتلك المرآه ، فإذا كانت أعمال الرجل تقاس بمقدار لعظمته ، فما عسانا أن نقدر منزلة ابن سينا فى العلم ، ورسالته فى البحث والدرس .

إن علينا اليوم واجبا كبيرا ، وضريبه جليلة نحو هذا العالم ، فلم تكن مؤلفاته تلك موضوعة للأجيال القادمة فحسب ، بل وضعت لتكون لبنة جديدة فى صرح العلم ، وكأنى اليوم بابن سينا ينادى رجال البحث فى عالمنا العربى بأسراع الخطى لكى نلحق بركب التطور والحضارة ، وإلا لانتخلف اليوم ، كما كنا فى الماضى ، عن عصر الذرة وعصر الفضاء وثورة المعلومات والتقدم التكنولوجى السريع .

* منهج ابن سينا *

يعتبر ابن سينا من أوائل من خططوا للمنهج التجريبى فى العلوم ، ومن أوائل من وضعوا شروطاً جديدة للبحث والدرس ، وقواعد جديدة من الأختبار للأشياء ، وهو بمنهجه هذا نراه فى الكيمياء ، مثله فى الطب ، مثله فى الرياضيات ، ثم فى الحكمة والفلسفة والمنطق . فلم تكن طريقة ابن سينا أبداً أرتجالية فى التجارب كما زعم البعض ، وإلا فما بال ابن سينا يأتى بالحيوانات ويجرى عليها التجارب ، ليرى أثر الأدوية الجديدة فيها قبل أن يجربها على مرضاه وقد وضع ابن سينا فى أول كتاب « القانون » قواعد سبعة للتجريب ، سبق بها « جون ستيوارث مل » بقرون . فقال أن الأدوية تعرف قواعدها بطريقتين : طريق القياس ، وطريق التجربة . وأن هذا الطريق الأخير لابد فيه من مراعاة عدة شروط هى : -

١- أن يكون الدواء خالياً عن كيفية مكتسبة وحرارة عارضة أو برودة عارضة .

٢- أن يكون عند المجرب عليه علة مفردة « فإنها إن كانت علة مركبة وفيها أمران علاجيان متضادان فجرب عليهما الدواء فتنفع ، ولم ندر السر فى تلك الحقيقة » .

٣- تجربة الدواء على المتضادة .

٤- أن يكون القوة فى الدواء مقابلاً بها مايساويها من قوة العلة .

٥- أن يراعى الزمان الذى يظهر فيه أثره أو فعله .

٦- أن يراعى استمرار فعله على الدوام أو على الأكثر .

٧- أن تكون التجربة على بدن الإنسان .

ذلك المنهج التجريبى لم يعرف فى أوربا إلا فى القرن الثانى عشر ، عندما نقلت العلوم العربية إليها ، وكان زعيم فلاسفة التجريب عندهم هو « روجر بيكون » .

★ أبو بكر الرازى ★



*أبو بكر الرازى *

* نشأته - حبه للعلم - تعليمه .

* العلاج بالموسيقى .

* تحقيقه لأراء جالينوس .

* منهجه الطبى وآراؤه الطبية .

* دقة الملاحظة السريرية .

* مؤلفاته فى الطب .

* أستعراض لبعض مؤلفاته الطبية : -

كتاب « الحاوى » - كتاب « المنصورى » - كتاب « فى صفات البيمارستان » - كتاب « منافع الأغذية » - كتاب « فى الأمراض التى تصيب جسم الأنسان وكيف تعالج مختلف الأدوية وأنواع الأغذية » - كتاب «من لايحضره الطبيب »

* وصايا ونصائح الرازى الطبية .

* وقائع طبية فى حياة الرازى

* الرازى والكيمياء .

* مؤلفاته فى الكيمياء .

* أستعراض لبعض كتبه فى الكيمياء :

كتاب « سر الأسرار » - كتاب « فى صناعة الذهب » .

*** تجاربه وأبحاثه الكيميائية :**

تقسيم المواد - حامض الكبريتيك - تحضير الكحول - حساب الكثافة النوعية.

*** الرازى فيلسوفاً .**

أبو بكر الرازى

* نشأته :

يميل أكثر الباحثين إلى أطلاق لقب « أبو الطب العربى ومؤسس الكيمياء الحديثة » على العالم العربى « أبو بكر محمد بن زكريا الرازى » . الذى ولد فى مدينة الريّ بالقرب من طهران عاصمة أيران حالياً سنة ٨٥٤م وتوفى عام ٩٤٠م . وكان منذ صغره يميل إلى العلوم الأدبية ويقول الشعر ويتعلق بالموسيقى ، كما كان يحسن الغناء والضرب على العود ، وأستمر فترة من شبابه مولعاً بالموسيقى ، وكان حريصاً كأهل زمانه على تربية لحيته وشاربيه ، فأمسك يوماً بلحيته وقال « كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لايستظرف »، وما لبث أن أنصرف عن الغناء وأشتغل بالطب والعلوم العقلية ، وكان على أستعداد قوي ، فكف على دراسة كتب الطب والفلسفة وقرأها قراءة باحث مدقق ، ويذكر « ابن أبى أصيبعه » فى «طبقات الأطباء » رواية «لأبى سعيد» زاهد العلماء يتحدث فيها عن سبب تعلم الرازى الطب فيقول : - أنه عند دخوله مدينة السلام (مدينة بغداد حالياً) دخل (البيمارستان العضدى) ليشاهده ، فأتفق أن ظفر الرجل بشيخ كبير يعمل صيدلانياً فى البيمارستان فسأله عن الأدوية وماهو مظهرها فى البدء ، فأجابه بأن قال : « أن أول ماعرف منها كان (الحى علم)(Mesemberinsum spp) وبيان ذلك أن «أفلولن » سليل « اسقليبيوس » كان بذراعه ورم يؤلم ألماً شديداً ، فمال يوماً إلى الخروج إلى شاطىء نهر ، وعندئذ أمر غلمان فحملوه إليه ، وكان على شاطىء النهر ذلك النبات ، فوضع ذراعيه عليه تبردا به ، فخف ألمه بذلك فأستطال وضع يده عليه ، ثم أصبح من غد ففعل مثل ذلك فبرىء ، فلما رأى الناس سرعة برئه ، وعلموا أنه أنما كان بهذا الدواء فسموه (حياة العالم) وتداولته الألسن وخففته فسمى (الحى علم) ، فلما سمع ذلك الرازى أعجب به ، ثم دخل مرة أخرى هذا

(البيمارستان) ، فرأى علل بعض المرضى ، فسأل الأطباء عن سبب ذلك ، فأخبر به ، فأعجبه ماسمع ولم يزل يسأل عن شيء ويقال له ، وهو يعلق بقلبه حتى تصدى لتعلم الصناعة ونبغ فيها فأصبح يدعى « جالينوس العرب » .

★ **حبه للعلم :**

في هذا الموضع يتحدث الرازى فيقول : -

« فأما محبتى للعلم ، وحرصى عليه وأجتهادى فيه ، فمعلوم عند من صحبنى وشاهد ذلك منى . أنى لم أزل منذ حداثتى وإلى وقتى هذا مكباً عليه حتى أنى متى أتفق لى كتاب لم أقرأه أو رجل لم ألقه - لم ألتفت إلى شغل بتة ، ولو كان فى ذلك على عظيم ضرر - دون أن آتى الكتاب - وأعرف ماعند الرجل وأنه بلغ من صبرى وأجتهادى أنى كتبت بمثل خط التعاويذ فى عام واحد أكثر من عشرين ألف ورقة ، وبقيت فى عمل الجامع الكبير خمس عشرة سنة أعمل الليل والنهار ، حتى ضعف بصرى وحدث على فسخ فى عضل يدى - يمنعانى فى وقتى هذا القراءة والكتابة ، وأنا على حالى لا أدعهما بمقدار جهدى فأستعين دائماً بمن يقرأ ويكتب لى » .

وفى هذه العبارات ترجمة دقيقة للجهود العظيمة والطاقات الكبيرة التى كان ينفقها الرازى فى تحصيل العلم ، « والألمام بأكبر مقدار منه ، فإذا اقعدت به السبل ، لأن آلات البدن التى تعينه على تحصيله قد تعطلت فأن اليأس لايتسرب إلى نفسه الكبيرة ، وظل مستمراً فى الطب بمختلف السبل » .

★ **تعلميه :**

تتلمذ الرازى على أساتذته الذين قرأ عليهم بعض كتب الطب أمثال «على أبو الحسن الطبرى » وكان يهودياً ثم أسلم وله كتاب مشهور فى الطب يسمى (فردوس الحكمة) ، ثم قرأ كتب الفلسفة على « أبو زيد أحمد بن سهل البلخى » ، وأهتم الرازى بمدارس الطب فقرأ جميع الكتب من يونانية وهندية وفارسية ، وبدأ يسلك أول الأمر مسلك قدامى الأطباء فى ممارسة هذه الصنعة ولكنه مالبث أن أنفرد بطريقته الخاصة فى مزاولة الطب ، يقول « سيديو » فى كتابه «تاريخ العرب العام» : «لا أحد يعدل الرازى وابن سينا اللذين سيطرا بكتبهما الطبية على مدارسنا زماناً طويلاً». ويقول الدكتور «جورج سارتون» :

« أن الرازى من أعظم أطباء القرون الوسطى » . وما كاد ينتهى من دور التحصيل والدراسة حتى رحل عن الرى قاصدا بغداد وكانت سنه تبلغ الثلاثين ، ثم أقام بدار السلام (بغداد حالياً) ، ومنذ ذلك الحين بدأت شهرته تملأ الآفاق شرقاً وغرباً حيث يقول صاحب (الفهرست) : « أبو بكر محمد بن زكريا الرازى من أهل الرى ، أوحد دهره وفريد عصره ، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء سيما الطب ، وكان ينتقل فى البلدان ، وبينه وبين « المنصور بن أسماعيل » صداقة وله فقد ألف كتاب « المنصورى » ، وأما ابن أبى أصيبعة فيسميه فى كتاب طبقات الأطباء « جالينوس العرب » .

* العلاج بالموسيقى :

أفاد الرازى من مزاولته لفنى الموسيقى والغناء فائدة كبرى ، فقد روى أنه كان يتردد على صديق له يشتغل صيدلياً بمستشفى مدينة الرى التى هى مسقط رأسه ، وكان من عادته حينما يجتمع بصديقه هذا أن يعاوده الحنين إلى الموسيقى ، فكان يعزف عنده بعض الوقت داخل المستشفى بقصد التسلية والطرب ، ولشد ماكانت دهشته حين رأى المرضى وهم يعانون آلاماً قاسية يتركون أسرتهم ويلتفون حوله ، يستمعون فى مرح وسرور إلى أنغامه الساحرة ، وقد لاحظ الرازى أن بعض هؤلاء المرضى مصابون بأمراض تسبب آلاماً مبرحة ، وبالرغم من ذلك فقد نسوا هذه الآلام وشملهم الهدوء والسكون والسرور عندما سمعوا الألحان الشجية والنغمات المطربة ، فأدرك بإحساسه الدقيق المرهف أن الموسيقى لابد أن يكون لها أثر فى تخفيف الآلام وفى شفاء بعض الأمراض ، ولكنه لم يقتنع بهذه النتيجة من أول مرة وأخذ يدرس بدقة تأثير الموسيقى فى شفاء الأمراض ، حتى أنتهى بعد التجارب الكثيرة إلى رأى حاسم وهو « أن نغمات الموسيقى الجميلة لها تأثير قوى فى شفاء بعض الأمراض » .

ومنذ ذلك الحين أصبح يعتمد عليها بوصفها أسلوباً من أساليب العلاج الطبى ، وصارت الموسيقى لوناً من ألوان العلاج التى يؤمن بها الطب الحديث فى عصرنا ، وقد وصل الرازى وهو يعالج المرضى بنغمات الموسيقى الساحرة وألحانها العذبة ، أن بعضهم لم يتم شفاؤه إلابعمليات جراحية ، فبدأ يدرس علوم الجراحة وتشريح الأجسام وأستعان بأستاذه الطبرى .

★ تحقيقه لأراء جالينوس :

أثناء دراسته للطب الجراحى أتضح له أن قدامى الأطباء قد بنوا آراءهم على نظريات خاطئة ، ومن العجيب أنه كشف عن كثير من هذه الآراء فى كتب (جالينوس) بالرغم مما له من شهرة عظيمة ، وبالرغم من أنتشار كتبه التى كانت تعد من أعظم المراجع فى علوم الطب ، وكان الشك لايمكن أن يتسرب إليها ، ومن المعروف عن الرازى أنه لم يكن يسلم بآراء غيره إلا بعد أن يمتحن هذه الآراء ويختبرها ويضعها موضع التجربة ، ثم يحكم عليها ولهذا السبب خطأ كثيراً من الآراء ، ولما عين مديراً (للبيمارستان العضدى) [المستشفى] تجاوزت شهرته البلاد القاسية والدانية فكان المرضى يأتون إليه من الهند والسند والصين وبلاد الفرنجة يلتمسون عنده الشفاء من مرضهم لما ترامى إليهم من أخباره التى تتحدث عن دقته فى دراسة المرضى وأحوالهم ، وسير المرض والعلاقة بين الحالة النفسية والمرض ، كذلك عرف بأمانته العلمية فعندما وضع كتابه عن الحصبة والجدرى لم ينسى أن ينصف فى هذا الكتاب الطبيب اليونانى (جالينوس) حيث قال : - « لو زعم أحد الأطباء أن جالينوس العظيم لم يتوه فى كتاباته عن الجدرى - فأن ذلك أما أن يرجع إلى أن الطبيب لم يقرأ كتابات جالينوس أطلاقاً ، وأما أنه قرأها قراءة سطحية » . وفى هذه العبارة دليلا على ما أتصف به الطبيب العربى الكبير من حب الأنصاف والتقدير لمن سبقه من الأطباء ، وهذا الروح العلمى السامى المتميز بالأنصاف والأعتراف بالفضل لكل من أسهم فى خدمة العلم بنصيب ، يختلف تماماً عما أتصف به بعض علماء أوربا من الذين دأبوا على أنكار فضل العرب على العلوم الطبية وغيرها من العلوم التى بنيت عليها الحضارة الأنسانية ، ونحن نشير إلى بعضهم ، وذلك على الرغم من أن هناك عدداً كبيراً من المنصفين الذين أعترفوا بفضل العرب العظيم على التراث الأنسانى الخالد ، فهذه جامعة « برنستون » بالولايات المتحدة الأمريكية تقدم دليلاً ساطعاً على تقديرها الممزوج بالأحترام لطبيب العرب العظيم (أبو بكر الرازى) معترفة بماله ، وبما للحضارة الأسلامية بصفة عامة من فضل كبير على الثقافة الأنسانية ، لذلك خصصت جانباً فخماً من أبنيتها الرائعة لتسجيل مآثر هذا الطبيب الخالد ، وأنشأت إلى جانب ذلك

معهداً خاصاً لدراسة العلوم والمخطوطات العربية ، ولا ريب أن كل ما فى هذا العمل الجليل أعتراف قوى بأمجاد العرب الخالدة فى النواحى الأنسانية .

* منهجه الطبى وآراؤه الطبية :

كان للرازى منزلة رفيعة فى الطب وقد أطلق عليه (أبو الطب العربى) ، كما كان يدعى (جالينوس العرب) لأنه أبتكر فى الطب طرقاً لما يسبقه إليها أحد وهى :

* أستخدم الموسيقى كلون من ألوان العلاج لبعض الأمراض .

* كان من أول الذين عرفوا أثر الضوء فى حدقة العين وأنه يساعد على أتساعها ليلاً وأنكماشها نهاراً ، وقد أستغل هذا الكشف فيما قام به من بحوث عصبية ، وفى مداواة أمراض الحصبة .

* كان صاحب الفضل على طب الأطفال إذ جعله فرعاً من الطب قائماً بذاته ، وكتب فيه كتابة مستقلة .

* كان يسلك فى علاج المرضى مسلكاً علمياً يشهد له بالنبوغ والعبقرية فلم يكن يسمح لمرضاه بتناول العقاقير الطبية إلا بعد قيامه بتجربتها على الحيوان ، ومما يروى عنه أنه عندما أراد أن يقدم مركبات الزئبق كملين لبعض المرضى وجرب الدواء الذى أعده على قرد ، فلما أثبتت التجربة نجاح الدواء بدأ يعطيه للمرضى .

* كان نبوغه فى علوم الكيمياء من الأسباب التى عاونته على أعداد الأدوية بنفسه ، فكان يعمل طبيباً وصيدلياً فى وقت واحد .

* من آراؤه الطبية الهامة تفسيره للشفاء « بأن شفاء المريض هو نتيجة تفاعل كيميائى ، يحدثه الدواء فى جسم المريض » .

* هو أول من أستخدم مركبات الرصاص فى صنع المراهم .

* أول من توصل إلى أستخدام الخيوط المصنوعة من أمعاء الحيوانات فى خياطة الجروح المفتوحة بعد أنتهاء العمليات الجراحية ، ويبين الرازى السر فى ذلك فيقول : « أن الخيوط المصنوعة من الأمعاء يمتصها الجسم فتصير جزءا منه » .

* أول من قام بمعالجة الحمى بالماء البارد ، فسبق بذلك أطباء العصر

الحديث ، إذ لايزال الماء البارد علاجاً نافعاً لبعض أنواع الحميات .

* كان من أوائل الأطباء الذين تنبهوا إلى العدوى الوراثية .

* أول من وصف بدقة ووضوح أمراض الجدرى والحصبة وميز بينها ، حيث يقول البروفسور « بوشو » الفرنسي : - « لقد وصف الرازى ضرباً من الجدرى تظهر بثوره على سطح الجسم بيضاء متلاصقة ، كأنها بقعة من الدهن ، وقال : أن آخرتها محزنة ، وأنى والحق يقال لم أجد أجود من وصفه لها ولا أصدق مما قال ، وهو أول من كتب فى أمراض الأطفال وفى واجبات الطبيب » .

* دقة الملاحظة السريرية :

نبغ الفحص الطبى نبوغاً منقطع النظير فى زمانه فكان فى الصف الأول من أطباء العرب ، بل من أطباء العالم فى عصره الذى يمتازون بدقة الملاحظة السريرية ، وهى التى تقوم على دراسة سير المرض وتتبع حالة المريض ، وسجل المستشرق (ماكس مايرهوف) للرازى مايقرب من ثلاث وثلاثين ملاحظة سريرية ، وله فضلاً عن ذلك أبتكارات طبية أخرى تعد من أسس المعالجة الحديثة فى الأمراض التناسلية والولادة وجراحة العيون ، وقد أشرنا من قبل إلى براعته فى تشخيص الأمراض ، وقد سجل فى كتبه كثيراً من ذلك فمما قاله فى تشخيص بعض الحميات وكانت قد أصابت أحد مرضاه ، ويدعى « عبدالله بن سوادة » . « وقد أصيب عبدالله بن سواده بأنواع مختلفة من الحميات كانت تأتيه كل ستة أيام ومرة تغيب يوماً وتأتى يوماً ، ومرة تأتى كل يومين ، ومرة كل أربعة أيام ، ومرة كل أسبوع ، ويتقدمها شيء من الرعدة القليلة ، وكان يبول مرات كثيرة ، حكمت أنه لايخلو ، أما أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعاً أى تأتى كل أربعة أيام ، وأما أن يكون به خراج فى كلاه ، فلم يلبث إلا مديدة أى وقتاً قليلاً حتى بال قيحا وصديداً ، ثم أعلمته أنه لن تعاوده هذه الحميات ، وكان كذلك ، وأنما صرفنى فى أول الأمر عن قولى بأن به خراجا فى كلاه - أنه كان مصاباً بالحمى قبل ذلك ، وكانت تأتيه فى يوم وتغيب عنه يوماً ، كما كان مصاباً بحميات أخر ، فكان للظن بأن تلك الحميات المخلطة من أنحرافات تريد أن تصير ربعا موضع أقوى - ولم يشك إلى أن قطنه يكون شبه ثقل معلق منه .

إذا قام ، وأغفلت أنا أيضاً أن أسأله عنه ، وقد كانت كثرة البول تقوى ظنى بالخراج فى الكلى ، إلا أننى كنت لا أعلم أن أباه أيضاً ضعيف المثانة يعتريه هذا الداء ، ولما بال المدة أكببت عليه بما يدر البول حتى صفا البول من المدة ، ثم أسقيته التين المختوم بعد ذلك ، والكندر ، ودم الأخوين (عقاقير طبية) ، وتخلص من علته وشفى شفاء تاماً سريعاً فى نحو شهرين ، وكان الخراج صغيراً دلنى عليه أنه لم يشك إلى أبتداء ثقلاً فى قطنه ، بعد أن بال المدة ، قلت هل كنت تجد ذلك ؟ قال : نعم ، فلو كان كبيراً لقد كان يشكو إلى ذلك ، أى يشكو إليه الألم ، وأن المدة التى ترشح سريعاً تدل على صغر الخراج، فأما غيرى من الأطباء فأنهم كانوا حتى بعد أن بال المدة أيضاً لايعلمون حالته البتة.

* ويدل هذا الوصف الدقيق على أن الرازى كان نابغة فى الفحص الطبى وتشخيص الأمراض وملاحظة سيرها فى أجسام المرضى ، وأنه كان يفحص العليل الذى يعرض عليه بكل دقة ، وبالوسائل التى وصل إليها ، والتى لاتقل فى دقتها عما هو معروف فى فترة لاحقة ، وفى هذا التشخيص أشارة لاتخلو من معنى دقيق ، فقد أشار الرازى إلى أن الأمراض قد تورث ، وهذا أمر عرفه الطب الحديث ، ويتنبه الرازى إلى أثر العامل النفسى فى صحة المريض فيقول : « أن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس ، ولذلك كان يرى أن من الواجب على طبيب الجسم أن يكون أولاً طبيباً للروح ، وقد جاء فى كتبه : « على الطبيب أن يوهم مريضه بالصحة ويرجيه بها وأن لم يثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس وقد كان ذلك مما حمله على وضع قانون للطب الروحانى الذى هو ضرب من التدبير للنفس ، ويحتل العلاج النفسى اليوم منزلة كبيرة بجابن العلاج بالعقاقير ويحتل العلاج النفسى اليوم منزلة كبيرة بجانب العلاج بالعقاقير الطبية ، ومن أطباء العرب الذين برعوا فى العلاج بطريق التحليل النفسى « ابن سينا » .

*** مؤلفاته فى الطب :**

تعد مؤلفات الرازى العلمية فى الطب والكيمياء من التراث العربى الخالد، وقد ذكر « ابن النديم » فى « الفهرست » أنه ترك مايقرب من مائتى

كتاب ورسالة . ومن هذه الكتب مايلى : -

كتاب « الشكوك على جالينوس » - كتاب « فى أن الحمية المفرطة تضر بالأبدان » - كتاب « الفالج » - كتاب « هيئة العين » - كتاب « هيئة القلب » - كتاب « كيفية الأغتذاء » - كتاب « خواص الأشياء » - كتاب « تقسيم الأمراض وأسبابها وعلاجها » - كتاب « دفع مضار الأغذية » - كتاب « مايعرض فى صناعة الطب » - كتاب « الحاوى فى الطب والتداوى » - كتاب « المنصورى » - كتاب « فى صفات البيمارستان » - كتاب « منافع الأغذية » - كتاب « من لايحضره الطبيب » - وسنستعرض فى السطور التالية بعض تلك الكتب بشىء من الأسهاب .

[1] كتاب " الحاوى " :

أشتهر الرازى بمؤلف ذاع صيته وأنتهت إلينا منه أجزاء متفرقة وهى كتاب « الحاوى » حيث يقول « ابن النديم » ويسمى « الجامع الحاصر لصناعة الطب» وينقسم أثنى عشر قسماً ، فالأول فى علاج المرضى والأمراض ، والثانى فى حفظ الصحة ، والثالث فى الرئية والجبر ، والرابع فى قوى الأغذية والأدوية وجميع مايحتاج إليه من المواد فى الطب ، والخامس فى الأدوية المركبة ، والسادس فى صنعة الطب ، والسابع فى صيدلة الطب والأدوية وألوانها وطعومها ورائحتها ، والثامن فى الأبدان ، والتاسع فى الأوزان والمكاييل ، والعاشر فى التشريح ومنافع الأعضاء ، والحادى عشر فى الأسباب الطبيعية من صناعة الطب ، والثانى عشر فى المدخل إلى صناعة الطب ، وهو مقالتان : الأولى فى الأسماء الطبية ، والثانية فى أوائل الطب ، فالكتاب كما يبدو من أقسامه الكثيرة سجل دقيق حافل تناول فيه الحديث عن كثير من المعلومات الطبية المعروفة فى عصره .

ويمكن أن يقال : أن الرازى فى هذا الكتاب أهتم بشيئين رئيسين فى صناعة الطب ، فقد تناول بالدرس العميق موضوع علم الأدوية (الأقرباذين) ، كما تناول موضوع الملاحظات السريرية وهى التى تتعلق بدراسة سير المرض ووصف العلاج الذى أستعمل لكل حالة من حالات سير المرض ، وتطور حالة المريض ، وما أسفر عنه العلاج من نتائج ويقال :أن المنية عاجلته قبل أن يتمه .

وكان ابن العميد يتتبع آثار الرازى فوصل إلى علمه أن هذا الكتاب فى حوزة أخت الرازى فأشتراه منها بمبلغ كبير من المال ، ثم أتصل بتلاميذ الرازى فى بغداد والرى وطلب إليهم - حرصاً على حفظ آثار أستاذهم وصيانة لها من التفرق والضياع - أن يقوموا بترتيب كتاب « الحاوى » وأن يضموا إليه مانقص منه ، ومما سمعوه من أستاذهم ، فاستجابوا إلى طلبه وقاموا بما عهد إليهم ، وتقول بعض الروايات : أن تلاميذ الرازى جمعوا بعد وفاته ملاحظاته الطبية وأودعوها دائرة معارف طبية واسعة قسموها أثنى عشر قسماً ، أطلقوا عليها أسم كتاب (الحاوى) وقد فاقت شهرة هذا الكتاب غيره من الكتب الطبية ، ولقيمته العظيمة أختصره كثير من الأطباء ، ومنهم « على بن داود » فى سنة ٥٣٠ هـ ، وترجم إلى اللاتينية فى سنة ١٤٨٦م ، ثم طبع بعد ذلك بالبندقية فى سنة ١٥٤٢م ، ومن هذه الترجمة الأخيرة نسخة فى مكتبة جامعة (كمبردج) وبعض نسخ فى مكتبة جامعة (ليبك) ويقول الأستاذ (براون) : « أننى متأكد نظراً لما أتصل بى أنه لايكاد يوجد نصف هذا الأثر العظيم » ويشايعه فى ذلك عدد من العلماء ، وإذا صح هذا القول فمعنى هذا أن كتاب الحاوى لايوجد كاملاً ، وأنه لابد أن تكون قد ضاعت منه أجزاء مهمة بسبب الأهمال من ناحية ، ولما أصاب الدول الأسلامية من أعاصير حروب التتار التى كانت سبباً فى أتلاف مجلدات لاحصر لها من التراث العربى الأسلامى من ناحية ، ويكاد يجمع المؤرخون على أن التتار قد أخرجوا أكثر ما فى خزائن بغداد من الكتب ، وألقوا بها فى نهر دجلة كى تعبر فوقها جنودهم ، ولاتزال أكثر مجلدات هذا الكتاب مبعثرة فى مكتبات أوربا ، غير أنه فى دار الكتب بالقاهرة نسخة مخطوطة تقع فى أربعة أجزاء ، وقد كانت ملكاً للحاج إبراهيم باشا والى جدة ، والشىء الذى يدعو للأسف أن هذا الأثر الطبى النفيس لم يجد من علماء العرب وأطبائهم أهتماماً جدياً بالقيام ببحث دقيق عنه ، وتحقيق الأجزاء المبعثرة فى مختلف المكتبات فى الشرق والغرب ، ومن المؤكد أن الأوربيين كانوا يجلون هذا الكتاب فى العصور الوسطى ، ويعدونه أعظم مرجع فى الطب ، والدليل على ذلك تلك القصة الطريفة التى تقول : -

أن جامعة باريس الطبية فى القرن الرابع عشر وقع ببعض أبنيتها خلل ،

وأراد مجلس أدارة الجامعة أن يقوم بأصلاح هذه المبانى ، ولكن المال كان يعوزه، فأضطر أعضاء المجلس إلى طلب معونة مالية من أحد رجال المال المعروفين ، ولما كانت طريقة الأقتراض تستدعى تقديم ضمان للمبلغ المطلوب فقد تحير أعضاء مجلس أدارة الجامعة ، إذ لم يكن عندهم ذلك الضمان إلا الكتب ، وعندئذ أشترط صاحب المال كتاب (الحاوى) للرازى ضماناً لماله ، ومن غير شك أن هذه الرواية تترجم فى وضوح عما كان لكتاب الحاوى من منزلة علمية عظيمة عند الأوربيين ، ومن أجل ذلك عده رجال المال فى تلك العصور رصيدا عظيم القدر تعادل قيمته مقدارا كبيرا من الذهب .

* ويتحدث الرازى فى المجلد الرابع من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب بالقاهرة عن أمراض المثانة ومجارى البول وأمراض النساء والولادة بما يثبت حذقه ومهارته فى تشخيص هذه الأمراض ووصف الدواء ، وأنواع العلاجات المفيدة التى تؤدى إلى الشفاء .

* فيقول فى الصلابة الحادثة فى الكلى : أن حدث فى الكلى ورم صلب مستحجر لم يحدث معه وجع ، بل يحس العليل بأن شيئا معلقا فى كليته ، ويقوم هذا الثقل فى القطن ويتبعه ضعف الساق وخدر فى الورك ، فيكون البول مائيا قليلاً ، لأنه يكون صافياً ، ويحدث لذلك ترهل فى البدن وفساد مزاج ، لذلك يجب أن يعالج بالأدوية التى من شأنها أن تلين الصلابات وتفشى الورم نحو الأدهان ، وبالتدليك والتمريخ الرطب ، والحقن الملينة ، ثم يسقى المريض الأدوية المسكنة التى تدر البول أدرارا سهلاً .

* ويقول فى القروح الحادثة فى أجهزة البول : « إذا كان فى هذه الأجهزة قروح حدث بول المدة أياماً كثيرة مع عسر البول ويعرف أثر القرحة مما يبرز مع البول ، فإن كانت القرحة فوق الكبد ونواحيه ، كان البول مضروبا مع المدة ، ولم يدم أياماً كثيرة ، وأن كان فى البول قطع لحم فأنه من الكلى ، وأن كان فيه قشور فأنه من المثانة ، أو من مجارى البول إليها ، والفصل بينهما أن التى من المثانة ريح نتن ، وليس للتى من مجارى البول شىء نتن ، فأن أحتبس البول فأنك تعرف ذلك من مكان الوجع وشدته ، فأن كانت القرحة فى الكلى يكون الوجع فى القطن ، والتى من مجارى البول يكون فى الحالبين ، والتى فى المثانة

يكون فى العانة ، وعسر البول يكون إذا كانت القرحة فى المثانة ، فأما إذا كانت فى الكلى فأن البول يجرى بسهولة ، وأن كان الوجع شديداً جداً فالقرحة فى المثانة ، وأن كان متوسطاً ففى مجارى البول ، وأن لم يكن وجع فهى فى الكلى والثقل معه لازم له ، وأن جرت المدة بلا بول فأن القروح قريبة جداً ، ثم قال وقروح الكلى تبرأ بسهولة ، فأما قروح المثانة فتعسر وتعالج هذه القروح بأستعمال الأدوية المنقية للمدة والوسخ الذى فى القرحة ، حتى إذا نقيت أستعملت الأدوية القابضة ، ومن الأدوية النافعة عمل مزيج معين من بذر (القتا) القثاء ، وبذر البطيخ مع العسل ، أو من ماء العسل الممزوج ببذر الكرفس .

* ويلاحظ أنه يبدأ أولاً بوصف أعراض المرض والعلامات المميزة له فى كل حالة من حالات ، ثم يصف الدواء فى ضوء الأعراض التى يحس بها المريض أو تظهر عليه ، وهذه الخطوات شبيهة بالتشخيص الطبى فى بداية التقدم الحضارى ، فالطبيب يفحص المريض للتعرف على نوع المرض ، ثم يصف العلاج المناسب لمرضه ، وأعترافاً بفضل الرازى لايفوتنا أن نشير إلى أنه كان أول من شخص أمراض المثانة فى العصور الوسطى تشخيصاً دقيقاً ، وأنه كان إلى جانب ذلك حجة فى علم الولادة ، ومن رأيه أن السبب فى أمراض المثانة يرجع إلى أختلاط الدم بالبول ، وكان من أول من أستعمل الحقن فى علاج الأمراض .

[٢] كتاب « المنصورى » :

* من كتبة التى نالت شهرة عظيمة كتاب « المنصورى » حيث يتناول فيه وصفاً دقيقاً لتشريح أعضاء الجسم كلها ، كما يضمنه بحوثاً على جانب كبير من الأهمية الطبية فى بيان قوى الأغذية والأدوية ومواد الزينة والتقطير ، وطائفة كبيرة من الأرشادات الصحية الطبية العملية التى كشفت عنها تجاربه .

والكتاب مؤلف من أقسام عشرة ، وهو بالنسبة لكتاب « الحاوى » يعد أكثر تنظيماً وأحسن ترتيباً وأكثر وضوحاً . وهذه الأقسام هى : -

١) المقالة الأولى فى المدخل إلى الطب وفى شكل الأعضاء وخلقها .

٢) المقالة الثانية فى تعريف مزاج الأبدان وهيئتها والأخلاط الغالبة عليها ، وأستدلالات وجيزة جامعة من الفراسة .

٣) المقالة الثالثة فى قوى الأغذية والأدوية .

٤) المقالة الرابعة فى حفظ الصحة .

٥) المقالة الخامسة فى الزينة .

٦) المقالة السادسة فى تدبير المسافرين .

٧) المقالة السابعة وتتناول جملاً وجوامع فى صناعة الجبر والجراحات والقروح .

٨) المقالة الثامنة فى السموم والهوام .

٩) المقالة التاسعة فى الأمراض الحادثة من القرن إلى القدم .

١٠) المقالة العاشرة فى الحميات ومايتبع ذلك مما يحتاج إلى معرفته فى تحديد علاجها .

وقد سماه « المنصورى » بأسم « المنصور بن أحمد السامانى » ، وترجمه إلى اللاتينية (جيرارد الكريمونى) ، كما طبع مرارا فى ميلانو والبندقية وليون وبادو ، إذ كان مع قانون ابن سينا من أعظم المراجع التى يعتمد عليها فى تدريس الطب بالمدارس الطبية الأوربية إلى القرن السابع عشر ، وأما رسالته فى الجدرى والحصبة فتعد بحق وبلا منازع زينة الآداب الطبية العربية وتتجلى فى هذه الرسالة عبقرية الرازى بوصفه طبيباً مختبراً مدققاً مجرداً من الأوهام والأعتقادات الزائفة ، كما يبدو فى هذه الرسالة تلميذاً نبيهاً أقتفى خطوات أستاذه (أبو قراط) ولكنه فاقه وبزه فى كثير من النواحى ، ويتحدث الرازى عن أسباب نشأة الجدرى فيقول : أنه ينشأ بسبب فوران الدم ويشبه ذلك بفوران الخمر أثناء تخمره ، وقد أثبت العلم الحديث أن كلاً من التخمر والمرض العفن ينشأ بسبب ميكروب خاص ، وهذا التشبيه الدقيق يدل على أصالة فى الرأى ودقة فى الفهم والتجربة .

وكان كلام الرازى فى نشأة مرض الجدرى نقطة أنطلاق للبحوث المستمرة التى أدت إلى كشف الميكروب فيما بعد ، ولو أن الرازى عرف « المجهر » فى زمانه لكان بلاشك صاحب الفضل الأول فى كشف الميكروب .

ويتميز الرازى بقدرته العجيبة على ملاحظة أعراض الأمراض ووصفها وصفاً دقيقاً فيقول فى وصف أعراض الجدرى : ويسبق ظهور الجدرى حمى

مستمرة تحدث ، ووجع فى الظهر وآكلان فى الأنف وقشعريرة فى أثناء النوم ، والأعراض الهامة الدالة عليه هى : - وجع الظهر مع حمى ، وألم لاذع فى الجسم وأحتقان فى الوجه وتقبضه أحياناً ، وحمرة حادة فى الخدين والعينين ، وشعور بضغط فى الجسم وبزحف فى اللحم ، وآلم فى الحلق والصدر مصحوب بصعوبة فى التنفس ، وسعال وجفاف فى الفم وغلظ فى الريق وبحة فى الصوت، وصداع فى الرأس ، وضغط فى الدماغ ، وهيجان وقلق وغثيان وقلة راحة ، ولكن التهيج والقلق والغثيان أظهر فى الحصبة منها فى الجدرى ، فى حين أن وجع الظهر أشد فى الجدرى منه فى الحصبة .

ويقول الدكتور « جورج سارتون » ، « أن رسالة الرازى فى الحصبة والجدرى تتناول أقدم وصف سريرى للجدرى ، وهى أحدى روائع الطب الأسلامى» .

[٣] كتاب فى صفات (البيمارستان) :

فى هذا الكتاب يتحدث الرازى عن أحوال المرضى الذين يعالجون فى البيمارستان (المستشفى) حيث يقول عبيد الله بن جبرائيل : -

أنه لما بنى عمر عضد الدولة (البيمارستان) الجديد الذى على طرف الجسر من الجانب الغربى من بغداد ، وكان الأطباء الذين جمعهم فيه من كل موضع وهم أربعة وعشرون طبيبا كان يجرى لهم الرواتب الكبيرة ، ومن جملتهم: أبو الحسن على بن ابراهيم ، وأبو يعقوب الأهوازى ، وأبو عيسى ، والقس الروحى ، وبنو حسنون ، وكان مع هؤلاء الثقاة بعض المجيدين مثل أبو السلط ، وبعض الجراحين مثل أبو الخير وأبو الحسن بن تفاح ، ويقال أن الرازى كان متولياً العمل فى (بيمارستان الرى) ثم نقل إلى البيمارستان العضدى ، فأظهر عطفه الشديد على المرضى وكان يقضى وقته كله فى العمل على أراحتهم وبذل كل ما فى طاقته من مهارة طبية فى سبيل تطبيبهم وعلاجهم ، ويقول « محمد بن اسحق النديم» فى رواية لمحمد بن الحسن الوراق : قال لى رجل من أهل الرى وكان شيخاً كبيراً سألته عن الرازى : كان شيخاً كبير الرأس ، وكان يجلس فى مجلسه دون التلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخرون ، فيصف مايجده لأول من يلقاه ، فأن كان عندهم ، وإلا تعداهم إلى غيرهم ، فأن

أصابوا ، وإلا تكلم الرازى فى ذلك .

وكان الرازى كريماً متفضلاً باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء حتى كان يجرى عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم ، ولم يفارق القراءة والنسخ ، مادخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ مايسود أو يبيض ، وكان فى نظره رطوبة لكثرة أكله (الباقلاء) « وكيف بصره فى آخر عمره » ، ويفهم من هذه الرواية أن الرازى كان حريصاً كل الحرص على الأتصال بتلاميذه والأجتماع بهم والتحدث إليهم فى شئون صناعة الطب ، وفى أثناء ذلك كان يمدهم بالمعلومات ويزودهم بالتجارب ، وأنه فضلاً عن ذلك كان أنساناً كريماً نبيلاً ، يتصدق على الفقراء ويشركهم فى ماله وينفعهم بخبرته فى الطب ، فيطببهم بالمجان ، وهو بذلك يضرب مثلاً عالياً لكل من يريدون ممارسة هذه الصنعة ، ومن يمارسونها بالفعل، ويعدون أنفسهم لتخفيف آلام المرضى ، وبخاصة هؤلاء الذين أشتهروا بالحذق والمهارة ، كذلك كان الرازى قارئاً لايمل القراءة شديد العناية بتسجيل آرائه وتجاربه ، إذ كان وقته موزعاً على أفاده تلاميذه ، والعناية بالمرضى والقراءة والأطلاع والكتابة والبحث فى غوامض صناعة الطب ، والكشف عن الجديد فى أصول المعالجات .

[٤] كتاب " منافع الأغذية " :

هذا الكتاب يعطينا فكرة واضحة عن أتجاه أطباء العرب فى أساليب العلاج ، فقد كان هؤلاء الأطباء لايهتمون بعلاج المرضى فحسب ، ولكنهم كانوا مع ذلك يبذلون عناية خاصة بتدبير الوسائل التى تساعد على حفظ الصحة عملاً بالحكمة القائلة : « درهم وقاية خير من قنطار علاج » .

ومما يروى فى ذلك أن الخلفاء كانوا يستمعون إلى نصح أطبائهم وينفذون فى دقة مايشيرون به عليهم ، ويمنعونهم من تناول بعض الأغذية ، ويوضحون لهم ماتسببه من فساد لآلات البدن ، وفى هذا دليل على أنهم مهروا فى دراسة مختلف أنواع الأغذية من حيث نفعها ، ودفع مضارها ، فقد درسوا خواص المأكولات والمشروبات ، وبتتبع أحوال المرضى كانوا يعرفون مايضرهم من الأغذية ومايناسبهم منها ، وكانوا فى الوقت نفسه ينصحون الأصحاء بالأبتعاد عن تناول بعض المأكولات أو بالتخفيف منها ، لأنها تجلب للجسم المفاسد ،

وكتاب الرازى مثال لذلك ، ويتحدث عنه الدكتور الأب جورج شحاته قنواتى فيقول : أنه يتكون من تسعة عشر فصلاً فيتحدث الرازى فى الفصل الأول عن السبب فى تأليف كتابه ، وفى الفصل الثانى يتحدث عن منافع الحنطة (القمح) الخبز الذى يؤخذ منها ومضاره ، ومايتخذ من الوسائل لدفع هذه المضار ، ثم يتكلم عن أصناف الخبز ، ويبين مايناسب منها فى حال من الأحوال ، ومالا يناسب ، وفى الفصل الثالث يبين منافع الماء الذى يشرب وأصناف الثلج والجمد والماء البارد والحار ، وفى الفصل الرابع يتحدث عن منافع الشراب المسكر ومضاره ، وفى الفصل الخامس يتكلم عن الأشربة غير المسكرة ، وفى الفصل السادس يتكلم عن اللحوم ومنافعها ومضارها ، وفى الفصل السابع يتحدث عن القديد وهو اللحم المجفف بالملح ، وفى الفصل الثامن يتحدث عن السمك ومنافعه ومضاره ، وفى الفصل التاسع يتكلم عن أعضاء الحيوان وأختلافها وطبائعها ومنافعها ومضارها ، وفى الفصل الحادى عشر يتكلم عن الكوامخ والجبن العتيق والقنبيط والزيتون والمخللات ونحوها ، وفى الفصل الثانى عشر يتحدث عن اللبن وما يتخذ منه ، وما يجرى مجراه . وفى الفصول الباقية يتكلم عن البيض والبقول التى تؤكل نيئة أو مطبوخة والتوابل والأبازير التى تستعمل مع الطبيخ ، ثم يتكلم عن الفواكة الرطبة واليابسة والحلواء وغيرها .

[٥] كتاب فى « الأمراض التى تصيب جسم الأنسان وكيف تعالج مختلف الأدوية وأنواع الأغذية » : -

وقد أحدث هذا الكتاب ثورة كبيرة فى عالم الطب فى العصور الوسطى .

[٦] كتاب « من لايحضره الطبيب » : -

وهو كتاب طريف فى موضوعه ، وقد وضعه ليؤدى به خدمة كبرى للفقراء الذين لايستطيعون أحضار الطبيب للفحص عن مرضهم والقيام بمعالجتهم ، لذلك أطلق على هذا الكتاب أسم (كتاب طب الفقراء) ، وفيه يشرح كيفية معالجة المرض فى حال غياب الطبيب ، والأدوية التى ينتفع بها فى العلاج ، وقد يسر بهذا العمل الجليل العلاج لكل أنسان ، ولاشك أن هذا الصنيع يدل على الجانب الأنسانى العظيم الذى عرف به هذا الطبيب العربى الكبير .

* وصايا ونصائح الرازى الطبية :

لقد كان أبو بكر الرازى يعد فى مرتبة « هيبوقراط » بأعتراف الغربيين أنفسهم ، وقد ترجمت مؤلفاته إلى الألمانية والأنجليزية واللاتينية والفرنسية .

وللرازى وصايا ونصائح وأراء طبية عظيمة القيمة فى الطب ، وهى مبعثرة فى كتبه ، غير أنها فى جملتها تكون دستوراً طبياً يعترف به الطب الحديث ، ومما ورد فيه من آراء قوله : -

* « إذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً ، فما أقل لبث العلة » ، وهذا الرأى من غير شك يترجم نظرية طبية صادقة ، وقوله : -

* « ما أجتمع الأطباء عليه وشهد عليه القياس وعضدته التجربة ، فليكن أمامك » . وقوله لطالب الطب بأن عليه أن يزور « البيمارستانات » (المستشفيات) ودور العلاج وأن يوجه أنتباهاً لايفتر إلى أحوال من فيها وظروفهم ، وهو فى صحبة أعظم أساتذة الطب ذكاء ، وأن يكثر من الأستفسار عن حالة المرضى ، والأعراض الظاهرة عليهم ، ذاكرا ماقرأه عن تلك التغيرات وعما تدل عليه من خير أو شر ، فأن هو فعل ذلك ، بلغ مرتبة عالية فى هذه الصناعة » .

* وقوله : « الحقيقة فى الطب غاية لاتدرك والعلاج بما تصفه الكتب دون أعمال الماهر الحكيم برأيه خطر » .

* فقوله : « أن الحقيقة فى الطب غاية لاتدرك » دليل على إيمانه القوى بتطور صناعة الطب ، وفى قوله : « ذاكرا ماقرأه عن تلك التغييرات » حث على الأتصال بكتب الصناعة ومداومة الأطلاع وبذلك يبلغ الطبيب منزلة عظيمة ثم يقول : -

* « أن العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات فى الأمراض فعليك بالأشهر مما أجمع عليه ودع الشاذ » .

* وقوله : « متى أجتمع جالينوس وأرسطو طاليس على معنى فذلك هو الصواب ، ومتى أختلفا صعب على العقول صوابه جداً » .

* وقوله : - « من لم يعن بالأمور الطبيعية والعلوم الفلسفية والقوانين المنطقية وعدل إلى اللذات الدنيوية فأتهمه فى علمه ولاسيما فى صناعة

الطب».

* وقال : - « الأمراض الحارة أقتل من الباردة لسرعة حركة النار »

* وقال : - « الناقهون من المرض إذا أشتهوا من الطعام مايضرهم فيجب على الطبيب أن يحتال فى تدبير ذلك الطعام وصرفه إلى كيفية موافقتهم ولايمنعهم مايشتهون البته » .

* وقال : - « الأطباء الأميون والمقلدون والأحداث الذى لاتجربة لهم ، ومن قلت عنايتهم وكثرت شهواتهم قتالون » .

* وقال : - « ينبغى للطبيب ألا يدع مساءلة المريض عن كل مايمكن أن تتولد عنه علته من الداخل ومن الخارج ، ثم يقضى بالأقوى ، وينبغى للمريض أن يقتصر على طبيب واحد ممن يوثق بهم فخطؤه فى جنب صوابه يسير جداً ، ومن تطيب عند كثير من الأطباء يوشك أن يقع فى خطأ كل واحد منهم » .

* وقال : - « متى كان أقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل ، وينبغى أن تكون حالة الطبيب معتدلة لا مقبلاً على الدنيا كلية ، ولا معرضاً عن الآخرة كلية فيكون بين الرغبة والرهبة » .

* ومما يدل على عبقريته الطبية أشارته إلى أختلاف خطوط عروض البلدان وأثر ذلك فى العلاج ومزاج الجسم ، فقال : بأنتقال الكواكب الثابتة فى الطول والعرض تنتقل الأخلاق والمزاجات ، وبأختلاف عروض البلدان تختلف المزاجات والأخلاق والعادات ، وطباع الأدوية والأغذية حتى يكون ما فى الدرجة الثانية من الأدوية فى الرابعة ، وما فى الرابعة فى الثانية ، وقال : - « إذا أستطاع الحكيم أن يداوى بالأغذية دون الأدوية ، فقد وافق السعادة » .

تلك بعض أقواله فى أصول الطب فقد تناولت بلاشك دستوراً طبياً عملياً يستطيع أن ينتفع به كل من الطبيب والمريض .

* ولم يكن نبوغ الرازى مقصوراً على الطب وحده ، فقد أضاف إليه نبوغه فى الكيمياء ، والأقرباذين الدوائى (علم أعداد الأدوية) . والصلة قوية بين علوم الطب والكيمياء ، وقد أستطاع الرازى أن ينتفع فى الطب بمعلوماته فى الكيمياء فكان أول من أستعمل الملينات ، وأستخدم المركبات الكيماوية فى الطب ، كما كان ماهراً فى التشريح بدرجة عظيمة ، وأستطاع بذلك أن يميز

أعضاء الجسم بعضها من بعض ، ومما يذكر أنه حينما فقد بصره فى أيامه الأخيرة لم يرض بأن يقوم له أى طبيب بعملية قرح فى عينيه إلا بعد أمتحانه فى عدد أغشية العين ، ويقول « هانزشيدر » فى كتابه « روح الحضارة العربية» عرف المترجمون اللاتينيون الرازى بأسم (Rhases) ويعد بحق أكبر طبيب بين المسلمين ، وهو فى الطب تلميذ « لجالينوس » ولكنه فى الوقت نفسه ذو أتجاه تجريبى دقيق فقد كان يعني - مستعيناً بمركزه كمديراً لبيمارستان بغداد - بالملاحظات الأكلينيكية . ويصف من تجاربه الصيدلية الدواء للمرض ، ولكنه يحاول فى الوقت نفسه أن يعالج الأمراض بوصفات وقائية ونظم للتغذية .

* **وقائع طبية فى حياة الرازى :**

حفلت حياة الرازى فى عالم الطب بكثير من الحوادث والطرائف والحكايات الغريبة التى تدل على مهارته الطبية ، وما تفرد به فى مداواة المرضى من تصرفات حكيم خبير بعلل الأجسام ووصف بعض الأدوية التى لم تخطر ببال أحد من الأطباء ، وقد وقعت له أثناء معالجة المرضى بعض الوقائع الطبية المثيرة، فقد أشار إلى بعضها كتاب (الحاوى) ومن هذه الحكايات مارواه القاضى « أبو على الحسن بن على بن أبى جهم التنوخى » فى كتاب « الفرج بعد الشدة » ، وقد نقل روايته عن « محمد بن على بن الخلال » أحد أمناء القضاة ، وتقول هذه الرواية ، أن غلاماً من بغداد قدم الرى وهو ينفث الدم - وقد أصيب بذلك وهو فى طريقه إلى الرى فاستدعى له الطبيب أبو بكر الرازى المشهور بالحذق وصاحب الكتب المصنفة فى الطب ، وحينما رأى الغلام سأله عما حدث له ، ومتى كان ذلك وأستخدم مجسته وقام بالفحص الدقيق على الغلام ، فلم يقم له دليل على سل أو قرحة ، ولم يعرف العلة ، فطلب من أهل الغلام أن يعطوه فرصة ،لكى يفكر فى الأمر ، وعندئذ خشى الغلام على حياته، وبدأ اليأس الشديد يدب إلى نفسه ، لأن الطبيب الحاذق قد جهل عليه ، غير أن الرازى كان يعمل فكره ويراجع كتبه ، وبعد ذلك بدت له فكرة فأسرع إلى المريض ليسأله عن المياه التى شربها فى طريقه ، فأخبره الغلام بأنه شرب من بعض المستنقعات فى جهة كذا ومن الصهاريج المعدة للمسافرين .

وعندئذ وصل الرازى بحدة خاطره وجوده ذكائه إلى أن علقة من العلقات

التى تعيش فى الماء وتأكل من الطحالب قد نفذت إلى معدته مع الماء الذى شربه ، وأن ذلك النفث الذى يشكو منه المريض لابد أن يكون من فعلها ، ثم قال للمريض : سأحضر غداً لمعالجتك ولن أنصرف حتى تبرأ أن شاء الله ولكن بشرط أن تأمر الخدم بأن يطيعونى فيك بما آمرهم به ، فقال المريض : نعم ، وأنصرف الرازى فملأ أناءين كبيرين من الطحلب الأخضر وأحضرهما معه فى الموعد ، ثم أطلع المريض عليهما وقال له : -

أننى أريد أن تبلع جميع ما فى هذين الأناءين فبلع المريض شيئاً يسيرا منهما ، ثم توقف فقال له : - أبلع ، فقال : لا أستطيع ، فقال للخدم خذوه فأنيموه على قفاه ، ففعلوا به ذلك ، وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه ، وأقبل الرازى يدس الطحلب فى حلقة ويكبسه كبساً شديداً ، ويطالبه ببلغه شاء أم أبى ويتهدده بالضرب إلى أن بلع كارها كل ما فى أحد الأناءين ، وكان الغلام يستغيث فلا ينفعه مع الرازى شىء إلى أن قال الغلام : أن مابلعته سأقذفه الآن بالرغم منى ، فرد على ذلك الرازى بأن زاد فيما يكبسه فى حلقه ، ولكن الرغبة فى القىء كانت قد تغلبت على الغلام فقذف كل ما فى معدته ، وكان الرازى يتأمل بدقة مايخرج منها ، فوجد فيه علقة من العلقات التى تعيش فى المياه الآسنة ، وأما سبب خروجها فيرجع إلى أنها حين أحست وجود الطحلب فى معدة المريض أندفعت إليه بطبعها ، وتركت موضعها ثم ألتفت حول الطحلب ، وحينما قذف الغلام ما فى معدته من الطحلب خرجت معه ، ولم يلبث الغلام بعد ذلك حتى نهض معاف وقد زال كل مابه . وينقل القاضى التنوخى رواية أخرى منسوبة إلى أبى بكر بن قارن الرازى الطبيب ، وكان تلميذاً لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى ، وقد سمع ابن قارن هذه الراوية من أستاذه التى تقول : أنه مر ببلدة (نيسابور بيقام) أثناء سفره إلى خراسان ، وكان قد ذهب إليها لعلاج أميرها من علة صحية أصابته ، وتقع هذه البلدة فى منتصف الطريق بين نيسابور والرى ، وقد أستقبله رئيس هذه البلدة وأنزله داره وقام بخدمته على أحسن وجه ، ثم طلب صاحب الدار من الرازى أن يقف على حال ابن له به أستسقاء ، فأجاب الرازى طلبه ، وعندئذ قام به إلى دار أخرى كان قد أفردها للمريض وحده ، وأقام على خدمته أمرأة عجوزاً ، وعندما رأى المريض وبحث

حالته لم يطمع فى شفائه ، ولكنه لم يظهر شيئاً من ذلك أمام المريض ، بل مناه بالشفاء القريب ، غير أنه عندما أنفرد بأبيه صارحه بحال أبنه ، وقال له مكنه من شهواته ولاتمنع عنه شيئاً ، فأنه لايعيش ، ثم أستأنف سيره إلى خراسان وأمضى بها قرابه سنة كاملة ، وعند عودته مر بهذه البلده مرة ثانية ، فخرج صاحب الدار لأستقباله ثم حياه بسرور وطلب منه أن يحل به ضيفاً ، فأستحيا منه الرازى ، لأنه لم يشك فى وفاة ولده وكيف ينزل بداره ، وقد سبق أن أيأسه فى أبنه ، ونزل الرازى ضيفاً على الرجل على كره من ، كما كره أن يسأله عن أبنه خوفاً من أن يجدد حزنه عليه ، إذ كان يعتقد أنه مات بلاريب ، وذات يوم سأل الرجل الرازى فقال له : أتعرف هذا الفتى ؟ وأومأ إلى شاب حسن الوجه والصحة كثير الدم والقوة ، وكان قائماً مع الغلمان بخدمة الرازى ، فقال : لا أعرفه ، فقال الرجل : هذا ولدى الذى آيأستنى منه بعد أن عرضته عليك ، وأنت بدارنا أثناء توجهك إلى خراسان .

فتحير الرازى وعجب كل العجب ، ثم أخذ يسأل الرجل عن أسباب شفائه، فقال الرجل : أنك بعد أن سافرت وكنت قد ألقيت اليأس فى قلبى ، وأنا أعلم أنك أوحد الطب فى زمانك ، لم أشك أبداً فى المصير الذى قدر لولدى ، وقد شعر أبنى بما فى نفسى فقال لى : أننى أعلم أن هذا الطبيب العظيم قد أخبرك بأننى لن ابرأ من مرضى ، ثم طلب منى أن أمنع عنه رؤية الغلمان الذين هم فى سنة ويتمتعون بصحتهم فأن ذلك يؤلمه ، وقد يسبب له حمى تعجل بوفاته ، فنفذت له رغبته وأحترمت أرادته ، وأفردت له فلانة (الداية) لتقوم بخدمته بحيث يكون بعيداً عن كل ممن لايحب أن يراهم ، وكانت الداية تحمل إليه كل يوم طعامه ، وكنا نقدم إليه كل مايشاء ، وأتفق فى يوم من الأيام أن بعثنا بأناء به طعام مطهى للداية ، لكى تأكل منه فتركت الأناء بالقرب من ولدى وبحيث يقع نظره عليه ، وذهبت لبعض شأنها ، وعندما عادت وجدت أبنى قد أكل أكثر ما فى الأناء ، ولم يترك فيه إلا شيئاً يسيراً ، وحينما وقع نظر الداية عليه رأته متغير اللون ، فسألته عما حصل ، فقال لها لاتقربى مافى الأناء وجذبه إليه ، وكان قد شاهد ثعباناً كبيراً خرج من موضعه فعثر بالأناء فأطل فيه وأكل منه شيئاً ، ثم قذف فيه ، فتغير لونه ، وحكى لها هذه القصة ، ثم

قال لها أنت تعلمين أننى ميت ولا أود أن يلحقنى ألم شديد ، فإذا أكلت من هذا الطعام لاقيت نهايتى من غير عذاب ، ثم أكل من هذا الطعام المسموم بعض كفايتة ، وأرادت العجوز أن تمنعه أو تأخذ منه الإناء فلم تستطع ، ثم أقبلت إلى مسرعة وقصت على القصة وهى فى غاية من الأضطراب والفزع فهاجت نفسى ، وألم بى غم شديد ، وذهبت إلى إبنى من فورى ، فوجدته نائماً مستغرقاً في نومه ، فقلت لاتوقظوه حتى ننظر مايكون من أمره ، ثم أنتبه آخر النهار وقد عرق عرقاً شديداً ، ثم طلب أن يستحم ، فذهبنا به إلى المستحم ، وبعدئذ أصابه أسهال شديد أستمر ليلته وغداه هذه الليلة ، وقد عمل أثناء ذلك مائة مجلس فازداد يأسنا منه ، إذ أستمر ذلك أياماً ، ولكنه لم يلبث أن طلب فراريج ودجاجاً ، فأكل منها كفايته ، ولم تزل قوته تعود إليه شيئاً فشيئاً ، وقد كان بطنه قد ألتصق بصدره من شدة الأسهال ، وعندئذ قوى أملنا فى عافيته ، ومنعناه التخليط فى الطعام حتى أزدادت قوته إلى أن صار كما تراه الآن ، فأبدى الرازى مرة أخرى عجبه الشديد ثم قال : لقد ذكر الأوائل أن المصاب بالأستسقاء إذا أكل من لحم حية عتيقة عاشت سنوات بريء من مرضه ، ولو كنت قلت لك هذا لسخرت منى ، ثم من أين يتحقق لك عمر هذه الحية إذا وجدتها ، ومن أجل ذلك سكت عن وصف هذا الدواء ، والآن لقد تحقق ماكان يدور فى نفسى مما يدل على صدق الأوائل .

* **الرازى والكيمياء :**

درس الرازى الكيمياء فى أستيعاب وفهم ، وأحاط بكثير من دقائقها حيث يقول الأستاذ (كويلريونج) : - « وعند بعض الباحثين أن الرازى فاق جابراً فى تعرفه الدقيق للمواد ، وفى أوصافه الواضحة للعمليات والأجهزة الكيميائية ، وهو لم يرتض تقسيم المواد إلى أجسام ونفوس وأرواح ولكن أصر على ما لا يزال مستعملاً من التصنيف إلى حيوان ونبات ومعدن ، وقد كانت اعماله معروفة للغرب اللاتينى ، وكان « روجر بيكون » الراهب الإنجليزى يقتبس منها » ، والأستاذ كويلريونج من أساتذة جامعة (برنستون) الأمريكية التى أفردت جناحاً خاصاً لدراسة آثار الرازى وتخليد ذكرى هذا الطبيب العبقرى والكيميائى العظيم ، الذى يعده كثير من العلماء (مؤسس الكيمياء الحديثة) ،

وكان يسلك فى تجاربه مسلكاً علمياً خالصاً .

*** مولفاته فى الكيمياء :**

ألف العالم العربى أبو بكر الرازى فى الكيمياء عدة كتب وهى :-

سر الأسرار - المنصورى - الجامع - الرد على الكندى فى أدخال صناعة الكيمياء فى الممتنع - الأثبات - الحجر الأصفر - فى محنة الذهب والفضة - الميزان الطبيعى ، وقد ترجمت أكثر هذه الكتب إلى اللاتينية .

[١] كتاب " سر الأسرار " :

جاء فى كتاب « سر الأسرار » بالنسخة الألمانية المحفوظة فى دار الكتب المصرية وهى بقلم « يوليوس روسكا » قول العالم العربى أبو بكر الرازى عن هذا الكتاب : -

« وسميته بكتاب الأسرار ، يرتفع به الأجساد بما أودعته فيه من التدابير، درجة على رأس الكور ، فبلغ مراده بأهون التدابير ، والله الموفق لما نويناه ، وإليه الرغبة فى إتمام ماقصدناه إنه المنان .

فحرام على من وقع كتابنا أن يفسره لمن ليس بنا ، أو يطلع العامة على مافيه ، أو فاسقاً وسمى نفسه بأسمنا وأدخله فى جملتنا ، ويزينه بعلمنا .

وقد شرحت فيه ماكتمته الحكماء والفلاسفة القدماء مثل أغاذيموس وهرمس وأفلاطون وجالينوس وغيرهم من الحكماء » .

* يتضمن هذا الكتاب شرحاً مفصلاً لمنهج الرازى فى البحث والتجربة وهو يقوم على أسس علمية دقيقة ، فهو يبدأ بوصف المواد التى يشتغل بها ، ثم يتحدث عن وصف الآلات والأدوات التى يستعملها ، ثم ينتقل إلى وصف الطريقة التى يسير عليها فى تحضير (الخميرة) ، والمقصود بالخميرة هو المركب الذى يعده لتحويل المعادن من نوع إلى نوع آخر .

فضلاً عن ذلك نراه يبدى أهتماماً كبيراً بشرح الأجهزة المعقدة ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية .

[٢] كتاب " فى صناعة الذهب " :

من أعجب مايقال « أن مؤلفات الرازى ألحقت بصاحبها الأذى » .

فقد ذكروا فى سبب وفاته أنه ألف كتاباً فى الكيمياء ، وحمله إلى

المنصور السامانى ، فلما وصل إلى خراسان قدم الكتاب إلى المنصور ، فأعجبه وشكره ، ودفع إليه بألف دينار . ولكنه قال له : « أريد أن تخرج هذا الذى ذكرت فى الكتاب إلى حيز التنفيذ » .

وذكر الرازى رأيه فى تحويل المعادن بقوله : - « وأما سر هذه الصناعة فى تحويل المعادن ، فهو من الممكن لامن المستحيل ، ولايكشف الغطاء عن هذا السر إلا بكثرة التجارب والأمتحان ، وما أسعد الأنسان إذا تمكن من رفع طرف هذا الحجاب الذى أحتجبت به الطبيعة عنا » .

ويبدو أن الرازى لم يكن يجزم بأمكان تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة ، وإنما كان يؤلف بها الكتب على مايصفها أصحابها التماساً للمال .

فلما طلب المنصور منه تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب ، قال له : - « إن ذلك يحتاج إلى المؤن والعدد والعقاقير والدقة فى العمل ، مما يستغرق نفقات طائلة » فقال المنصور كل ما أحتجت إليه من الآلات او العقاقير او غيرها ، فإنى أحضره لك ، حتى تخرج ماذكرته فى كتابك هذا إلى العمل . فلما رأى إصرار المنصور أذعن ، ولكنه عجز عن العمل ، فقال له المنصور : « ما أعتقدت أن حكيماً يرضى بتخليد الكذب فى كتب ، لايعود عليهم بمنفعة». ثم قال له : « لقد كافأتك على قصدك وتعبك بما صار إليك من الألف دينار ، ولابد من معاقبتك على تخليد الكذب » . ثم أمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ، ثم جهزه وسيره إلى بغداد . فكان ذلك الضرب سبباً فى نزول الماء فى عينيه ، وجاء رجل يداويه (كما سبق أن ذكرنا) ، فقال له الرازى : كم طبقة للعين ؟ قال : لا أعلم . فقال :لايقدح عينى من لايعلم ذلك ثم قال : « قد نظرت الدنيا حتى مللت ، فلا حاجة بى إلى عينين » .

تجاربه وأبحاثه الكيميائية : -

[۱] حامض الكبريتيك :

لقد وجدت فى بحث للدكتور (عبد الفتاح عاشور) ذكر فيه أن أبو بكر الرازى هو أول من وصف حامض الكبريتيك (زيت الزاج) وحضره بتقطير كبريتيد الحديديك ، وهنا يجدر ذكر ملاحظة هامة وهى أن معظم الباحثين ينسبون هذه العملية الكيميائية إلى العالم العربى جابر بن حيان ، وذلك لسعة

فضله فى العلم والمعرفة ، ومع ذلك فقد خرج هذا الأختراع يحمل أسم جابر بن حيان ، وأبوبكر الرازى معاً .

[٢] تحضير الكحول :

وصف أبو بكر الرازى تحضير الكحول بتقطير المواد اللبية أو السكرية المتخمرة ، وقد كان لذلك أثر كبير فى أعداد الأدوية فى عصره ، فقد كانت الصيدليات فى ذلك الزمان تعتمد عليه فى تجهيز الأدوية ، كما كان يستعمله فى أنواع من العلاجات أثناء قيامه بتدريس الطب فى مدارس بغداد .

[٣] حساب الكثافة النوعية : -

نبغ الرازى فى عمل حساب الكثافات النوعية للسوائل وأستعان على ذلك بأبتكار ميزان خاص سماه « الميزان الطبيعى » .

[٤] تقسيم الرازى للمواد :

ذكر كتاب أعلام العرب فى الكيمياء لمؤلفه « الدكتور / فاضل الطائى » (١٩٨٦م) أن الرازى يعتبر أول من قام بعملية تصنيف المواد الكيمياوية تصنيفاً موفقاً . فقد قسم الرازى المواد بصفة عامة إلى أربعة أقسام رئيسية هى: المعادن - النباتات - الحيوانات - المشتقات أو العقاقير المولدة وهى المستحضرات الكيميائية ، ثم قسم مملكة المعادن أو المواد المعدنية إلى ست مجموعات كالآتى : -

الأرواح - الأجساد - الأحجار - الزاجات - البوارق - الأملاح .

أما بالنسبة للنباتات فقد ذكر أنها نادرة التداول فى الطب .

وأما المواد الحيوانية فتشمل : الشعر - القحف - المخ - المرارة - الدم - اللبن - البول - البيض - الصدف - والقرون .

وعن العقاقير المولدة أو المستحضرات الكيميائية فقد ذكر الرازى المرتك (أول أكسيد الرصاص) ، والأسرنج (أكسيد الرصاص الأحمر) ، الزنجار (خلات النحاس) ، الروستحنج (أكسيد النحاس الأسود) ، التوتيا (أكسيد الخارصين) ، وزعفران الحديد (أكسيد الحديد) ، الزنجفر (كبريتيد الزئبق الأحمر) ، وبياض الزرنيخ (أكسيد الزرنيخ) إلى غير ذلك من مستحضرات .

★ تصنيف الرازى للمعادن :

ذكر كل من بازتنجتون (١٩٦٠م) ، والسكرى (١٩٧٣م) ، وعدنان النقاش (١٩٨٦) ، وفاضل الطائى (١٩٨٦م) ، أن الرازى قسم المواد المعدنية إلى ست مجموعات وذلك لكثرتها وأختلاف خواصها ، وأفاض الطائى على وجه الخصوص فى شرح هذه المجموعات المختلفة وبيانها بإيجاز كالآتى : -

(١) الأرواح : - تضم هذه المجموعة المواد المتطايرة والمواد المتسامية مثل الزرنيخ (كبريتيدات الزرانيخ) ، والزئبق ، والنشادر ، والكبريت .

(٢) الأجسام : - تضم العناصر الفلزية مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والخارصين .

(٣) الأحجار : - صنف الرازى تحت هذا العنون ١٣ حجراً هى : المرقشيشا (بيريت) - الماغنسيا - الدوحى (أكسيد الحديد المغناطيسى الأسود) - التوتيا (سبيكة من سبائك الخارصين - اللازورد من مركبات النحاس) - الدهنج (الملاكيت الأخضر) - الفيروزج (حجر كريم أزرق) - السنباذج(حجر الدم أو أكسيد الحديديك)-الشك (أكسيد الزرنيخ الأبيض) - الكحل (كبريتيد الرصاص أو الجالينا) - الطلق (وقد تسمى الميكا ، و على العموم هى نوع من معادن السليكات) - الجبسين (كبريتات الكالسيوم المائية) الزجاج (سليكات الصوديوم) وغيره .

(٤) الزاجات : - تبدو هذه المجموعة وقد تكونت من أملاح الكبريتات مثل الزاج الأسود ، والزاج الأبيض القلقديسى (كبريتات الخارصين) - والزاج الأخضر القلقند(كبريتات الحديدوز)- الزاج الأصفر أو القلقطار- الزاج الأحمر - الشب (كبريتات البوتاسيوم والألومنيوم المائية) .

(٥) البوارق : - هى الأملاح التى يدخل فى تركيبها عنصر البورون وتكون مركبات البورات ومنها بورق الخبز - النطرون - بورق الصاغة - التنكار (خليط من الملح والبورق) - بورق الزورندى - بورق الغرب .

(٦) الأملاح : ذكر الرازى فى هذه المجموعة عدداً من الأملاح مثل الملح الحلو (ملح الطعام) - الملح المر (الملح الأفرنجى) وهو كبريتات المغنسيوم

ويستعمل كملين - الملح الصخرى (كبريتات الصوديوم المتبلورة) - القلى - جوهر البول - الجير المطفأ - ملح البلوط وهو رماد البلوط (يحتوى على أملاح البوتاسيوم) .

هذا وقد أفاض الرازى فى أوصاف هذه المواد المعدنية وطرق تحضيرها ومعرفة خواصها ، وتمييز الجيد من الردىء منها . وفى قسم الأحجار خاصة

خاصة ما ذكره النقاش سنة ١٩٨٦م ، وصف الألوان والخواص الطبيعية الأخرى والشوائب والضروب المختلفة ومواطن الوجود .

وبأختصار فإن الرازى قسم المواد المعدنية إلى ست أقسام هى :

* **الأرواح :** - أى المواد المتطايرة مثل الزرانيخ .
* **الأجساد :** - وهى العناصر الفلزية .
* **الأحجار :** - وتضم بعض معادن السليكات .
* **الزاجات :** - وهى مركبات الكبريتات .
* **البوارق :** - وهى معادن البورات .
* **الأملاح :** - وتضم ملح الطعام (الهاليدات) .

وبعبارة أخرى فأن هذه الأقسام الستة من مملكة المعادن تشمل المجموعات الآتية : -

الزرانيخ - العناصر الفلزية - معادن السليكات - الكبريتات - البورات- الهاليدات .

هذا التصنيف للمواد المعدينة يعتبر فريداً فى نوعه وهو بداية مبكرة للتصنيف الحديث للمعادن الذى بنى على أساس كيميائى .

أى أننا أمام عالم عربى هو الرازى ، وهو أول من وضع خطة للتصنيف الحديث للمعادن على أساس كيميائى بحت وذلك منذ حوالى أحدى عشر قرناً من الزمان .

*** التصنيف الحديث للمعادن**

أن الطريقة العلمية الحديثة المتبعة فى تصنيف المعادن هى التى تضع المركبات الكيميائية المتشابهة معاً فى مجموعة واحدة .

أى أن أساس التصنيف العلمى الحديث للمواد المعدنية يعتمد بالدرجة الأولى على الخواص الكيميائية ويضم تصنيف المعادن الحديث والمبسط حوالى ١٢ مجموعة مقسمة على أساس كيميائى بيانها كالآتى [دانا - (١٩٤٩م)]:

(١) **العناصر :** - مثل الماس - الجرافيت - الكبريت - الذهب - فضة- نحاس - زئبق .

(٢) **الكبريتيدات :** - مثل كبريتات الحديد أو البيريت .

(٣) **الكبريتات :** - مثل كبريتات الكالسيوم المائية أو الجبس .

(٤) **الهاليدات :** - مثل كلوريد الصوديوم أو ملح الطعام أو الهاليت .

(٥) **الأكاسيد والأيدروكسيدات :** - أكاسيد مثل ثانى أكسيد السليكون وهو الكوارتز وأيدروكسيدات مثل أيدروكسيد الحديد وهو جوتيت .

(٦) **الكربونات :** - مثل كربونات الكالسيوم أو كالسيت .

(٧) **السليكات :** - مثل سليكات الألومنيوم والبوتاسيوم وهو الفلبسار .

(٨) **الفوسفات والزرنيخات :** - الأولى مثل فوسفات الكالسيوم القاعدية وهى أباتيت ، والثانية مثل زرنيخات الرصاص وهى ميميتيت .

(٩) **النترات :** - مثل نترات الصوديوم أو النيتر .

(١٠) **البورات :** - مثل بورات الصوديوم المائية أو البوراكس .

(١١) **الأوكسلات .**

(١٢) **المركبات العضوية :** (مركبات الهيدروكربون) .

* مقابلة التصنيف الحديث للمعادن بتصنيف الرازى

إذا قارنا التصنيف الحديث للمعادن المذكور بتصنيف الرازى للمواد المعدنية الذى يشمل ست مجموعات هى : -

الأرواح (المواد المتطايرة) ، والأجساد وهى العناصر الفلزية ، والأحجار

وتضم بعض معادن السليكات - والزاجات وهى مركبات الكبريتات ،

والبوارق وهى معادن البورات - والأملاح وتضم ملح الطعام (الهاليدات)، تبين أن تصنيف الرازى يتفق عموماً مع التصنيف الحديث للمعادن فى الأساس الكيميائى لكل منهما ، ولقد أصاب الرازى حينما تمكن فى هذا الوقت المبكر من الزمن الذى يمتد إلى أوائل القرن العاشرالميلادى من تحديد خمس مجموعات معدنية على اساس تركيبها الكيميائى تتفق مع مثيلاتها فى التصنيف الحديث وهى : -

الأجساد أو العناصر الفلزية - الأحجار التى تشمل بعض معادن السليكات - الكبريتات - البورات - الهاليدات .

غير أنه أخفق فى وضع مجموعة الأرواح حيث أن بعضها عناصر (كبريت)، والبعض الآخر مركبات (نشادر) ، كذلك فأن التصنيف الحديث يشمل عدداً أكبر من المجموعات الكيميائية (١٢ مجموعة) أكثر من تلك التى حددها الرازى (ست مجموعات) وذلك تمشياً مع زيادة معلوماتنا المستمرة عن المعادن وتركيبها الكيميائى مع تقدم الوقت .

وهناك أكثر من موقف يستحق التأمل والتعليق فى تصنيف الرازى للمواد المعدنية .

فمثلاً حرصه على أضافة « جوهر البول » إلى الرتبة السادسة وهى مجموعة الأملاح ، وكأنه يريد الأشارة إلى بعض المركبات العضوية التى تحتل الرتبة رقم (١٢) فى التصنيف الحديث للمعادن ، كذلك أضافة مادة « الجير المطفأ » وهى أيدروكسيد الكالسيوم ضمن الأملاح فى حين أنها تعامل حالياً على أساس وضعها فى مجموعة الأيدروكسيدات (المجموعة رقم (٥) من التصنيف الحديث)

أن أضافة الرازى أسماء هذه المواد الكيميائية وغيرها يعطى أقوى دليل على ألمامه الواسع ومعرفته العميقة لعدد كبير متنوع من المعادن والمركبات المائية .

● لذلك يتضح أن تقسيم الرازى للمواد المعدنية إلى ست مجموعات هى :

الأرواح : (المواد المتطايرة ، الأجساد : وهى العناصر الفلزية - الأحجار: وتضم بعض معادن السليكات - الزاجات : وهى الكبريتات - البوارق أو البورات - الأملاح : وتضم ملح الطعام أى الهاليدات ، تتفق بأستثناء المجموعة الأولى مع التصنيف الحديث للمعادن فى أن أساس كل منهما كيميائى، وقد أصاب الرازى حينما حدد خمس مجموعات معدنية تتفق من الناحية الكيميائية مع مثيلاتها من المجموعات الحالية وهى مجموعة العناصر الفلزية ، الأحجار (السليكات) - الزاجات وهى الكبريتات - البوارق - الأملاح (الهاليدات) .

فى حين يحتوى التصنيف الحديث على عدد أكبر من المجموعات المعدنية وذلك تمشياً مع زيادة المعلومات عن المعادن وتركيبها الكيميائى مع تقدم الوقت منذ عصر الرازى حتى الوقت الحاضر .

* الرازى فيلسوفاً :

لم تظهر عبقرية الرازى فى الطب والكيمياء فحسب بل كان إلى جانب ذلك فيلسوفاً ، له آراؤه الفلسفية ، لذلك نراه يجعل للعقل شأناً كبيراً فى حياة الأنسان ، فهو القوة العظيمة التى أمتاز بها الأنسان ، وبها فضله الله على الحيوان ، وبالعقل المفكر أستطاع الأنسان أن يعمل على تسخير قوى الطبيعية، فيما يعود عليه الخير العميم ، من أجل ذلك نادى الرازى بضرورة الرجوع إلى العقل فى كل أمر من الأمور ، وأوصى بأن ينزه العقل عن النزول إلى مستوى الشهوات وأهواء النفس .



★ إبن النفيس ★

* ابن النفيس *

* التعريف بابن النفيس
* الوقيعة بين ابن أبى أصيبعة وابن النفيس
* نشأته ومنهجه العلمى
* مؤلفاته الطبية وأبتكاراته :
  * كشف الدورة الدموية الصغرى
  * مؤلفاته الطبية
* ابن النفيس العالم فى غير الطب :

(النحو - المنطق - القانون) .

* مؤلفاته فى العلوم الدينية
* فلسفته العلاجية

ابن النفيس

*** التعريف بابن النفيس :**

لم يكن ابن النفيس مجهولاً لدى المؤرخين المعاصرين كما زعم البعض ، فقد ذكره ليكلير فى كتابه عن الطب العربى ، وأنما الذى كان مجهولاً لديهم هو أهمية كشوفه ، فلقد أكتفى هذا المؤرخ وهو يشير إلى « شرح تشريح القانون » الذى يحوى النظرية الجديدة التى أبتكرها بقوله أن نسخاً منه موجودة فى مكتبات باريس والأسكوريال وأكسفورد وبرلين من دون أن يشفع ذلك بتعليق عليه . ويرد ذكر ابن النفيس إلى أن طبيباً مصرياً (هو الدكتور محيى الدين التطاوى) (١٨٩٦- ١٩٤٥م) فى خلال مطالعاته للمخطوطات العربية بمكتبة برلين عثر على مخطوط عنوانه « شرح تشريح القانون » أى قانون ابن سينا . فعنى بدراسته وتدبيج رسالة لنيل الدكتوراه من جامعة فرايبورج بألمانيا ، موضوعها « الدورة الرئوية تبعاً للقرشى » فذهل أساتذته والمشرفون عليه ، وماكادوا يصدقونه ولجهلهم باللغة العربية ، أرسلوا نسخة من الرسالة إلى الدكتور « ماكس مايرهوف » الطبيب المستشرق الألمانى الذى كان إذ ذاك يقيم بالقاهرة والتمسوا رأيه فيها . فأيد مايرهوف الدكتور التطاوى وأبلغ الخبر إلى المؤرخ « جورج سارتون » الذى نشره فى آخر جزء من مؤلفه الضخم فى «تاريخ العلوم » ، ثم بادر مايرهوف إلى البحث عن مخطوطات أخرى لأبن النفيس وعن تراجم له ، ونشر نتيجة بحوثه فى عدة مقالات ، وبذلك عاد نجم ابن النفيس يلمع بعد أن خبا سبعة قرون .

وقد أدى هذا الأهتمام إلى الكشف عن تراجم أخرى لهذا العالم العربى الفذ ، وعن مقتطفات عنه بصرتنا بالخطوط العريضة لحياته ولشخصيته .

*** الوقيعة بين ابن أبى أصيبعة وابن النفيس :**

يتساءل من يتناول البحث فى تاريخ ابن النفيس عن أسباب عدم ذكره فى كتاب « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة ، مع أن ابن أبى

أصيبعة عاصر ابن النفيس وتتلمذ معه على مذهب الدخوار .

وزامله فى البيمارستان النورى بدمشق ، ثم فى البيمارستان الناصرى بالقاهرة حيث كان رئيساً لقسم الرمد ، وكان ابن النفيس مديراً له .

هذا قبل أن يغادر ابن أبى أصيبعة القاهرة إلى صرخد حيث عمل لدى أميرها «عز الدين فاروق شاه »شطراً طويلاً من حياته ، فذهب هؤلاء المؤرخون إلى أن ابن النفيس قد يكون السبب فى هجرة ابن أبى أصيبعة من القاهرة لخلاف وقع بينهما ، وقالوا أن سوء التفاهم أو الدسائس التى أفترضوا حدوثها بينهما قد تكون العلة فى اغفال ابن أبى أصيبعة ذكره . إلا أن مورخاً عربياً هو الدكتور / يوسف العيش عثر فى دار الكتب الظاهرية بدمشق على مخطوط تبين بمقابلته بكتاب « عيون الأنباء » أنه هو ، وذلك مع اختصار لبعض الجمل وأختلاف فى بعض الألفاظ ، وترجم فيها لأطباء الشام منهم ستة فقط مع تراجم مقتضبة منهم ابن النفيس ، وقد جاء له فى آخر ورقة من المخطوط ترجمة مختصرة جاء فيها نصاً مايلى : -

« علاء الدين أبى الحزم القرشى المتطبب ، (القرشى بفتحتين قرية قرب الشام) كان شيخاً فاضلاً كالبحر الخضم والطود الأشم للعلوم ولم يكن منفرداً بفن من الفنون ، ولو لم يكن له غير « شرح غوامض القانون » لكفى به دليلاً على غزارة فضله ونزارة مثله . وله مع ذلك تصانيف كثيرة فى جميع الأنواع مقبولة عند المحققين فى أكثر البقاع مشتملة على حقائق الأنظار ودقائق الأفكار ولطائف الأشارات وطرائف العبارات ، وخاصة الكتاب المسمى «موجز القانون» وكتاب « الشامل » الذى ذكر فيه اختلاقات مذاهب العلماء وتفنن معتقدات معاشر الحكماء فى أصناف العلوم والحكمة مع ماهو اللباب والنقاوة من حججهم وأدلتهم مع البسيط المشيع والبيان الشافى المقنع ، وله كتب كثيرة وتصانيف جليلة ، وله أيضاً « شرح الفصول لأبقراط » ، و « ثمار المسائل » وكتاب «النبات فى الأدوية المفردة » وكتاب « مواليد الثلاثة وجامع الدقائق فى الطب» وكتاب « الشافى » ، « ورسالة فى أوجاع الأطفال » . وقد أمكن الحصول على هذا النص بفضل الدكتور « سامى حمارنة » كبير أمناء قسم العلوم الطبية بمعهد سمسونين بأمريكا (السابق) . وقد حل يوسف العيش -

بعثوره على هذا المخطوط - لغزا حير المؤرخين ردحا من الزمن ، كما أنه برأ ابن النفيس من دسيسة أو مكيدة أفتريت عليه ، ولم تتفق مع ما أشتهر به من سمو الخلق وطيب السريرة . وقد علل الدكتور بيطار عدم الأسهاب فى ترجمة ابن أبى أصيبعة بأن ابن أبى أصيبعة توفى قبل ابن النفيس بثمانى عشرة سنة ، وبأنه أستكمل المعلومات التى بنى عليها « عيون الأنباء » حوالى سنة ٦٤٢هـ (١٢٤٥م) أى عندما كان سن ابن النفيس لاتزيد على الخمس والثلاثين ، ولما كان محل أقامة ابن النفيس فى ذلك الوقت مجهولاً ، فأنه يمكن الأستنتاج ، من ذكره ضمن أطباء الشام وأغفال أى نبأ عن سفره إلى مصر فى النبذة التى أكتشفها الدكتور العيش ، أنه كان مايزال قاطناً بالشام حين كتابتها ، وأنه لم يكن إذ ذاك قد حاز الشهرة التى تمتع بها فى النصف الثانى من حياته .

والغريب أن « ماكس مايرهوف » - وهو ممن أبتدعوا رواية الوقيعة بين ابن أبى أصيبعة وابن النفيس - عند أطلاعه على ترجمة ابن النفيس فى «مسالك الأبصار فى أخبار ملوك الأمصار » حيث أسند جزء كبير من هذه الترجمة إلى ابن أبى أصيبعة ، بدلاً من أن يتريث قبل أبتداع هذا التفسير الروائى ، لقد فضل أن يؤكد بأن أسم ابن أبى أصيبعة جاء خطأ فى ترجمة «مسالك الأبصار » بانيا هذا الفرض على عدم ورود أى ذكر لابن النفيس فى «عيون الأنباء » ، وهذا مابرهن الدكتور يوسف العيش على عدم صحته ، ويجدر بنا هنا ذكر النص الوارد فى « مسالك الأبصار» ومنهم « على أبى الحزم» ، وهو الأمام الفاضل الحكيم العلامة علاء الدين بن النفيس القرشى الدمشقى ، فرد الدهر وواحده ، وأخو كل علم ووالده ، أمام الفضايل ، وتمام الأوايل ، والجبل الذى لايرقى علاه بالسلالم ، والحبل الذى لايعلق به إلا الفريق السالم ، ولم يبق إلا من أغترف غرفة بيده ، وأخذ منه حلية لمقلده ، حلَّ بمصر فى محل ملكها ، ونسخت لياليها باشراقة صبغة حلكها ، وقرأ عليه بها الأعيان ، وكلا فضله وأعان ، ولم يكن على علم واحد بمقتصر ولاشبهة بالبحر إلا مختصر ، هذا إلى حسب غير مرءوس ، وحسب مثل جناح الطاووس ، .

قال ابن أبى أصيبعة نشأ بدمشق وأشتغل بها فى الطب على مذهب الدخوار ، وكان الدخوار منجباً تخرج عليه جماعة منهم الرضى ، وابن قاضى

بعلبك ، والشمس الكلى ، وكان علاء الدين أماما فى علم الطب لايضاهى فى ذلك ولايدانى أستحضاراً وأستنباطاً ، وأشتغل على كبر وله فيه التصانيف القائمة ، والتواليف الرائعة ، صنف كتاب « الشامل فى الطب » وتدل فهرسته على أنه يكون فى ثلاثمائة سفر ، هكذا ذكر بعض أصحابه ، وبيض منها ثمانين سفرا وهى وقف بالبيمارستان المنصورى بالقاهرة ، وكتاب «المهذب فى الكحل» و « شرح القانون » .

* نشأته ومنهجه العلمى :

هو أبو الحسن علاء الدين بن أبى الحزم الدمشقى الصالحى ، المعروف بابن النفيس ، ولد ونشأ بدمشق ونال قسطاً وافراً من التعليم فى مدارسها ، وبدأ نجمه يسطع فى النصف الأول من القرن الثالث عشر حتى صار شيخ الأطباء فى عصره ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٨٧ هـ وكان سنه إذ ذاك يبلغ ثمانين عاماً ، وإذا فتكون سنة ولادته على التقريب ٦٠٧ هـ (١٢١٠م) ، وهو وأن نشأ فى دمشق إلا أنه قضى معظم حياته فى القاهرة يمارس الطب فيها ، وكانت قد أسندت إليه وقتئذ رئاسة المستشفى المنصورى بالقاهرة ، وقد نبغ فى علوم كثيرة وألف كتباً قيمة ورسائل نفيسة فى الطب وغيره من العلوم ، ألف كتباً فى المنطق ، وعلوم البيان ، والفلسفة ، وأصول الفقه ، واللغة العربية ، والطب ، وكان نبوغه فى هذه الألوان المختلفة من الثقافات دليلاً على قدرته العلمية وطاقته الكبيرة فى الأستيعاب والفهم ، فكان أشبه بدائرة معارف عامة ، ولكنه نبغ فى الطب بصفة خاصة ، وقد ظهرت فيه براعته إلى درجة تفوق الوصف ، وسبب ذلك مايلى :

* أنه كان عالماً من طراز جديد ، دقيق الملاحظة ، والتعليق ، يعتمد على البحث العميق ، والتفكير السليم ، إذ كان يرى أن العلم لاينال إلا بالعقل الباحث الذى يعين على التفكير والفهم ،

* كما لاينال إلا بالأعتماد على التجربة والملاحظة والأستنباط .

* كان يرفض التقليد الأعمى رفضاً باتاً ، لذلك أنفرد ابن النفيس عن جميع معارضيه بأنه كان عالماً وطبيباً مستقل الفكر مولعاً بالنقد الذى يراد منه البناء وتصحيح المعارف وتكوين المعلومات الصحيحة ، لقد كانت حياته العلمية قائمة على تمحيص الآراء والموازنة بينها وأستنباط الأصح والأرجح منها ،

* كان إيمانه بهذا المنهج فى البحث يحمله فى أكثر الأحيان على مخالفة آراء كثير من الأطباء الذين سبقوه ، بل كان فى أكثر الأحيان ينبذ ماتوصلوا إليه من نتائج ، وكان السائد فى عصره أن آراء « جالينوس » و « أبو قراط » من المقدسات التى لايمكن أن يتسرب إلى صحتها أى ظل من الشك ، فبدأ ابن النفيس يبدد اعتقاد الناس فيها ، ويقيم بتفكيره العميق وولعه بالأبتكار أسلوباً جديداً فى المعالجات الطبية .

* مولفاته الطبية وأبتكاراته :

* كشف الدورة الدموية الصغرى :

يعد ابن النفيس أول من أهتدى إلى كشف الدورة الدموية الصغرى فقد كان جالينوس وابن سينا قبله يزعمان أن الدم يتولد فى الكبد ، ثم ينتقل منه إلى البطين الأيمن فى القلب ، ثم يسرى الدم فى العروق حتى يصل إلى مختلف أعضاء الجسم ليمدها بالغذاء والحياة ، فهما يقولان : - أن بعض الدم يدخل فى البطين الأيسر عن طريق مسام موجودة فى الحجاب الحاجز حيث يمتزج بالهواء الذى يأتى من الرئتين ، يطلقان على هذا المزيج « الروح الحيوى » الذى ينساب فى الشرايين إلى مختلف أجزاء الجسم ، ويؤيدان هذا ببعض الحقائق المشاهدة ، وهى عروق الموتى ترى عادة مملوءة بالدم فى حين أن الشرايين تكون خالية منه ، والطب الحديث يهدم هذه الحقيقة المشاهدة مستنداً إلى أن النبضات الأخيرة للقلب تنضح بالدم من الشرايين ، غير أن الأطباء فى العصور الوسطى وفيما قبلها لم ينتبهوا إلى هذه الحقيقة ، فلما أطلع ابن النفيس على آراء جالينوس وابن سينا فى الدورة الدموية - لم تستقيم مع منطقة وتفكيره ، فأخذ يجرب بقدر ماعنده من وسائل التجريب ، ويلاحظ ويستنبط ، حتى وصل إلى أن الدم ينساب من البطين الأيمن إلى الرئة حيث يمتزج بالهواء ، ثم ينتقل إلى البطين الأيسر ، وبذلك أثبت أن الدم ينقى فى الرئتين ، وتلك هى « الدورة الدموية الصغرى » ، وهذا الكشف العظيم الذى وصل إليه وأستنبطه واضح فى كلامه عن تشريح الرئة والقلب فهو يقول فى تشريح الرئة : - وأما الرئة فأنها مؤلفة من أجزاء أولها : شعب القصبة ، والثانى : شعب الشريان الوريدى ، والثالث : شعب الوريد الشريانى ، ومجمعها لحم رخو متخلخل .

أما حاجة الرئة إلى الوريد الشريانى فلأنه ينقل إليها الدم الذى قد لطف وسخن فى القلب ليختلط مايرشح من ذلك الدم فى مسام فروع هذا العرق فى خلل الرئة بالهواء الذى فى خللها ويمتزج به ، فيكون من الجملة مايصلح لأن يكون روحاً ، إذا حصل ذلك المجموع فى التجويف الأيسر من تجويفى القلب ، وذلك بأيصال الشريان الوريدى لذلك المجموع إلى هذا التجويف .

وأما حاجة الرئة إلى الشريان الوريدى فلأنه ينفذ فيه هذا الهواء المخالط لذلك الدم ليوصله إلى التجويف الأيسر من تجويفى القلب فيصير من المجموع روحاً « والمقصود من الروح الدم النقى » ، ويقول فى تشريح القلب :

أن فعل القلب كما بيناه أولاً تولد الروح الحيوانى ، وتوزيعه على الأعضاء لتحيا ، فتوليده ذلك بأن يسخن الدم ويلطف حتى إذا خالطه بما فى الرئة من الهواء صلح ذلك المجموع لأن يصيرا روحاً حيوانياً ، لذلك لابد من أن يكون أغتذاء الروح التى فى القلب، بأن يلطف الدم الذى فى القلب ، ويرق قوامه جداً، ثم بعد ذلك ينقل إلى الرئة ، ويخالط مافيها من الهواء ، وينطبخ فيها حتى يتعدل ، ويصلح لتغذية الروح ، ثم بعد ذلك ينفذ إلى الروح الذى فى القلب ويختلط به ويغذيه ، وهذا الموضوع الذى هو القلب وفيه الروح - لابد أن يكون متسعاً ، ليتسع بمقدار كفاية البدن كله من الروح ، فلذلك لابد من أشتمال القلب على تجويف يحوى الدم ، وتجويف آخر يحوى الروح ، فأن القلب له بطنان فقط أحدهما مملوء بالدم وهو الأيمن ، والآخر مملوء بالروح وهو الأيسر ولامنفذ بين هذين المنفذين البتة ، وإلا كان الدم ينفذ إلى موضع الروح ، فيفسد جوهرها ، والتشريح يكذب ما قالوه ، والحاجز بينهما أشد كثافة من غيره ، لئلا ينفذ منه شيء من الدم أو الروح فقول من قال : - أن ذلك الموضع كثير التخلخل ، باطل لأنه نفوذ الدم إلى البطين الأيسر أنما هو من الرئة بعد تسخينه وتصعده من البطين الأيمن كما قررنا أولاً » .

والذى يستخلص من ذلك كله أن الدم (الفاسد) يندفع من الجسم إلى البطين الأيمن فيسخن ويلطف ، ثم ينتقل عن طريق الوريد الشريانى إلى الرئة لكى يرشح فيها ، ثم ينتقل إلى التجويف الأيسر وقد أصبح روحاً أى دماً نقياً، ومنه يوزع على جميع أجزاء الجسم ، ولقد كان لهذا الكشف الطبى قيمة

عظيمة ، فقد مهد الطريق أمام (وليم هارفى) الطبيب الأنجليزى المشهور ، الذى أستطاع فى ضوء ماكشفه ابن النفيس فى النصف الأول من القرن الثالث عشر ، أن يكشف الدورة الدموية الكبرى ، وكان ذلك فى عام ١٦٢٨م ، ويقول الدكتور/ يوسف شخت أن ابن النفيس كان الأمام الأول لهارفى الطبيب البريطانى .

مؤلفاته الطبية :

[١] كتاب الشامل فى الطب :

قال العمرى أن فهرسته تدل « على أنه يكون فى ثلاثمائة سفر ، هكذا ذكر بعض أصحابه ، وبيض منها ثمانية سفرا . وهى الآن وقف بالبيمارستان المنصورى بالقاهرة » .

ويرجح أن ابن النفيس قصد بهذا المؤلف الضخم تجميع كل ماوصل إليه الطب فى زمانة فى موسوعة تضاهى موسوعة (الحاوى) للرازى . ولا توجد الآن من هذا المصنف إلا بعض نفقرات فى مكتبة البودليان بأكسفورد ، وكان هذا الكتاب موجوداً فى القاهرة فى سنة ١٣٥٠هـ ، ويوجد بدار الكتب المصرية مؤلفاً منسوخاً بخط من خطوط القرن الثامن تقريباً ، ناقصاً من أوله وآخره بحيث لايمكن التأكد من أسم مؤلفه ، عنوان « الشامل فى الطب » ، ولعله جزء من هذا الكتاب المفقود .

[٢] كتاب المهذب فى الكحل :

وهو موجود فى مكتبة الفاتيكان ، ذاع صيت هذا المؤلف فى زمانه ، ولم يصل إلينا منه إلا نبذه أقتبسها منه صدفة « ابن إبراهيم الشاذلى » (الذى عاش فى النصف الثانى من القرن السابع عشر الميلادى) وهى خاصة بتدهور حالة المصابين بأنسكاب صديدى فى الخزانة المتقدمة من العين (Hypopyon) إذا تحركوا ، ونبذه أخرى فى علاج الرمد الحبيبى ذكرها « هرشبرج » .

[٣] كتاب المختار من الأغذية :

وهو كتاب لم يذكر فى أى ترجمة من تراجمه ، ولكنه موجود فى مكتبة برلين ، وهو يعنى بالغذاء فى الأمراض الحادة ، ولذا فقد يكون أيحاؤه من مؤلف « أبقراط » المسمى « الغذاء فى الأمراض الحادة » ، وقد لقب ابن

النفيس فى عنوان هذا الكتاب بالرئيس .

[٤] شرح فصول أبقراط :

موجود فى مكتبات برلين وجوتا وأكسفورد وباريس والأسكوريال ، وفى آيا صوفيا نسخة مؤرخة فى سنة ٦٨٧هـ (١٢٨٨م) أى سنة وفاته . والظاهر أن هذا المؤلف الذى كرسه لأشهر كتابات أبقراط - وكان ابن النفيس من المعجبين به - نال شهرة واسعة ، وقد طبع فى أيران سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨١م) .

[٥] شرح تقديمات المعرفة :

وهو تعليق على تكهنات أبقراط ، وذكره حاجى خليفة وبرو كلمان .

[٦] تعليق على كتاب الأوبئة لأبقراط :

وهو موجود فى آيا صوفيا .

[٧] شرح تشريح جالينوس :

وهو موجود فى آيا صوفيا ، وهذا المؤلف يبدأ من الكتاب الثامن ، إلا أن نسبته لابن النفيس ليست أكيدة .

[٨] شرح مسائل حنين بن أسحق :

ذكره بدر الدين محمود بن أحمد العينى فى « عقود الزمان » وأصله موجود بمكتبة ليدن بهولندا وأن كان برو كلمان يشك فى أصالته .

[٩] شرح القانون :

وقيل أنه شرح « فى عشرين مجلداً شرحاً حل فيه المواضع الحكمية ورتب فيه القياسات المنطقية وبين فيها الأشكالات الطبية ، ولم يسبق إلى هذا الشرح لأن قصارى كل من شرح أن يقتصر على الكليات إلى نبض الحبالى ، ولا يجرى فيه ذكر الطب إلا نادراً » وقد ذكر الدكتور « جورج سارتون » ترجمة جزئية له باللاتينية وضعها « ألباجو » ، وتوجد نسخة منها فى مكتبة أكاديمية طب نيويورك .

[١٠] شرح مفردات القانون :

ومنه نسخة فريدة فى آيا صوفيا .

[١١] كتاب موجز القانون :

وهو شرح مقتضب تناول كل أجزاء القانون فيما عدا التشريح ووظائف الأعضاء ، الأمر الذى جعله سهل التناول ومحبوباً من الوجهة العملية لممارس الطب ، ولذلك فأنه أنتشر فى كل الشرق وكان له تأثير بالغ فى طب هذه البلاد ، أما أصله فموجود منه نسخ فى باريس وأكسفورد وفلورنسا وميونخ والأسكوريال ، ويقع فى أربعة أجزاء لا خمسةأجزاء كما هو حال القانون إذ أنه ضم كتاب الأدوية إلى الجزء الثانى . هذا وقد كثرت ترجمته إلى اللغات الأجنبية وتعددت التعليلقات عليه وأول هذه التعليقات يكاد يعاصره . وهو لأبى أسحق إبراهيم بن محمد الحكيم المتوفى سنة ١٢٩١م أي ثلاث سنوات بعد ابن النفيس ثم جاء « حل الموجز » لجمال الدين محمد بن محمد الأقسرائى المتوفى سنة ١٣٩٨م ، وهو موجود بالمكتبة البودلية . وطبع عده مرات فى شمال الهند وآخرها فى القرن التاسع عشر ، ثم تعليق ثالث بدىء تأليفه فى كهرمان وأنتهى نسخه فى سمرقند سنة ١٤٣٧م لنفيس بن عوض الكهرمانى وهو أجود التعليقات حسب قول حاجى خليفة ، وأضاف إليه غرس الدين أحمد ابن ابراهيم الحلبى بعض الحواشى حوالى سنة ١٥٦٣م

وهناك تعليقات أخرى لمحمود بن أحمد الأقساطى الحنفى ا ولد سنة ١٤٠٧م) ولشهاب الدين بن محمد البابلى ولمحمد بن مسعود الكزرونى (المتوفى سنة ١٣٥٧م) ولكن أشهرها تعليق نفيس بن عوض الأيرانى الأصل طبيب أولك بك التيمورى ، وقد طبع وشرح هذا التعليق أكثر من مرة ، وكان عشابو مصر يسترشدون به لفترة من الزمن .

وترجمة إلى اللغة التركية مصلح الدين مصطفى بن شعبان السرورى ، ثم أحمد كمال طبيب مستشفى أدرنه فى عهد السلطان سليمان ، وكما ترجم إلى العبرية وكان عنوانه (سفرحا موجز) وطبع بالألجليزية أول مرة فى كلكتا سنة ١٨٢٨م تحت عنوان « المغنى فى شرح الموجز » ثم أعيد طبعه فى لاكنو سنة ١٩٠٦م .

[١٢] تفاسير العلل وأسباب الأمراض :

وهو مؤلف ذكره بروكلمان

[١٣] شرح " الهداية فى الطب " :

والظاهر أن المقصود بهذا الشرح لكتاب الهداية هو مؤلف فى المنطق .

[١٤] شرح تشريح القانون :

يرى كثير من المحللين والمؤرخين المنصفين أن هذا الكتاب يعد بمثابة «مفخرة الطب العربى » . وكان ابن سينا قد عنى فى كتاب القانون بعلم التشريح عناية فائقة ، ولكن ابن النفيس جريا على طريقته فى النقد ومنهجه فى البحث قد رأى فيما كتبه ابن سينا مايحتاج إلى شرح وتفسير ، وهو يوصى فى مقدمته بدراسة التشريح ويبين المصادر التى أخذ عنها ، فكان كغيره من علماء العرب يؤمن بالأمانة العلمية ، فإذا تعرض لرأى ليس له نسبة إلى صاحبه ، وإذا شرح نظرية من النظريات لم تكن من أختراعه ذكر اسم صاحبها ، يقول فى مقدمة كتابه تشريح القانون : أن قصدنا الآن أيراد ماتيسر لنا من المباحث على كلام الشيخ الرئيس أبى على بن عبدالله بن سينا فى التشريح من جملة كتاب القانون ، وذلك بأن جمعنا ما قاله فى الكتاب الأول من القانون إلى ماقاله فى الكتاب الثالث منه ، وذلك ليكون الكلام فى التشريح جميعه منظوماً ، وقد صدنا عن مباشرة التشريح واضع الشريعة وما فى أخلاقنا من الرحمة ، فلذلك رأينا أن نعتمد على تعرف صور الأعضاء الباطنة على كلام من تقدمنا من المباشرين لهذا الأمر ، وبخاصة « جالينوس » إذ كانت كتبه من أجود الكتب التى وصلت إلينا فى هذا الفن ، لأنه أطلع على كثير من العضلات التى لم يسبق إلى مشاهدتها ، فلذلك جعلنا أعتمادنا فى تعرف صور الأعضاء ، وأوضاعها ونحو ذلك على قوله ، إلا فى أشياء يسيرة ظننا أنها من أغاليط النساخ أو أخباره عنها لم يكن من بعد تحقق المشاهدة فيها ، وأما منافع الأعضاء فأنما يعتمد فى تعريفها على مايقتضيه النظر المحقق والبحث المستقيم، ولا علينا وافق ذلك رأى من تقدمنا أو خالفه » وواضح من كلام ابن النفيس أنه يعتمد على آراء ماقبله فيما صح وثبت منها ، وفى غير ذلك يحكم النظر الدقيق والبحث الحر المجرد عن الهوى فى تمحيص أقوال السابقين ، فإذا أسفر البحث عن شيء ، يخالف آراء هم - دعا إليه وآمن به ، لأن ذلك مايتطلبه الأسلوب العلمى ، ومنهج البحث السليم فى الوصول إلى الحقائق ،

ويعنى ابن النفيس فى مؤلفه هذا برسم خطة تعين على فهم فن التشريح ، ولما شرع يتحدث عن تشريح الشرايين والأوردة شرح لأول مرة فى التاريخ الطبى « الدورة الدموية الرئوية » ، وهى الدورة الصغرى ، فسبق بذلك « سرفيتوس » بثلاثة قرون ، ويوضح ابن النفيس أن الدم ينقى فى الرئتين فيقول وهو يصف التشريح فى الشريان الوريدى : « ولابد فى قلب الأنسان ونحوه مما له رئة من تجويف آخر يتلطف فيه الدم ليصلح لمخالطة الهواء » ، ثم يقول : « وهذا التجويف هو التجويف الأيمن من تجويفى القلب ، وإذا لطف الدم فى هذا التجويف فلابد من نفوذه إلى التجويف الأيسر حيث يتولد الروح ، ولكن ليس بينهما منفذ فأن جرم القلب هناك مصمت ليس فيها منفذ ظاهر ، كما ظنه جماعة ، ثم يقول : -

« فلابد وأن يكون هذا الدم إذا لطف نفذ فى الوريد الشريانى إلى الرئة لينبث فى جرمها ، ويخالط الهواء ويتصفى ألطف مافيه ، وينفذ إلى الشريان الوريدى ، ليصل إلى التجويف الأيسر من تجويفى القلب ، وقد خالط الهواء وصلح لأن يتولد منه الروح ومابقى منه أقل لطافة تستعمله الرئة فى غذائها ».

ابن النفيس العالم فى غير الطب :

تكرر التأكيد فى ترجمات ابن النفيس وفيما قاله عنه معاصروه بأن هذا العالم الفذ - الذى لقب بابن سينا زمانه وقيل عنه « أنه فرد الدهر وأخو العلم ووالده » ، وتكرر التأكيد بأنه لم يقتصر مجهوده على ضرب واحد من ضروب العلم ، فقد قيل فى لغة زمانه المزدهرة أنه « لم يكن على علم واحد بمختصر ولاشبهة بالبحر إلا مختصر » إلى عبارات أخرى من الأطراء ، وأن كانت تبدو غريبة على الآذان . كما جاء فى « مسالك الأبصار » أنه صنف فى المنطق مختصراً وشرح الهداية لابن سينا فى المنطق ، وكان له فى ذلك أتجاه خاص ، إذ يبدو أنه كان يميل فى ذلك إلى طريقة المتقدمين كابن سينا ، كما كان يكره طريقة معاصريه من أمثال « الخونجى » و « الأثير الأبهرى » ، وألف غير ذلك كله فى اللغة وعلم البيان والحديث ، وقد أنتقده معاصروه وأخذوا عليه أنه لم يقرأ فى علوم اللغة إلا الأنموذج للزمخشرى على بن النحاس » ومع ذلك أقدم على الكتابة فيها . إلا أن ابن النحاس كان يقول : « لا أرضى بكلام أحد فى

القاهرة فى النحو غير كلام ابن النفيس » .

* أما الفقة فأنه تولى تدريسه بمدرسة المسرورية بالقاهرة ، وشرح فيه فى أول التنبيه إلى باب السهو شرحاً حسناً . وكان ينتمى إلى المذاهب الشافعية ، حتى أن تاج الدين السبكى ترجم له فى كتاب « طبقات الشافعية » الذى تناول أعيان هذا المذهب .

* وقد شرح أيضاً كتاب « الشفاء » لابن سينا ، ووضع فهم فى متناول أواسط القراء ، وكتب فى الحديث وفى السيرة النبوية والشريعة .

ويبدو أنه فى تصنيفه فى غير الطب ، لم يتميز بأية طرافة فى التفكير ، ولم يستحدث أية آراء جديدة ، فلقد كتب كتاباً صغيراً عارض فيه رسالة « حي ابن يقظان » لابن طفيل وأسماه « فاضل بن ناطق » ولقد أمتدحه معاصروه قائلين أنه « أنتصر فيه لمذهب أهل الأسلام وآرائهم فى النبوات والشرائع والبعث الجسمانى وخراب العالم » ، وأنه « أبدع فيه ودل على قدرته وصحة ذهنه وتمكنه من العلوم العقلية » .

* ويمكن أختصار ما ألفه ابن النفيس فى غير الطب على الوجه الآتى : -

* فى النحو : - كتاب « طريق الفصاحة » .

* فى القانون : - كتاب « شرح لكتاب التنبيه فى فروع الشافعية لأبى اسحق ابراهيم الشيرازى » ، وكان ابن النفيس يدرس المذهب الشافعى فى مدرسة السرورية .

* فى المنطق : (١) كتاب « شرح كتاب الهداية فى الفلسفة لابن سينا » وهو مؤلف يتناول المنطق . وقد قيل أنه « شرح كتاب الهداية فى الطب لابن سينا » ولعل هذا خطأ فى النسخ إذ يبدو أنهما كتاب واحد ، كما يبدو أنه هو كتاب الهداية الذى ذكر فى بعض المراجع والهداية فى الحكمة الذى ذكره « ابن أبى أصيبعة » .

(٢) كتاب « شرح الأشارات » وهو كتاب ابن سينا الرئيسى فى المنطق ، وقد كثرت التعليقات على كتاب الأشارات هذا ، ولكن شرح ابن النفيس له لم يشر إليه إلا بطريقة عارضة .

* **مؤلفاته فى العلوم الدينية : -**

(١) كتاب « الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية » .

(٢) كتاب « المختصر فى علم أصول الحديث » .

وهذا المؤلفان موجودان بدار الكتب بالقاهرة .

(٣) كتاب « فاضل بن ناطق » وهو جدال فقهى يرد فيه على « حى بن يقظان » لابن سينا ، وقال « ماكس مايرهوف » على لسان « ريتر » أن هذا الكتاب يوجد فى مكتبة خاصة بأسطنبول كمخطوط فريد من هذا المؤلف .

وقد ذكر العالم الأمريكى (الدكتور / جورج سارتون) فى كتاب «الشرق الأوسط فى مؤلفات الأمريكيين » أن المستشرق الألمانى (الدكتور / يوسف شخت » تولى طبع هذا المؤلف مع ترجمة موجزه له باللغة الأنجليزية .

* **فلسفته العلاجية : -**

(١) كانت طريقة ابن النفيس فى علاج الأمراض تعتمد على « الحمية »

أى حماية المعدة من أدخال صنف على صنف آخر ، وتنظيم الغذاء أكثر من أعتماده على العقاقير فى العلاج .

(٢) كان ابن النفيس يفضل الأدوية المفردة على الأدوية المركبة التى كان يصفها معاصروه من الأطباء .

(٣) كان ابن النفيس يصف للمرضى أدوية نباتية فهو يصف القمحية لمن شكا القرحة ، والتطماج لمن شكا هواء ، والخروب والقضامة لمن شكا إسهالاً .

(٤) كان يقوم بتحضير الدواء إذا لم تجدى الأدوية النباتية فى العلاج ، حيث كان ذلك مما يثير ثائرة بائعى الدواء عليه ، من ذلك ما قاله « العطار الشرابى» « لأبن النفيس » يوماً : -

« إذا أردت أن تصف مثل هذه الوصفات ، أقعد على دكان اللّحام ، وأما إذا قصدت عندى فلاتصف إلا السكر والشراب والأدوية » .

تلك الطريقة خير دليل على سعة علم ابن النفيس بتأثير النباتات وتراكيب الدواء على أعضاء الجسم وتأثيرهما العلاجى ، مما يعدو بحق نبراسا هادياً لمن جاءوا بعده وساروا على دربه فى الشرق والغرب .

★ أبو القاسم الزهراوى ★



* أبو القاسم الزهراوى *

* مقدمة .
* نشأته ودراسته .
* رائد علم الجراحه .
* إسهامات عظيمة .
* مؤلفاته .
* الزهراوى والتدريس فى الجامعة .
* الزهراوى والصيدله .

أبو القاسم الزهراوي

مقدمة :

تقدمت الجراحة عند العرب تقدماً كبيراً مما كان عليه الوضع عند اليونان ، وقام فيها العرب بأروع الإنجازات ، وإن تأخروا فيه قليلاً ، وذلك بسبب سيطرة الأفكار التى أنتقلت إليهم عن طريق الأطباء السريان الذين كانوا يمارسون الطب قبلهم فى العصر الأموى وبداية العصر العباسى ، فإنهم أعتبروا الجراحة من الأعمال المتهنة التى لايليق أن يمارسها طبيب ، فظلت الجراحة فى أيدى الحلاقين والحجامين الذين كانوا يمارسون العمليات الجراحية البسيطة كالكى ، والفصد ، والبتر تحت إشراف وإرشاد الأطباء ، ولكنهم سرعان ماثاروا على هذا الفكر الضيق ، وبدأت هذه الثورة الطبية فى الأندلس العربية على يد علم من أعلام الطب ورائد الجراحة فى قرطبة وهو « أبو القاسم الزهراوى » ، الذى تكلم بتوسع عن الجراحة فى كتابه « التصريف لمن عجز عن التأليف » . وجعل له قسماً خاصاً من كتابه هذا بجانب الطب والصيدلة ، وشرح فيه جميع العمليات لمختلف أعضاء الجسم بدقة بالغة . ويعتبر أقدم مخطوط يحتوى على رسوم للآلات الجراحية . وعلى ذلك لم يظهر علم الجراحة كعلم له أسسه وقواعده ونظرياته إلا بظهور الزهراوى ، ذلك الطبيب الحاذق ، والجراح الماهر المتمكن ، الذى كان المرضى يقصدونه من شتى بقاع المعمورة الأسلامية ، ومن بلاد الفرنجة، وبلاد الألمان ، حتى قال عنه « ابن أبى أصيبعه » بأنه « كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة جيد العلاج » .

ذكر أهمية علم التشريح لمن يمارس الجراحة كما ذكر فى كتابه «التصريف» أكثر من مائتى آلة جراحة مع صور توضيحية لها ، كان الزهراوى أكبر جراح فى عصره . ففى كتابه هذا خاصة قسم الجراحة الصور التوضيحية لآلات الجراحة المتعددة التى كانت بالغة الأثر فى تقدم الجراحة فى أوربا .

فقد نقل هذا القسم إلى اللاتينية بعنوان (Medical vade micum) فى

أوائل عصر الترجمة أى فى القرن الثانى عشر على يد « جيرارد الكريمونى » وأصبح أول كتاب تعليمى فى أوربا زهاء خمسة قرون كما ترجم إلى العبرية وإلى اللغات الأوربية الدارجة .

هذا فى الوقت الذى كانت الجراحة فى أوربا تعتبر من أخس المهن ، ولم يكن يمارسها إلا أجهل الناس بها وأحطهم درجة فى المجتمع .

كانت الكنيسة المسيطرة على المجتمع والموجهة للدولة ، كما يقول «سارتون » : « قد منعت رهبانها من مزاولة الطب لأنها كانت عملاً لا دينياً».

أما الجراحة فكانت محرمة تحريماً تاماً . ولم يكن هذا التحريم راجعاً فقط إلى مقت الكنيسة لإسالة الدماء .

هذا الكلام عن الجراحة فى أوروبا فى القرن الرابع عشر . أما الجراحة فى الأندلس العربية فيقول عنها « الأستاذ / كامبل » (D. Campbel) الأنجليزى: « فكانت الجراحة فى أسبانيا المسلمة فى القرن الثالث عشر تتمتع بسمعة أعظم من سمعتها فى باريس أو لندن أو أدنبره ، ذلك أن ممارس مهنة الطب فى سرقسطة كانوا يمنحون لقب طبيب جراح (Medico - Surgen) ، بينما كان لقبهم فى أوروبا حلاق جراح (Barber - Surgen) وظل هذا التقليد سارياً فى أسبانيا فى القرن السادس عشر .

يقول عالم وظائف الأعضاء الكبير « هالر » إن جميع الجراحين الأوروبيين الذين ظهروا بعد القرن الرابع عشر قد نهلوا وأستقوا من كتاب الزهراوى أول من أدخل أستعمال خيوط الحرير للخياطة فى العمليات الجراحية ، كما أنه أستعمل كثيراً من آلات الجراحة لأول مرة فى العمليات الجراحية .

نشأته ودراسته

هو « أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى » ولد بضاحية الزهراء الجميلة ، الواقعة فى الجنوب من قرطبة ، وكان ذلك عام ٣٢٤ هجرية (٩٣٦ م) . وقد تعلم فى البداية علوم الدين ، وأظهر فى دراسته لها تفوقاً ، بشهادة أساتذته ، ثم أتجه إلى دراسة الطب فتتلمذ على أيدى كبار أساتذة الطب فى قرطبة . وتحصل منهم على (جرعة) طبية كبيرة ، مكنته من تدوين بعض الملاحظات السريرية (الأكلينيكية) التى تدل على بزوغ نجم جديد فى سماء الطب .

وقد أشتهر الزهراوى بعلاجه الناجح للعديد من الأمراض التى عجز الأطباء قبله عن علاجها . وطار صيته فى شتى البلاد والأمصار .ولم يكن الزهراوى محباً للمال ، بل كان عالماً متواضعاً زاهداً ، فكان يقضى نصف نهاره فى علاج المرضى الفقراء مجاناً ، وقال عنه الحميدى : « أنه من أفضل أهل الفضل ، والدين والعلم ، وعلمه الذى تفوق فيه هو علم الطب ، وله فيه كتاب كبير مشهور كثير الفائدة » .

عاصر « الزهراوى » الخليفة الأموى « عبد الرحمن الثالث » وأشتغل فى بلاطه فترة من الزمن ، إلى أن وافاه أجله عام ٤٠٤ هجرية (١٠١٣م) . والحق يقال أنه على الرغم من الجحود والتنكر لأعمال هذا الطبيب والجراح الفذ من قبل الكثير من الباحثين والمؤرخين فى أوربا ، حتى أنهم نسبوا جل أعماله وأسهاماته الطبية إلى علماء من الغرب ، إلا أن ثمة قلة من مؤرخى أوربا وعلى رأسهم « جوستاف لوبون » و « هونكه » ، أنصفوا الزهراوى وأظهروا أعماله .

رائد علم الجراحة

هذا الطبيب والجراح الكبير ، كان بحق الرائد الأول والمؤسس الحقيقى لعلم الجراحة بأعتراف كثير من المؤرخين المعاصرين ، فيقول المؤرخ والعالم الفرنسى « هالو » : « كانت كتابات أبى القاسم المصدر العام الذى أستقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر » .

تقول « دكتورة / زيجريد هونكه » : « وفى المغرب العربى كتب أبو القاسم الزهراوى (٩٣٦م - ١٠١٣م) نجم الجراحة العربية الساطع كتابه الشامل لكل تجاربه الخاصة (التصريف لمن عجز عن التأليف) ، وقد مثل القسم الثالث من هذا الكتاب دوراً هاماً فى أوربا ، إذ وضع أسس الجراحة الحديثة ، وسما بهذا النوع من الطب ، الذى طالما نظر إليه أصحاب الأمر والشأن فى البلاد الغربية نظرة الأحتقار ، فأصبحت الجراحة مستقلة بذاتها ، ومعتمدة فى أصولها على علم التشريح » .

وقد ذكرت مجلة (لندن كوليج) فى أعدادها الصادرة عام ١٩٨٦م كلمة حق عن الزهراوى ، قالت فيها : - « وكتاب الجراحة كان أهم وأشهر وأشمل كتاب فى تاريخ الطب كله ، أبان العصر الوسيط . وصاحبه أول مؤلف جعل

الجراحة علماً قائماً بذاته ، مستقلاً عن فروع الطب الأخرى ، قائماً على أساس علم التشريح » .

إسهامات عظيمة

تبوأ الزهراوى هذه المكانة الرفيعة ، كرائد لعلم الجراحة لما قام به من أعمال أكلينيكية ، تشهد له بالنبوغ والعبقرية ، ويرجع إليه الفضل كأول طبيب وجراح يعقم آلاته الجراحية ، والبالغ عددها أكثر من ٢٠٠ آلة ، معظمها من أبتكاره ، وشرح كيفية أستعمالها شرحاً وافياً . وكان أول من كون فريق متكامل من الممرضات لمساعدته فى مباشرة علاج أمراض النساء والولادة وتؤكد المؤرخة الألمانية الدكتورة / « زيجريد هونكه » : « أن الزهراوى كان أول من توصل إلى طريقة ناجحة لأيقاف نزيف الدم فى الشرايين ولكن الشىء المؤسف - أنك لو سألت أحد طلبة الطب عن مبتكر أول طريقة ناجحة لأيقاف النزيف فى الشرايين ؟ ؟ ... لسمعت تواً : « أنه الجراح الفرنسى (أمبروازبارى) » .

كان الزهراوى أول من أوصى برفع منطقتى الحوض والأرجل ، قبل أجراء أى عملية جراحية فى الجزء السفلى من جسم الأنسان ، كذلك كان أول من قال: « وإن كان فى أعلى البطن - أى المرض - فيجعل رأسه - أى رأس المريض - وصدره أرفع من أسفل » ، ولكن الغريب أن نجد « فريد ريك ترند لنبورج » وهو جراح ألمانى يدعى أنه كان أول من أوصى بهذين الوضعين ، ونسى ، أو بالأحرى تناسى أن الزهراوى كان قد سبقه إلى معرفة ذلك بمئات السنين .

نجح الزهراوى نجاحاً باهراً فى علاج الكثير من الأمراض ، مثل تشوهات الفم ، والفك ، وإلتهاب اللثة ونزفها وتركيب الأسنان الصناعية ، وأستعمل فى علاجها آلات جراحية مبتكرة (مثل العقافة - والمبرد - والكلاليب - والمكاوى والمباضع والمجسات وخافض اللسان والموسعات والسنانير والعتلات التى تستعمل فى خلع بقايا الأسنان .

وأجرى بنجاح عملية شق القصبة الهوائية (تراكو تومى) ، كما تمكن من أستئصال الأورام الليفية فى الأغشية المخاطية ، وسرطان الثدى ، وأخترع أول (منظار مهبلى) أستخدمه فى علاج أمراض النساء والولادة .

وله طرق عملية دقيقة لعلاج حصوات الكلى والمثانة والمجارى البولية

وتفتيتها وأخراجها ، وكان أول من أستخدم (المحقن) ، وهو من أبتكاره للتغذية الصناعية ، كما أبتكر آلات خاصة للتنفس الصناعى ، وجبائر للأذرع ، وملعقة فحص التهاب اللوزتين ، وأخترع الجفت الخاص المستخدم فى أخراج الجنين .

نجح فى علاج الناصور الدمعى ، كان يستعمل فى علاجه المكواه المحدبة والمكواة المجوفة . ورغم ضآلة إمكانيات عصره ، إلا أن طريقته فى علاج الناصور الدمعى تشابه إلى حد كبير الطريقة المتبعة حتى وقت قريب .

عالج الزهراوى السل الناشىء فى فقرات الظهر ، لكن للأسف الشديد فأن طريقته فى علاج هذا الداء تنسب للجراح الأنجليزى « برسفال بوت » .

وأبتكر طريقة دقيقة لقطع الشريان ثم ربطه ، بغرض علاج الصداع المزمن، كما كان أول من تمكن من ربط الأوعية الدموية فى حالة الأصابة بالتمدد الوعائى (الأنيورزم) ، وقد توصل إلى ذلك قبل ظهور الجراح « جون هنتر » (١٧٢٨-١٧٩٣م) الذى يدعى أنه كان أول من توصل إلى ذلك .

مؤلفاته

من أهم مؤلفات « الزهراوى » كتاب يحمل أسم (أعمار العقاقير المفردة والمركبة) ، وكتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) وهو ليس كتاباً بالمعنى المعتاد ، ولكن يعتبر (موسوعة) طبية شاملة .

* أما بالنسبة لكتابه (أعمار العقاقير) فهو يتألف من مقدمة ، وعدة أبواب ، والأبواب مقسمة بدورها إلى فصول ، وقد خصص الزهراوى كل فصل من فصول كتابه هذا للحديث عن نوع من العقاقير ، من حيث سبب تسميته ، وطريقة تحضيره ، وفوائده الطبية ، والذى يميز هذا الكتاب ، عن غيره من المؤلفات الأقرباذينية التى وضعت إبان العصر الوسيط ، أن الزهراوى فصل فيه أصول أسماء النباتات والأعشاب الطبية فى اللغات السريانية ، واليونانية ، والفارسية ، والبربرية ، بالأضافة إلى اللغة العربية الفصحى ، وقد ترجم إلى اللاتينية وطبع فى البندقية سنة ٥٨٩م .

أما موسوعة « التصريف » فهى تقع فى ثلاثين جزءا ، منها جزء خاص بتركيب الأدوية والعقاقير المختلفة ، وآخر للأمراض وأعراضها وثالث للسموم

وعلاجها ، وأهم أجزاء الموسوعة الجزء الأخير المخصص لعلم الجراحة .

وقد تم ترجمة بعض أجزاء هذه الموسوعة إلى اللغة اللاتينية فى أواخر القرن السادس الهجرى (القرن الثانى عشر) على يد المترجم الأيطالى « جيرار الكريمونى » ، ثم تعددت ترجمات أجزاء الكتاب بعد ذلك ، فقد ترجم الجزء الخاص بالأدوية والعقاقير عام ٨٧٦ هجرية (١٤٧١م) ، وترجم الجزء الخاص بالجراحة عام ٩٢٥ هجرية (١٤٩٧م) ، وفى عام ٩٧٣ هجرية (١٥٦٦م) ظهرت ترجمة لاتينية كاملة للجزء الخاص بأمراض النساء والولادة .

فى عام ١٧٧٨م ترجم الجزء الخاص بالجراحة ، لأول مرة ، إلى لغة أوروبية حديثة هى اللغة الأنجليزية ، على يد المترجم « جون تشاننج » وكان ذلك بمدينة أكسفورد ، إلا أن هذه الترجمة لم تكن كاملة .

فى عام ١٨٩١م ظهرت أول ترجمة فرنسية للجزء الخاص بالجراحة على يد « لوسين ليكليوك » ، وفى عام ١٩٧٣م تم أعادة ترجمة الجزء الخاص بالجراحة كاملاً إلى اللغة الأنجليزية فى جامعة كاليفورنيا على يد كل من (ج . ل . لويس) ، (و . م. س . سبينك) ، وتقع هذه الترجمة فى نحو ٨٥٠ صفحة من القطع الكبير .

ألف كتاباً فى أمراض النساء عن الولادة والطرق التى يجب أتباعها وبه رسوم للأجهزة التى أخترعها وأستعملها ، وقد ترجم إلى اللاتينية وطبع مع الأصل العربى .

لقد ظلت كتب الزهراوى الطبية خصوصاً كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » المراجع الكبرى التى يرجع إليها الأطباء والجراحون فى أوربا إلى نهاية القرن السابع عشر .

وكان أطباء العرب منذ العصر الجاهلى يعولون على الكى ، بأعتباره علاجاً حاسماً لكثير من الأدواء ، وأن كان الطب الحديث ينظر إليه نظرة أخرى ، ويلاحظ أن الزهراوى كان من المهتمين بالعلاج بالكى ، قد أبدى هذا الأهتمام فى كتاب « التصريف » فتوسع فى الأعتماد عليه ، وأستخدمه فى فتح الخراجات ، وأستئصال الأورام السرطانية ، وكان يفضله فى أحيان كثيرة على أستعمال المشرط بالرغم من أنه كان من عباقرة الطب الجراحى ، ويؤيد

الدكتور/ خير الله فى كتابه « الطب العربى » رأى الزهراوى فى الأنتفاع بالكى فى فتح الخراجات ، فيقول : « ونحن اليوم نعتقد بأن أستعمال الكى خير الوسائل الجراحية لفتح الخراجات » ، ولقد نصح الزهراوى بضرورة حصول التصاقات بين الكبد والبريتون ، قبل فتح خراج الكبد حتى لايتسرب الصديد إلى البطن ، ويميت المريض ، ويدعو الزهراوى إلى ضرورة المام الجراح بالتشريح ، ومعرفة كل عضو فى جسم الأنسان وتركيبه ووظيفته ، إذ لايتسنى للجراح أن يقوم بمهمته إلا إذا ألم الماماً دقيقاً بتشريح أجزاء الجسم جزءاً جزءاً .

أبتكر الزهراوى كثيراً من آلات وأدوات الطب والجراحة ، وهو أول من أخترع المجس لفحص المثانة وصنع محقنا لغسل الأذن بالزيت أو بأحد المحاليل التى يعدها بنفسه . وكانت المحقنة عبارة عن أنبوبة من النحاس أحد طرفيها به قطعة معدنية مدببة والطرف الآخر مغطى بقطعة من القطن . كان يعالج أمراضاً كثيرة بالكى ، حيث ذكر أنه عالج أكثر من خمسين داء بالكى بالنار ، ويروى أنه شاهد حالة نزيف فى أسرة ، فعالجها بالكى ، وكان أول من أعد أحصائية دقيقة لجميع أمراض التزيف الدموى وتذكر بعض المراجع الفرنسية أن أباً القاسم الزهراوى كان أحد أركان المثلث الطبى الذى يتألف من أبو قراط ، وجالينوس والزهراوى - ويقول البروفيسور « بوشو » أحد أساتذة الطب بجامعة باريس : « أن الترجمة التى قام بها الدكتور « ليكلير » لجراحة أبى القاسم الزهراوى - أثبتت أن الجراح العربى قد جعل فى حيز الممكنات اليومية عمليات جراحية عدة كانت مهملة ، كما دلت على أنه أستخرج اللحميات من الأنف ، وأستعمل (حجر جهنم) وهو (نترات الفضة) ، وأقدم فى الكى على أشياء لم يجرؤ عليها أحد من قبله ، ويرى ألا تستعمل الكاويات إلا مع ذوى البنية الجافة الحارة ، وفى رأيه أن المعادن كلها صالحة لأن يكوى بها إذا أحميت ، ولكنه كان يفضل الحديد إذا أرتفعت حرارته فأصبح أحمرا قانياً ، وينصح بأستعمال الكى فى القرحات السرطانية .

* ويعتبر الزهراوى أول طبيب نادى بأمكان الدخول إلى مجرى السمع الخارجى عن طريق جراحة تجرى فى أسفل الأذن ، ومن كتبه المشهورة «التصريف لمن عجز عن التأليف » .

* وهو الذى أوصى طلابه بوصية حكيمة جاء فيها « حذار من أجراء أيه جراحة قبل أن تتأكد من الموقع الدقيق للمجارى الدموية والأعصاب والأوتار ».

وقد ذكر « الزهراوى » أن العسل الساخن يستعمل لأحداث القيىء ، فى حين أن « الرازى » تحدث عن علاج القروح بالعسل .

*** الزهراوى والتدريس فى الجامعة**

لما ظهر نبوغه فى الطب تولى التدريس بجامعة قرطبة ، فأبتدع أسلوباً جديداً فى تناول المسائل الطبية وعرضها كان له أثر كبير فى تقدم العلوم الطبية، لذلك قصد جامعة قرطبة عدد كبير من الأساتذة وطلاب الطب الأوربيين.

كان الأسلوب الذى أبتدعه فى عرض نظريات الطب العويصة أسلوباً أدبياً جميلاً ، فكان له أثر آخر فى نفوس طلابه ، إذ بعث فيهم بفصاحته فى الشرح ، وقدرته على أستخدام اللغة الأدبية فى تيسير القواعد العلمية - حب الأدب العربى - فأقبلوا على دراسته ، فضلاً عما كان له من شهرة فى الجراحة ، فقد كان علماً فى طب الأسنان .

*** الزهراوى والصيدله**

كان الزهراوى عالماً متعمقاً فى الصيدله ، وكتابه التصريف لايحوى إلا مقالتين فى الجراحه ، والباقى خاص بالأدوية - وقد ألف فى الأدوية كتابا آخر سماه (مقالة فى أعمار العقاقير المفرده والمركبة)، المقالة الأولى : ضمنها فصولا فى الاستقصات والأمزجة وتركيب الأدوية والتشريح ، والمقالة الثانية : فى تقاسيم الأمراض وعلاماتها وعلاجها . والثالثه : فى صفات المعاجين القديمة التى تخمر وتدخر والرابعه : فى صناعة الترياق الكبير وسائر الترياقات والأدوية المفرده فى جميع السموم . والخامسه : فى صفات الأرياحات القديمة والحديثه وادخارها وتخميرها ، والسادسه: فى صفات الأدوية المسهلة من الحبوب المره . والسابعه : فى صفات أدوية القيء ، والحقن ، والفرزجات ، والشيافات ، والفتل . والثامنه : فى الأدوية المسهله اللذيذة الطعم المألوفة . والتاسعه : فى أدوية القلب ، والعاشرة : فى النباتات المسهله ، والحاديه عشر : فى المعاجين ، والثانيه عشر : فى الأدوية المسمنه والمهزله والمدره للبن ، والثالثه

عشر: في الأشربه ، والرابعه عشر : المطبيخات والمنقوعات ، والخامسه عشر: في المربيات ، والسادسه عشر : في السفوفات ، والسابعه عشر : في الأقراص ، والثامنه عشر : في السعوطات ، القطورات والبخورات والذرورات والغراغر ، والتاسعه عشر : في الطب والزينه ، والعشرين : في الاكحال ، والحادية والعشرين : في أدوية الفم ، والحلق ، والثانية والعشرون : في الضمادات ، والرابعه والعشرين : في المراهم ، والخامسه والعشرون : في الأدهان ، والسادسه والعشرون : في أطعمة المرضى والأصحاء ، والسابعه والعشرون : في طبائع الأدوية والأغذية ، والثامنه والعشرون : في اصلاح الأدوية وحرق الأحجار ، والتاسعه والعشرون : في تسمية العقاقير والاكيال والاوزان ، والثلاثون : في الكحه ، وشق البطن والجبر ، والخلع .

* ووصف الزهراوي قالب من الابنوس ينقش فيه أسم الأقراص وظهر في نسخة باريس الخطية شكل القوالب ، ورسم المرشحات ، وعين معدن الاوعية المستخدمه في الصيدلة ، ونص على مواطن النباتات حيث تنمو وتستورد ، ووصفها ، وكيفية الحصول عليها وموعد جمعها وفصوله ، واهتم بتبييض الخل ، وغسل الزيوت ، ووصف جهاز تقطير المياه العطريه والمواد المستعمله في تحضير الأدوية ، والمصطلحات الفنية .

★ أبو العلاء زهر بن أبى مروان ★
وأسرة زهر الطبية

١) أبو مروان عبدالملك بن محمد بن مروان بن زهر .

٢) أبو العلاء زهر بن أبى مروان .

٣) أبو مروان عبدالملك بن أبى العلاء بن زهر .

٤) ابن زهر الحفيد .

٥) أخت الحفيد بن زهر وأبنتها .





أبو العلاء زهر بن أبى مروان

أسـرة زهـر : -

نبغ عدد كبير من الأطباء من أسرة زهر ، وهى أسرة مسلمة أندلسية ، أمتد تاريخها من القرن العاشر إلى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى ، وهى من أصل عربى هاجرت من بلاد العرب وأستقرت أول الأمر فى شاطبة وهى بلد بالأندلس بالقرب من بلنسيه فى الجنوب الشرقى من الأندلس ، ثم تفرق أبناؤها وأحفادها فى أنحاء شبه جزيرة أيبيريا ، وينسب « ابن الأبار » الجد الأعلى لهذه الأسرة إلى « أياد بن معد بن عدنان » ، ومن أجل ذلك يلقب « بالأيادى » ومن أطباء هذه الأسرة المجيدة ما يلى :-

[١] أبو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر : -

كان من أمهر أساتذة الطب فى عصره ، مارس صناعته أول حياته بمدينة القيروان ، ثم أنتقل إلى القاهرة وأشتغل فيها بالطب مدة كبيرة ، ثم عاد إلى الأندلس ، وأستقر فى دانية (Denia) وهى مدينة بالأندلس بها معبد (ديانا) ومنها أشتق أسمها حيث منحه أميرها مجاهد بن عبدالله العامرى الكثير من عطفه وأغدق عليه هداياه وألحقه ببلاطه ، ومنذ ذلك الحين بدأت شهرته تملأ جميع أنحاء الأندلس ، وعرف ببراعته فى الطب إلى جانب أنه كان فقيها على درجة كبيرة من الألمام بقضايا الفقه الأسلامى ، ويروى « أبن أبى أصيبعة » فى كتابه « طبقات الأطباء » أنه غادر « دانيه » ميمما شطر « أشبيليه » حيث أقام بها إلى أن وافاه الأجل المحتوم وقد ترك ثروة كبيرة ، لكن « ابن خلكان » فى كتابه « وفيات الأعيان » يؤكد أنه لم يغادر دانيه وظل بها إلى أن توفاه الله تعالى .

[٢] أبو العلاء زهر بن أبى مروان : -

وهو من أطباء أسرة زهر وكنيته « أبو العلاء » وتذكر « دائرة المعارف الأسلامية » أن هذه الكنية حرفت فى العصور الوسطى فصارت « أبوانى » (Aboali) ثم أضيف إلى زهر فقيل أبو الميزور (Abuielizor) وتلقى الطب عملياً وفنياً على أبيه ثم على أستاذ مصرى ، يدعى « أبو العيناء المصرى » ، وقد مهر فى تشخيص الأمراض إلى درجة كبيرة تدعو إلى الأعجاب ، وكان مع أشتغاله بالطب ونبوغة عالماً بالأدب والحديث ، ثم زار قرطبة ، وأفاد من دروس أعظم الأساتذة فى عصره ، وما لبث أن ذاعت شهرته فى الأندلس فأستدعاه « المعتمد بن عياد » أمير أشبيليه وألحقه بحاشيته وغمره بعطفه . وكانت لأبى العلاء ضيعة ورثها عن جده ، ثم صودرت فأعادها إليه المعتمد . لما أستولى المرابطون على الأندلس خلع « يوسف بن تاشفين » المعتمد من أمارة أشبيليه فحزن أبو العلاء أشد الحزن ثم حاول متأثراً بعطف « ابن عباد » أن يظل على الوفاء له ، ولكن قوة المرابطين أرغمته فيما بعد على الأنضمام إليهم ، وسرعان ما أعلن ولاءه ليوسف بن تاشفين الذى كافأه على ذلك بأن منحه رتبة الوزارة ، وأستمر يخدم المرابطين برأيه وطبه ، إلى أن توفى بقرطبة ثم نقل جثمانه إلى أشبيليه ودفن بها سنة (٥٢٥ هـ - ١١٣٠م) على ماروراه ابن الأبار

[٣] أبو مروان عبد الملك بن أبى العلاء بن زهر بن مروانبن زهر الأيادى

ومن نبغاء أطباء هذه الأسرة أبو مروان عبد الملك بن أبى العلاء بن زهر ، ويعرف بأبى مروان بن زهر ، وحرف نساخ القرون الوسطى أسمه فكانوا يسمونه « أفنزور » (Avenzoar) ، ولد ببلدة بنغلور فى زمن تقدره « دائرة المعارف الأسلامية » بأنه بين سنة ٤٨٤هـ وسنة ٤٨٧هـ (١٠٩١م وسنة ١٠٩٤م) ، وتلقى علوم الأدب والفقه والشريعة ، وبلغ فيها منزلة عالية ،ثم علمه أبوه الطب ولم يمر وقت طويل حتى بز أستاذه فى الطب وفاقه فى كثير من مسائلة الدقيقة ، ثم ساعدته ميوله العلمية على النبوغ السريع فى الطب ، فكان أمهر أطباء أسرة زهر ، ومن أنطس أطباء العرب فى العصور الوسطى ، وكانت له

تجارب مبتكرة فى أعداد الأدوية ومعالجة المرضى ، وبدأ حياته العلمية يخدم المرابطين كما كان أبوه من قبل ، وبعد أنتهاء عهد المرابطين ألتحق بخدمة الموحدين وكان ابن رشد فيلسوف الأندلس حينئذ يحتل مركزاً سامياً فى العلوم والفلسفة فتعرف بالطبيب الناشىء وقامت بينهما صلة قوية توطدت عراها على مر الأيام وكان ابن رشد يقدر أبا مروان بن زهر ، ويعتز بنبوغه وعبقريته فى صناعة الطب ، ولايفتأ يتحدث عنه فى المحافل العامة ، ونقل عنه أنه قال فيه : « أنه أعظم الأطباء منذ عهد جالينوس لا فى الأندلس فحسب بل فى خارجها أيضاً» ، فهو أعظم أستاذ طب فى الطب السريرى (الأكلينكى) بعد الرازى . وأضطر أبو مروان إلى الطواف بشمال أفريقية ومر بمراكش ويقال أنه لأسباب غير معروفة وقعت بينه وبين أمير البربر على بن يوسف بن تاشفين جفوة شديدة فأحتقره الأمير وبالغ فى تحقيره ثم أمر بسجنه ، فكان هذا العمل من جانب الأمير البربرى أهانة كبرى للطبيب العظيم وحطا من شأنه وكرامته ، وقد أشار ابن زهر إلى ذلك فى بعض مصنفاته فى أسف بالغ ، ولما سقطت دولة المرابطين بقيام الموحدين أضطر أبو مروان بن زهر إلى الأنحياز إلى هذه الدولة الجديدة ، وقد كان فى وسع ابن زهر أن يبقى وفياً للمرابطين لولا تلك الأهانة الشديدة التى وجهوها إليه ، ومن غير شك أن ذلك أوغر صدره وملأه غضباً عليهم فلم تكد تقوم دولة الموحدين حتى أسرع فى الأنضمام إليها ، ويروى أن عبد المؤمن أكرمه كل الأكرام ومنه الجوائز السنية وخلع عليه لقب الوزارة .

مؤلفاته الطبية :-

وضع أبو مروان بن زهر كتباً كثيرة فى الطب لم يشتهر منها إلا كتابان الأول كتاب « الأقتصاد وأصلاح الأنفس والأجساد » وقد شجعه على تأليفه - كما يروى - الأمير إبراهيم بن يوسف .

والثانى كتاب « التيسير فى المداوة والتدبير » : -

وهو موسوعة تتكون من ثلاثين جزءاً يبحث الجزء الأول منها فى العقاقير وتركيبها وطرق حفظها والأوانى المختلفة الخاصة بوضع كل منها . ووصف لقالب توضع فيه المساحيق لتخرج أقراصاً سهلة التناول ، فكان بذلك من أوائل

الرواد الذين مهدوا للصناعات الصيدلية بصناعة الأقراص . وقد وضع أبو مروان هذا الكتاب بأشارة من صديقه الفيلسوف ابن رشد ، وكان أبو مروان يؤمن بنظرية الأمزجة التى وضعها جالينوس من الناحية النظرية ولكنه من الناحية العملية كان يؤمن أيماناً قوياً بالتجربة وأثرها إذ كان يرى أن التجربة خير مرشد ، وله فى هذا الكتاب أبتكارات طبية تقوم على التجارب الصحيحة والملاحظات الدقيقة .

ومن مؤلفاته كذلك « كتاب فى الزينة » ، « ورسالة علتى البرص والبهاق» ، « ومقالة فى علل الكلى » ، بالأضافة إلى الأبتكارات التى أستحدثها ولم يسبقه بها أحد مثل وصفه (لقرحة الحجاب الحاجز) ، وعملية (فزع الرغاوى) . ويقال أنه ألف كتابه (التيسير فى المداواة والتدبير) ناقش فيه كتاب « القانون » « لابن سينا » والكتاب « الملكى » «للمجوسى » وأتهمهما بالأطالة ، وعالج فى هذا الكتاب الأمراض الباطنة والجراحة وقد كان وصفه لخراج « الحيزوم » وصفاً دقيقاً لأنه كان مصاباً به ، وقد ميز فى وصفه الدقيق التهاب غشاء القلب (التامور) عن أعراض التهاب الرئة .

وألحق « ابن زهر » بكتاب « التيسير » مقالة أطلق عليها اسم « الجامع فى الأشربة والمعجونات » .

ويعتبر « ابن زهر » واحداً من أعظم علماء الأندلس وقد تميز بأقتصاره على دراسة الطب ، وكان موضع أحترام العامة والخاصة .

ولاشك أن تأليف « ابن زهر » لكتابه (التيسير) فى مثل هذا العصر يعد عملاً أصيلاً ، وهو يذكر فى مقدمته أنه ما أقدم على تأليفه إلا لنقص الكتب الطبية وألحاح القوم عليه فى تأليفه .

وأسلوب « ابن زهر » أسلوب تعليمى على نمط أساليب الأطباء والكيميائين العرب .

* وقد وصف لعلاج تحجر الطبع أستعمال العرقسوس ، ولسان ثور شامى، وكزبرة البئر ، وحب أمير باريس ، وبذر خطمية ، وورد طرى ، ورازيانج ، وخيار شمبر ، ودهن لوز ، وسكر .

* كما نصح بأستعمال مشروب التمر هندى كدواء ملين ، وهو ما نستعمله نحن اليوم فعلاً ضمن قائمة العلاج بالأعشاب (طب الهيموثارابى) (Hemotherapy) كأحد فروع (الطب المكمل. (Complementary - Medicine) وبذلك أضاف إلى علوم الطب ثروة علمية جديدة ، من ذلك وصفه الدقيق للأورام الحيزومية ، وكان ابن زهر أول من كشف عن الجرب ومسببه الذى ينقله ، وعرف الأورام السرطانية ووصفها وصفاً دقيقاً .

كما أنه ألف كتاباً عن «التغذية الصناعية » للمريض فكان فى ذلك أول روادها وشرح طريقتها بدقة ومهارة ، وذلك بأدخال أنبوبة من الفضة فى فم المريض ويصب منها فى جوفه اللبن والسوائل الغذائية ، وأستعمل أيضاً الحقن الشرجية للتغذية كان يعدها من اللبن والبيض ومغلى الحبوب ، أى تتم التغذية عن طريق البلعوم والشرج .

وينسب إليه « حجر ابن زهر » وقد كتب رسالة عنه مملوءة بالخرافات ، بوضع هذا الحجر كحجاب على بطنه كى يشفى نفسه من مرض الدوسنتاريا . وقال إنه ترياق للسموم والحميات والبرص وأمراض الجلد ، وشاع أستعماله ضد الأمراض والسموم وأقبل الناس على شرائه من الصيدليات وحوانيت العطارين بأغلى الأثمان .

وفـــــاته : —

ظل يخدمُ الطب فى عهد الموحدين سنوات طويلة إلى أن توفى بسبب ورم خبيث أصابه فى أشبيله سنة ٥٥٧ هجرية (١١٦٢م) ودفن خارج باب النصر ، وترك أبنا وأبنة .

أثره فى الطب الأوربى : —

ترجم كتابه التيسير إلى اللاتينية فى القرن الرابع عشر ، حيث كان عمدة التدريس فى المدارس الطبية الفرنسية ، ويقول البروفسور « بوشو» وهو من أساتذة كلية الطب بباريس : « ان ابن زهر أول من أهتم بدراسة العظام لمداواة كسور اليد دون اللحم (الوثأة) والكسور ، وقد عرف التشريح معرفة دقيقة

لأن ماتركه من وصف الدمامل فى الصدر ، وفى البريتون وفى المعدة يدل دلالة صريحة على معرفته التشريحية القائمة على التجربة ، وهو يشير بأستعمال الحقن المغذية فى أمراض المرىء والمعدة ، لأنه كان يعلم أن المعى الغليظ يتضمن مسالك ماصة للكيلوس .

يقول الدكتور « كياز » أستاذ الطب بكلية ليون الطبية : -

« أما فيما يتعلق بعامل الداء المعروف بالجرب فأن أطباء العرب كانوا أول من دل على مكانه ، وكان أول من وصفه وصفاً لاغبار عليه ابن زهر حكيم الأندلس » .

[٤] ابن الزهر الحفيد : -

ومن أشهر أطباء هذه الأسرة طبيب يدعى الحفيد ، وهو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر وهو ابن الطبيب أبو مروان ، وقد ولد فى سنة ٥٠٤هـ وقيل فى سنة ٥٠٧ هـ وتوفى فى عام ٥٩٥ هـ ، ويتميز الحفيد من بين أطباء هذه الأسرة ، بأنه كان منصرفاً كل الأنصراف إلى الناحية العلمية والمداواة والعلاج وفحص المرضى ، بحيث كان يشغل وقته كله بصناعة التطبيب عملياً ، ولم يشغل نفسه بالتأليف إلا قليلاً ، وبرز الحفيد فى الطب بدرجة فاق بها كل أطباء أسرة زهر وملأت شهرته الأندلس ، ثم أمتدت إلى شواطىء أفريقية .

كان يتمتع بسمعة طيبة فى أوربا نظراً لمكانته العظيمة فى الطب ، ويروى أنه وضع « رسالة فى طب العيون » ، وتكاد تكون المؤلف الوحيد الذى نسب إليه ، ولم يقتصر نبوغه على الطب فحسب ، فقد برع فى الأدب والشعر، حتى عرف برقة الشعور ودقة الأحساس ، حتى أن الخليفة الموحدى يعقوب بن يوسف المنصور بعث فى طلبه ، فجعله من أخص بلاطه وطبيبه الخاص ، وما لبث الخليفة أن أحاطه بعطفه الشديد ومنحه الجوائز السنية والخلع الثمينة فأثار بذلك كوامن الحقد والحسد فى نفس الوزير أبى زيد عبد الرحمن بن يوجان ، إذ ساء ه أن يرى الحفيد موضع التكريم من الخليفة مقدماً عليه ، فحمله ذلك على أرتكاب جريمة لاتغتفر ، فدس له السم ولأبنة أخته وكانت من أشهر الطبيبات

فى ذلك العصر فى أمراض النساء وفنون الولادة ، وهكذا دفع الحقد الأعمى هذا الوزير المجرم على قتل طبيب عظيم ، وطبيبة مشهورة فحرم الناس جميعاً الأنتفاع بطبهما وما كاد الخليفة يعلن بخبر وفاته حتى أعلن الحزن عليه ورثاه بنفسه ، ثم دفن بمراكش بحديقة الأمراء سنة ٥٩٥ هـ .

تلك سيدة أسرة أندلسية أشتهرت بالطب إذ كان أكثر رجالها ونسائها من الأطباء المبرزين .

[٥] أخت الحفيد بن زهر الأندلسى

من أشهر طبيبات العرب بالأندلس « أخت الحفيد بن زهر الأندلسى » وأبنتها ، فقد عرفتا بالنبوغ فى الطب ومعالجة أمراض النساء .

وبعد فقد كانت أسرة ابن زهر الأندلسية ذات مكانة مرموقة فى عالم الطب رجالاً ونساءً .



★ ابن رضوان المصرى ★

★ نشأته .

★ حديثه عن سيرته .

★ آراؤه فى صناعة الطب .

★ الأحداث المشهورة فى عصره .

★ مؤلفاته .

ابن رضوان المصرى

* نشــأته

هو « أبو الحسن على بن رضوان على بن جعفر » ولد بالجيزة ، ولم تعلم سنة مولده . وكان والده رقيق الحال ، يشتغل فراناً فى أحد المخابز ، مما يدل على أنه تربى ونشأ فى بيئة فقيرة ، وكان أسود اللون قبيح المنظر ، وقد جر عليه سواده وقبح منظره بعض الآلام ، إذ كانت بينه وبين « أبو الحسن المختار ابن الحسن بن عبدون بن بطلان البغدادى » محاورات ومساجلات ، كانت تمس فى بعض الأحيان النواحى الشخصية ، ويبدو أن الطبيب البغدادى قد عرف ما عليه « ابن رضوان » من قبح المنظر فأستغل ذلك فيما شب بينهما من جدل وحوار ، وأراد الطبيب المصرى فى رسائله التى كان يبعث بها إلى بغداد أن يجعل قبح المنظر ورداءة الشكل شرطاً فيمن يمارس صناعة التطبيب ، وكان يعتقد أنه بهذه الوسيلة قد يرضى عزتة ويصون كرامته التى خدشها « ابن بطلان » ، وقد تناولت المساجلات التى كانت بين الطبيبين المصرى والبغدادى كثيراً من صور الأدب الطبى ، كما تناولت إلى جانب ذلك شيئاً من الأسفاف فى القول ، فقد كان طبيب بغداد يلقب زميله المصرى « بتمساح الجن » وكان « ابن رضوان » منذ أول حياته التعليمية مولعاً بالدرس والقراءة والأطلاع على الكتب والمراجع العلمية غير أن ميله إلى الطب كان قوياً ، فعكف على دراسة كتبه ، ثم مارسه عملياً ، حتى نبغ فيه ، وصار له فيه ذكر حسن ، وسمعة طيبة، إلى أن وصل أمره إلى الحاكم الفاطمى فأستدعاه وأحاطه بعطفه وكرمه ثم جعله رئيساً على المتطببين بمصر ، ومنذ ذلك الحين بدأت أحواله تتحسن ، فأتسع رزقه وكثر الخير عنده ، وأتخذه له دارا مشهورة بجهه قصر الشمع ، كانت تعرف بدار « ابن رضوان » لشهرة صاحبها ، وما كان يتمتع به من نعمة سابغة بسبب نبوغه وشهرته فى التطبيب .

حديثه عن سيرته

ومن أطرف ماينسب إليه أنه حين تحدث عن سيرته بدأ يوضح أولاً كيف تعلم صناعة الطب ، ثم ما أفاده من هذه الصناعة من الربح المادى الجزيل . وثانياً ما ينبغى أن يكون عليه الطبيب الفاضل من صفات ، وبعد أن يشير إلى أنه من الواجب على الأنسان أن يختار من الصناعات ما هو أليق به يقول . .

« وكانت صناعة الطب تزاحم الفلسفة فى طاعة الله عز وجل ، وكانت دلالات النجوم فى مولدى تدل على أن صناعتى الطب ، وكان العيش عندى فى الفضيلة ألذ عيش ، لذلك أخذت فى تعلم الطب وأنا ابن خمس عشرة سنة والأجود أن أقص عليك أمرى كله ، ولدت فى مصر ، ثم يذكر طالع ولادته ويستأنف حديثه فيقول : فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسى للتعلم . ولما بلغت السنة العاشرة أنتقلت إلى المدينة العظمى (يقصد القاهرة) وأجهدت نفسى فى التعلم ولما بلغت أربع عشرة سنة أخذت فى تعلم الطب والفلسفة ولم يكن لى مال أنفق منه ، فلذلك عرض لى فى التعلم صعوبة ومشقة . وكنت مرة أتكسب بصناعة النجوم ومرة بصناعة الطب ، ومررت بالتعليم ولم أزل كذلك وأنا فى غاية الأجتهاد فى التعلم إلى السنة الثانية والثلاثين فأنى أشتهرت فيها بالطب ، وكفانى ما كنت أكسبه بالطب ، بل وكان يفضل عندى إلى وقتى هذا ، وهو آخر السنة التاسعة والخمسين ، وكسبت بما فضل عن نفقتى أملاً كافياً فى هذه المدينة » .

ثم يقول : « وكنت منذ السنة الثانية والثلاثين إلى يومى هذا أعمل تذكرة لى وأغيرها فى كل سنة إلى أن قررتها على هذا التقرير الذى أستقبل به السنة الستين » .

يبدو من قوله أن مايذكره فى هذا الكلام عن سيرته قد نقله من مذكرات كان يدونها عن نفسه ، وأنه كان يحدث فيها تغييراً إلى أن أقر ماكتبه ورضى عنه حينما بلغ الستين من عمره .

ثم يستأنف قوله فيتحدث عن ملكه فى حياته اليومية وماكان يقوم به من أنواع التصرفات فيقول : « من ذلك أننى أتصرف كل يوم فى صناعتى بمقدار

مايغنى من الرياضة التى تحفظ البدن ، وأتغذى بعد الأستراحة من الرياضة غذاء أقصد به حفظ الصحة ، وأجتهد فى حال تصرفى فى التواضع والمداراة ، وغياث الملهوف وكشف كربة المكروب وأسعاف المحتاج وأجعل قصدى فى كل ذلك الألتذاذ بالأفعال والأنفعالات الجميلة » .

وواضح فى هذه العبارات ماكان عليه « ابن رضوان » من دقة فى تنظيم عمله ورياضته وغذائه ومايجب عليه نحو الناس وأنه كان يلذ له العمل على أغاثة الملهوف وأجابة دعوة المكروب لكشف مابه من غمة ، وأنه كان يجد فى هذا العمل الأنسانى لذة وارتياحاً وسروراً يملأ جوانحه ، إذ كانت نفسه المفطورة على فعل الخير تنفعل بما يتولد عن هذا العمل من انفعالات سارة تؤنسها وتدخل عليها البهجة . ثم يقول : « ولابد أن يحصل مع ذلك كسب ماينفق ، فأنفق منه على صحة بدنى وعمارة منزلى نفقة لاتبلغ التبذير أو تصل إلى التقتير بل تلزم الحال الوسطى ، بقدر مايوجبه التعقل فى كل وقت ، وأتفقد آلات منزلى ، فما يحتاج إلى أصلاح أصلحته ، ومايحتاج إلى بدل أبدلته ، وأعد فى منزلى مايحتاج إليه من الطعام والشراب والعسل والزيت والحطب ، ومايحتاج إليه من الثياب ، فما فضل عنه ذلك صرفته فى وجوه الجميل والمنافع ، مثل أعطاء الأهل والجيران والأخوان ، ومايحتاج إليه من غلة أملاكى أدخرته لعمارتها ومرمتها ، ولوقت الحاجة إلى مثله ، وإذا هممت بتجديد أمر مثل : تجارة أو بناء أو غير ذلك فرضته مطلوباً ، وقمت بدراسته فأن وجدته من الممكن القليل ، أطرحته ، وأتعرف على يمكن تعريفه من الأمور المزمعة ، وآخذ له أهبته وأجعل ثيابى مزينة بشعار الأخيار والنظافة وطيب الرائحة ، وألزم الصمت وكف اللسان عن معايب الناس وأجتهد فى ألا أتكلم إلا بما ينبغى ، وأتوقى الأيمان ، ومثالب الآراء ، وأحذر العجب وحب الغلبة وأطرح الهم والأغتمام ، وأن دهمنى أمر فادح أسلمت فيه إلى الله تعالى ، وقابلته بما يوجبه التعقل من غير جبن ولاتهور ، ومن عاملته عاملته يدا بيد ، لا أسلف ولا أتسلف ، إلا إذا أضطررت لذلك ، وأن طلب أحد منى سلفاً وهبت له ما أخذه ولم أرد منه عوضاً ، وما بقى من يومى بعد فراغى من رياضتى ، صرفته فى عبادة الله سبحانه وتعالى ، بأن أتنزه بالنظر فى ملكوت السموات والأرض

وتمجيد محكمهما ، وأتدبر مقالة « أرسطو طاليس » فى التدبير وأخذ نفسى بلزومى وصاياها بالغداة والعشى ، وأتفقد فى وقت خلوتى ماسلف فى يومى من أفعالى وأنفعالاتى فما كان خيراً أو جميلاً أو نافعاً سررت به ، وماكان شراً أو قبيحاً أو ضاراً أغتممت به ، ووافقت نفسى بألا أعود إلى مثله ، ثم قال وأما الأشياء التى أتنزه فيها فلأنى فرضت نزهتى ذكر الله عز وجل ، وتمجيده بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ، وكان قد كتب القدماء والعارفون فى ذلك كتباً كثيرة رأيت أن أقتصر منها على ما أذكره من ذلك وهى خمسة كتب من كتب الأدب ، وعشرة كتب من كتب الشرع ، وكتب أبو قراط وجالينوس فى صناعة الطب وماجانسها مثل كتاب الحشائش لمؤلفة « ديسقوريدس » ، وكتب « روفس» ، « وأريباسيوس » ، و « بولس » ، وكتاب « الحاوى للرازى » . ومن كتب الفلاحة والصيدلة أربعة كتب ، ومن كتب التعاليم « المجسطى » ومداخله ، وما أنتفع به فيه ، و « المربعة » « لبطليموس ».

ومن كتب العارفين كتب « أفلاطين » و « أرسطو طاليس » ، و«الأسكندر » و « ثامطيوس » و « الفارابى » وما أنتفع به فيها . وهو فى هذه العبارات يوضح لنا منهجه الأقتصادى وأسلوبه فى التدبير وعنايته بترتيب أحواله المعيشية وما يتطلب ذلك من أعداد وتنظيم ، فهو ينفق من ماله الخاص فى هذه الناحية مايوفر له حياة طيبة سعيدة ، ومازاد عن ذلك أدخر بعضه وأنفق بعضه فى وجوه الخير ، فأعطى الأهل والجيران والأخوان ، وقد يعرض له أن يقوم ببعض المشروعات ، فأن تحققت الفائدة منها أقدم عليها وإلا طرحها ، ثم يشير إلى منهجه فى معاملة الناس فهو رجل يحب الصمت ويحذر الخوض فى عيوب الناس إلا أنه لايحب السلف وأقراض الغير أو الأقتراض ، إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، وعندما يقرض غيره مالاً يفضل أن يهبه له ولا يأخذ منه عوضاً ، كذلك يشير إلى منهجه بعد الفراغ من أعماله ، فهو يصرف مايبقى من وقته فى العبادة والتأمل والنظر فيما أبدعه فاطر السموات والأرض ، كذلك لايغيب عنه أن يحاسب نفسه كل يوم على ماقدمت يداه ويجعل من باب العبادة وذكر الله تعالى وتمجيده الأطلاع على الكتب والقراءة ، فأن فى تحصيل العلم زيادة المعرفة بالله تعالى ، ولاريب فى أن « ابن رضوان » يرسم

بذلك منهجاً كاملاً للحياة الصحيحة جدير بنا أن نتأمله وأن نحذو حذوه .

آراؤه فى صناعة الطب

أشرنا إلى المساجلات التى قامت بينه وبين « ابن بطلان البغدادى » ، ولم يكن لابن رضوان بالرغم من نبوغه العظيم فى صناعة الطب أستاذ معروف تلقى عنه أصول هذه الصناعة ، ولهذا كان من رأيه أن تحصيل صناعة الطب من الكتب أوفق من تحصيلها من أفواه المعلمين ؟ ! ... ، وقد أثار هذا الرأى محاورات عنيفة بينه وبين « ابن بطلان » الذى أنبرى يرد عليه مستنداً إلى كثير من الأدلة والبراهين التى تؤيد أن التعلم من أفواه المعلمين أفضل من التعليم من الصحف وحدها ، ومن الأسباب التى ذكرها قوله : « أن وصول المعانى من النسيب إلى النسيب خلاف وصولها من غير النسيب إلى النسيب ، والنسيب الناطق أفهم للتعليم بالنطق ، وهو المعلم ، وغير النسيب له جماد وهو الكتاب ، وبعد الجماد من الناطق مطيل لطرق الفهم ، وقرب الناطق من الناطق مقرب للفهم » فالفهم من النسيب وهو المعلم أقرب وأسهل فى رأى « ابن بطلان » من غير النسيب وهو الكتاب .

ويبدو من هذا أن بعض أطباء تلك العصور كانوا يشغلون كثيراً من وقتهم بالجدل اللفظى ، وقد كانوا يجدون فى ذلك لذه كبرى غير أن بعض الأشياء التى كان يدور حولها الجدل لاتستحق منهم الأحتفال الكبير بها وتضييع أوقاتهم الثمينة فى أقامة الحجج عليها بقصد تغلب بعضهم على بعض .

وإذا كان « ابن رضوان » قد ضيع بعض وقته فى المحاولات العنيفة التى قامت بينه وبين « ابن بطلان » فأننا مع ذلك نستطيع أن نستخرج من حياته أنه كان يهتم بشيئين هما : صناعة الطب التى كان يمارسها وقد وصل فيها إلى درجة النبوغ والعبقرية والأخلاص فى طاعة الله سبحانه وتعالى ، إذ كان يجعل طاعة الله من أفضل الأشياء التى يقضى فيها الأنسان وقته بعد القيام بما تتطلبه ضرورات الحياة ، ويقول فى هذا إذا كان للأنسان صناعة ترتاض بها أعضاؤه ويمدحه بها الناس ، ويكسب بها كفايته فى بعض يومه ، فأفضل ما ينبغى له فى باقى يومه ، أن يصدقه فى طاعة ربه ، وأفضل الطاعات النظر فى

الملكوت وتمجيد المالك سبحانه وتعالى ، ومن رزق ذلك فقد رزق خير الدنيا والآخرة .

وطوبى له وحسن مآب ، «فأبن رضوان » يذهب إلى أن الطاعات درجات ومنازل ، وأن أفضلها فى نظره التأمل فى ملكوت الله سبحانه تعالى ، وتنزيهه وتمجيده ، فما رزق الله صناعة جيدة ووفقه فى صرف مابقى من يومه فى عبادته والتفكير فى خلقه فقد أوتى خير الدنيا والآخرة كذلك يبدى « ابن رضوان » أهتماماً كبيراً بتحديد الصفات التى ينبغى أن تتوافر فى الطبيب ، يقول « ابن أبى أصيبعة » من قوله مايلى : -

« الطبيب على رأى بقراط هو الذى أجتمعت فيه سبع خصال هى : -

الأولى : أن يكون تام الخلق ، صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الروية ، عاقلاً ، ذكوراً ، خير الطبع .

الثانى : أن يكون حسن الملبس ، طيب الرائحة ، نظيف البدن والثوب .

الثالثة : أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لايبوح بشىء من أمراضهم .

الرابعة : أن تكون رغبته فى أبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته فى علاج الفقراء أكثر من رغبته فى علاج الأغنياء .

الخامسة : أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة فى منافع الناس .

السادسة : أن يكون سليم الخلق ، عفيف النظر ، صادق اللهجة ، لايخطر بباله شىء من أمور النساء والأموال التى شاهدها فى منازل العلية الأغنياء فضلاً عن أن يتعرض إلى شىء منها .

السابعة : أن يكون مأموناً ، ثقة على الأرواح والأموال ، فلا يصف دواء قتالاً ولا دواء يسقط الأجنة ، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه .

ثم قال : والمعلم لصناعة الطب هو الذى أجتمعت فيه هذه الخصال بعد أستكماله صناعة الطب ، والمتعلم لها هو الذى فراسته تدل على أنه ذو طبع ونفس ذكية وأن يكون حريصاً على التعلم ذكياً ، ذكوراً لما قد تعلمه .

فهو بعد أن حدد ماينبغى أن يتصف به الطبيب أراد أن يحدد الصفات التى يجب أن يتحلى بها طالب الطب حتى يكون تعلمه لهذه الصناعة محققاً الغاية الأنسانية منها .

ومن آرائه الطبية العامة قوله : البدن السليم من العيوب هو البدن الصحيح الذى كل واحد من أعضائه باق على فضيلته ، أعنى أن يفعل فعله الخاص على ماينبغى ، ثم يشرح الطريقة التى تعرف بها عيوب الجسم ، وهو يعنى بذلك الطريقة التى يسلكها الطبيب فى الفحص عن جسم المريض «الفحص الأكلينكى » قال : وتعرف العيوب بأن ينظر إلى هيئة الأعضاء والسحنة والمزاج وملمس البشرة ، وتفقد أفعال الأعضاء الباطنة والظاهرة مثل : أن ينادى من بعيد فيعتبر بذلك حال سمعه ، وأن يعتبر بصره بنظر الأشياء البعيدة والقريبة ، ولسانه فى جودة الكلام ، وقوته بحمل الثقل (الأشياء الثقيلة) ، والأمساك بالشيء والضبط والمشى ونحو ذلك ، بأن ننظر مشيه مقبلاً ومدبراً ، ويؤمر بالأستلقاء على ظهره ممدود اليدين ، قد تصب رجليه وصفهما ، ويعتبر بذلك حال أحشائه ، ويتعرف حال مزاج قلبه بالنبض ، وبالأخلاق ، ومزاج كبده بالبول وحال الأخلاط ، ويعتبر عقله بأن يسأل عن أشياء وفهمه لها ، وطاعته بأن يؤمر بأشياء ، وأخلاقه بما يميل إليه ، وعلى هذا المثال ، أجر الحال فى تفقد كل واحد من الأعضاء والأخلاق ، أما فيما يمكن ظهوره للحس فلا تقنع فيه حتى تشاهده بالحس ، وأما فيما يعرف بالأستدلال فأستدل عليه بالعلامات الخاصة ، وأما فيما يتعرف بمسألة فأبحث عنه بالمسألة، حتى تعتبر كل واحد من العيوب ، فتعرف هل هو عيب حاضر أو كان ، أو هو متوقع ، أو الحال حال صحة وسلامة . أن « ابن رضوان » يرسم بدقة خطة محكمة للفحص الطبى ، الذى يؤدى إلى الكشف عن المرض ومعرفة نوعه وأسبابه ، ومن العجيب أن تتناول هذه الخطة جميع الأحوال الظاهرة والباطنة التى تتعلق بالمريض ، ومن غير شك أنه كان يتبع هذه الطريقة فى معالجة

المرضى ، والشيء الذى يلفت النظر أن الطب فى هذا العصر بالرغم من تقدمه العظيم لم يصل فى فحصه « الأكلينكى » إلى ماهو أفضل مما أوضحه « ابن رضوان » .

ومن المبادىء الطبية التي كان يدعو إليها قوله إذا دعيت إلى مريض فأعطه ما لايضره إلى أن تعرف علته ، فتعالجها عند ذلك ، ومعنى معرفة المرض هو أن تعرف من أى خلط حدث أولاً ، ثم تعرف بعد ذلك فى أى عضو هو ، وعند ذلك تعالجه .

يفهم من قول « ابن رضوان » : معنى معرفة المرض هو أن تعرف من أى خلط حدث ، أنه يشير إلى نظرية الأخلاط التى أخذها أطباء العرب عن اليونان وفسروها وشرحوها شرحاً علمياً دقيقاً ، وكان يعتمد عليها الأطباء اليونان والعرب فى معرفة أسباب الأمراض وعلاجها ، وتقوم هذه النظرية على أسس نعرض إلى شيء منها ، فالجسم مركب من سبعة أمور طبيعية : العناصر، والأخلاط ، والأمزجة ، والأعضاء ، والصفات ، والوظائف والأرواح ، وأن سبب الأمراض ينشأ من عدم التجانس بين هذه الأخلاط كما يقول : « أن صحة الجسم موقوفة على ستة أمور ليست بطبيعته هى : الهواء ، والطعام ، والشراب والحركة والكون ، والنوم ، واليقظة والأنحباس ، والأستفراغ (الأفراز) ، ويشمل الأستفراغ : البول ، والغائط والجماع ، وهذه الأمور غير الطبيعية تعدل الأمزجة وتحفظ الصحة وحينما تفسد هذه الأخلاط أو لاتتجانس فى أعمالها ينبغى أن نعطى المريض مسهلاً أو نفصده أو نحميه أو نبرده ، وتقول هذه النظرية : وعندمايفقد التجانس أو التوازن بين الأخلاط والأعضاء والوظائف تصير الأمور خارجة على الطبيعة فتحدث الأمراض .

هذه بعض الأسس التى تقوم عليها نظرية الأخلاط والتى كان يؤمن بها «ابن رضوان » .

الأحداث المشهورة فى عصره

من الأحداث المشهورة التى وقعت فى عصره ، وكان لها تأثير فى حياته ، ذلك الغلاء الفادح والبلاء الماحق ، الذى نزل بالناس ، ومات بسببه عدد كبير

من المصريين ، فقد نقص النيل وقل الخير أو أمتنع ، وأرتفعت أسعار الحاجيات أرتفاعاً فاحشاً ، ثم أعقب ذلك وقوع وباء عظيم ، أخذ يشتد بسبب ما أصاب الناس من ويلات الغلاء ، بدأ ذلك فى سنة ٤٤٥ هجرية ثم وصل الوباء إلى ذروته من حيث الأبادة والأفناء فى سنة ٤٤٧ هجرية ، ويقال أن السلطان المستنصر بالله كفل من ماله الخاص ثمانية ألف نفس ، وأنه فقد فى هذا الوباء ثمانمائة قائد من قواد الجيش ، كما ورث السلطان أموالاً لاتحصى آلت إليه بسبب موت أصحابها بالوباء ، وأصيب « ابن رضوان » من جراء هذا الوباء بأختلاط فى عقله لأنه أثناء نوبة الغلاء الشديدة التى سبقت الوباء أخذته الشفقة على يتيمة فقدت من يعولها ، فأنزلها فى داره وأحلها فيها محل بنيه وأولاده وكان يبالغ فى العطف عليها ، ثم أخذت هذه اليتيمة تكبر ويشتد عودها فى كنف ورعاية هذا الطبيب الأنسان ، ولما كانت موضع ثقة جميع من فى البيت عرفت كل ما فيه من أسرار وأشياء نفيسة ومدخرة ، وكان « ابن رضوان » يحتفظ فى منزله بعشرين ألف دينار ، فوقفت اليتيمة على مكانها ، وفى يوم من الأيام صفاً لها الجو وحدها بالبيت فأحتملت هذه الثروة العظيمة ولاذت بالفرار ، ولم يستطيع « ابن رضوان » أن يعرف الطريق التى تبعتها هذه السارقة فى حمل هذا المال الكثير ، وكيف تسنى لها أن تهرب به ، ولم يقف لها على أثر ، فكان لهذا الحادث أثره الأليم فى نفسه بأختلال عقله ، وتوفى فى خلافة المستنصر بالله فى سنة ٤٥٣ هجرية .

مؤلفاته

من مؤلفاته الطبية أنه قام بشرح كتب جالينوس فشرح كتاب « الصناعة الصغيرة » ، ثم كتاب « النبض الصغير » ، وكتاب « المزاج » ، وكتاب «جالينوس» ، ومن رسائله وكتبه التى وضعها « رسالة فى الجذام » وكتاب «تتبع مسائل حنين» فى مقالتين ، وكتاب « النافع فى كيفية تعلم صناعة الطب» ، وهو ثلاث مقالات : مقالة فى أن « جالينوس لم يغلط فى أقاويله فى اللبن على ماظنه قوم » ، ومقالة « فى دفع المضار عن الأبدان بمصر » ، ومقالة فى « سيرته » ، و مقالة خاصة فى « الشعير ومايعمل منه » ، وكان قد ألفها

« لأبى زكريا يهوداً بن سعادة الطبيب » ، ثم مقالة أخرى فى «مذهب أبو قراط فى تعليم الطب » ، وله أيضاً « تفسير ناموس الطب لأبو قراط»، و « تفسير وصية أبو قراط المعروفة بترتيب الطب » ، وله كلام « فى الأدوية المسهلة » ، وكتاب « فى عمل الأشربة والمعاجين » ، ومقالة « فى أحصاء عدد الحميات » وكتاب « فى حل شكوك الرازى على كتب جالينوس » ويقع فى سبع مقالات ومن هذه المقالات السبع مقالة « فى حفظ الصحة » ومقالة « فى أدوار الحميات » ، ومقالة فى التنفس الشديد « ضيق النفس » ، ومن كتبه أيضاً كتاب « الأدوية المفردة على حروف المعجم » ويقع فى أثنتى عشرة مقالة، وكتاب « فى الرد على الرازى » .

هذه طائفة من كتبه الطبية ، وله غير ذلك مؤلفات كثيرة ، ومن غير شك أن هذا الأنتاج الضخم مع تشعب نواحى المعرفة التى نبغ فيها « ابن رضوان » يحمل الدليل القاطع على أن هذا الطبيب العالم ، وأن كان لايؤمن بفكرة التخصص إلا أنه أظهر تفوقاً على جانب كبير من العمق .

* آل بختيشوع *
ومدرستهم الطبية



آل بختيشوع ومدرستهم الطبية

يقدر مدى أنتشار مزاولة مهنة الطب فى المجتمع العربى من الواقع ففى خلافة المقتدر عام ٣١٥ هجرية جرى أمتحان لأطباء بغداد ، فالذين أجتازوه وأعطيت لهم الإجازة لمزاولة هذه المهنة كان عددهم ٨٦١ طبيباً ، غير كبار الأطباء المعروفين ، وكان هذا أول تنظيم لمزاولة هذه المهنة بغية إنقاذ المرضى من المحتالين والدجالين وأنصاف الأطباء .

ومن أهم ما أمتازت به الحضارة العربية إنشاء المستشفيات لتقديم الخدمات الطبية لكافة أفراد الشعب فى مختلف المجتمعات العربية والأسلامية.

ولقد أشتهرت المستشفيات فى تاريخ الأسلام بالبمارستانات ، وهذه اللفظة جمع لكلمة « بيمارستان » بالفارسية ومعناها اللفظى دار المرضى وهى التى عرفت بعد تخفيفها بالمارستان فى بعض البلاد العربية كمصر فى العصر الحديث .

يدل شيوع هذا الإسم للمستشفى فى العصر العباسى على تأثر العرب بالفرس ، ولقدَ أنشىء أول مستشفى فى العصر الأموى فى خلافة « الوليد بن عبد الملك » بدمشق ، ولكنه خاص بالمرضى المصابين بالأمراض المعدية كالجذام ، أو المقعدين ، والعجزة ، والمجانين بغية تطهير المجتمع من عدوى الأمراض ومساعدة العاجزين عن العمل .

لقد أشتهر فى فارس مدرسة « جنديسابور» الفلسفية والطبية ، ومعها مدرسة طبية تعرف « بمارستان » وذلك فى أقليم خوزستان ، وأبقى المسلمون بعد فتحهم لإيران على هذا المركز العلمى الطبى ، وأستفادوا منه فى تقدم الطب عندهم

وقد شجع خلفاء المسلمين العلماء من كل جنس ، وكان لهذا التشجيع أثر عظيم فى ظهور عدد كبير من أطباء النصارى والأعاجم فى حاشية الخلفاء ، بسبب ما نالهم من عطف ورعاية وتقدير ، وذلك مما يؤيد روح الأسلام ، ذلك الدين الذى ينكر التعصب فى كل صورة من صوره ، وليس معنى تشجيع الخلفاء لأطباء النصارى إلا أستجابة لهذه الروح السامية التى يقدرها الدين الأسلامى ، وقد أنشأ الخلفاء فى بغداد دارا خاصة لتعلم الطب على نحو مدرسة الطب فى « جند يسابور » بفارس ، وأسندت أدارتها إلى طبيب من الأعاجم يدعى « فرات بن شحتانا » وكان تلميذاً للطبيب « تياذوق » الذى كان طبيباً خاصاً « للحجاج بن يوسف الثقفى » ، حيث كان والياً على العراق ، وفى هذه الدار تخرجت طائفة من أطباء النصارى ، ويلاحظ أن المسلمين قد أعرضوا أول الأمر عن التعليم بالمدارس الطبية أعتقاداً منهم بكفاية ماعندهم من المجربات الطبية التى ورثوها عن مشايخهم ، ولأنهم كانوا فى غير حاجة إلى كسب الرزق بهذه الصناعة ترفعا وأنفة . ولاريب أنهم كانوا على خطأ فى تقديرهم ، لأن موقفهم هذا حرمهم كثيراً من المزايا التى تمتع بها أطباء النصارى ومنها تقلد المناصب الكبيرة فى دواوين الخلفاء ، فالمنصور العباسى أستخدم طبيباً نسطورياً من « جنديسابور » وجعله طبيباً ملكياً لدار الخلافة ، وهذا الطبيب هو (جورجيس بن بختيشوع) وكانت له شهرة كبيرة وألف كتاب « الكناش » المشهور .

ثم تحولت الدار التى أنشأها المنصور إلى مدرسة طبية كبرى تعرف «بمدرسة بغداد » ، كان يشرف على أدارتها الأطباء النسطوريون وأستمر «جورجيس» يمارس مهنته كطبيب للخليفة ، ويقوم فى الوقت نفسه بالتدريس فى مدرسة بغداد حتى مرض ، فأذن له الخليفة فى السفر إلى « جنديسابور » التماساً للعلاج هناك ، وعندئذ أقام مقامه أحد تلاميذه وهو « عيسى بن صهار يخت » ، وقد وضع كتاباً فى الأغذية المفردة ، وظل « جورجيس » بفارس حتى عوفى وأسترد صحته ثم عاد ليعمل طبيباً للخليفة هارون الرشيد .

* أما أبنه « جبرائيل » فقد عهد إليه بأن يقوم بتطبيب « جعفر البرمكى» وزير هارون الرشيد ، وقد سر جعفر من غزارة علمه وكثرة تجاربه ،

فأحبه كل الحب ، وقدمه على « صالح الهندى » الذى كان شيخ الأطباء فى دار الخلافة ، ويروى أن جبرائيل ألف رسالة فى « التغذية والمشارب » ووضع ملخصاً فى الطب أعتمد فى كتابته على ما أخذه من « ديسقوريدس » و « جالينوس » وترك « بعض الوصايا الطبية » التى كان لها شأن كبير فى علاج المرض ، «ورسالة فى الروائح » ، وأشتهر فى بغداد طبيب آخر من النسطوريين هو «يحيى بن ماسر جويه » وقد تولى رئاسة مدرسة الطب البغدادية فترة من الزمان ، وترجم وألف كتباً كثيرة فى الطب ، ومن أطباء النصارى المشهورين «ماسوية» وكان رجلاً أمياً لايعرف القراءة والكتابة ، غير أنه كان على درجة كبيرة من الذكاء والفطنة ، فقد خالط الأطباء طويلاً وسمع منهم ، ونقل عنهم بالمشافهة ، ثم طالت به المران والتجربة حتى صار طبيباً معروفاً ، وكان له ولدان تخرجا عليه فى علمه ، وهما « يحيى » و « يوحنا » ، أما « يوحنا بن ماسوية » فقد كسب شهرة عظيمة ، وأحله الخلفاء منزلة عالية ، وأعتاد «يوحنا » أن يعقد بداره مجلساً طبياً ، يجتمع فيه عدد كبير من الأطباء للمناقشة فى الموضوعات الطبية ، وكان لما يجرى من مشاورات ومناقشات فى هذا المجلس أثر فى النهوض بصنعة الطب ، ويقال أن «يوحنا» كتب رسالة طويلة أودعها كل تجاربه فى تشخيص الأمراض ووصف العلاجات .

أعتمد عليه الرشيد فى القيام بترجمة الكتب الطبية التى حصل عليها ، وهى من مدونات « أبو قراط » « جالينوس » ، وكان « يوحنا » خبيراً بتعريب الكتب الطبية ، بسبب ما أشتهر به من حذق ومهارة فى صنعته ، وكانت الكتب الطبية المترجمة إلى العربية فى عهده ، لاتتحدث إلا عن طريق العلاج التى أشار بها بعض الأطباء الذين لم يكونوا على درجة كبيرة من الحذق والمهارة ، وأغفلت الحديث عن القوانين والقواعد الطبية ، فلما قام « يوحنا » بمهمته لاحظ هذا النقص فنقل كتب الثقات بأمانة ودقة .

من الأطباء الذين خدموا الخلافة العباسية (حنين بن أسحق العبادى) وكان يكى « أبازيد » وهو من قبيلة العباد من نصارى الحيرة ، وكان طبيباً فصيحاً فاضلاً عالماً باللغات العربية واليونانية والسريانية ، كما كان مترجماً دقيقاً ، ومنهم « قسطا بن لوقا البعلبكى » ، « وسلمويه » .

أما «سلمويه» فقد كان متقدماً فى صنعة الطب ، وقد خدم «المعتصم» ، ويروى أنه لما مات « سلمويه » حزن عليه « المعتصم» فأظهر أسفه الشديد عليه وقال : سألحق به ، لأنه كان يمسك حياتى ، ويدبر جسمى » .

كذلك « ابن قسطنطين » كان من أفاضل الأطباء وأسمه « عيسى » ويكنى » أبا موسى» ألف كتاب « البواسير وعلاجها » ، ثم « عيسى بن على» وكان من تلاميذ « حنين بن أسحق » ومن كتبه « كتاب المنافع التى تستفاد من أعضاء الحيوان » و « عيسى بن على » هو الأبن الثانى « لعلى ابن عيسى بن داود بن الجراح » المتوفى سنة ٣٩١ هجرية (١٠٠١ م) ، وكان وزيراً مشهوراً وتلميذاً وصديقاً « ليحيى بن عدى » ، وتعلم المنطق والحديث ولم يتحدث عنه « القفطى » إلا قليلا ، ويروى أنه قد عثر بعد وفاة عيسى بقرنين على نسخة من « السماع الطبيعى » ، وهى من شرح « يحيى النحوى» وتقع فى عشرة مجلدات كبار ، وعليها حواشى « لعيسى بن على » كما ورد بكتاب (التراث اليونانى والحضارة الأسلامية) .

كذلك من أفاضل الأطباء « حبيش بن الحسم الأعسم » وكان نصرانياً من تلاميذ « حنين » ، ومن المترجمين الذين أشتغلوا بالنقل من السريانية إلى العربية ، وكان حنين يعرف قدره فى الطب ، ومن كتبه (كتاب الزيادة فى المسائل التى لحنين) .

كان « عيسى بن يحيى » وهو « أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحى » ولد فى شمال فارس وتوفى ولم يتجاوز الأربعين عام (٤٠٠ هجرية) (١٠١٠م) ، لكنه بلغ شهرة واسعة ، وكان حكيماً بارعاً فى الطب ، أتقن اللغة العربية الفصحى أكثر من أى عالم مسيحى آخر ، ويقال أن « ابن سينا » تتلمذ عليه ، وكان له كتاب مشهور فى الطب يدعى (المائة فى الطب) ومنه نسخ مخطوطة فى مكاتب الشرق والغرب .

كان « عيسى بن يحيى » ناقلاً مجوداً وطبيباً ماهراً ، ويلاحظ أن أكثر الأطباء كانوا من النصارى والمسيحين النسطوريين ، ويرجع السبب فى ذلك إلى عدم أهتمام المسلمين أول الأمر بصناعة الطب ، غير أنهم لم يلبثوا على ذلك إلا

قليلا من الوقت ، ثم أخذوا يشتغلون بالطب ودراسة كتبه ، فنبغ منهم من فاق جميع أطباء النساطرة ، وكان الخليفة المعتصم قد أخذ على عاتقة مساعدة الأطباء ، وبخاصة الذين يشتغلون بالجراحة ، فأمدهم بأنواع كثيرة من القردة لأجراء تجاربهم وأبحاثهم عليها ، وفى عصر « المتوكل على الله » برز طبيب عربى من المسلمين هو (على الطبرى) وكان يهودياً ثم أسلم ، وقد ذاع صيته، ومن أشهر مؤلفاته (فردوس الحكمة) ، ويشتمل هذا الكتاب على ثلاثمائة وستين بابا مقسمة على ثلاثين محاضرة ، وقد لخصت وشرحت أبواب هذا الكتاب ، وأعتمد عليه الأطباء فى صناعتهم ، وهو أستاذ « أبو بكر الرازى».

ومن أطباء المسلمين المشهورين « أبو يوسف يعقوب بن أسحق بن الصباح ابن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى » وكان الطبيب الأسلامى الأول ، قد برع بصفة خاصة فى علم الجرعات ، وقد أقامه على أسس حسابية دقيقة ، كان مع ذلك فيلسوفاً عظيماً . ألف فى الطب عشرين كتاباً وترجم مؤلفه فى علم الجرعات إلى اللاتينية ثم نشر بعد ذلك فى « أستراسبورج» سنة ١٩٣١م . ولايفوتنا أن نسجل هنا أن العرب كانت دراستهم وكذلك بحوثهم الطبية تقوم على الطرق العلمية المتقدمة ، فى الوقت الذى كان الأشتغال بالطب محرماً عند الأوربيين بأمر من رجال الدين حتى القرن الثانى عشر ، وهو الوقت الذى أزدهرت فيه الحضارة العربية فى الأندلس ، وعندئذ بدأت مشاعل قوية تخرج من هذا الفردوس لكى تضىء ربوع القارة الأوربية كلها بلا تعصب أو أستعلاء ولا منه ، بل هدفهم الوحيد خير الأنسانية جمعاء ، وتزويد المعرفة البشرية بما يخصبها ، ويزيدها قوة ونماءاً وأزدهاراً .

وقد كثر بناء المستشفيات فى العصر العباسى ، وأستمر بعد ذلك عدة قرون فى مختلف البلدان العربية والإسلامية حتى عمت هذه المستشفيات العامة بغداد ، والقاهرة وفارس وغيرها من المدن العربية والإسلامية . كان خلفاء بنى العباس مثل الرشيد ، والمعتضد ، والمقتدر ، وأم المقتدر ، ومن أمراء البويهين « معز الدولة » وأخوه «عضد الدولة » وكذلك بعض الوزراء مثل « يحيى البرمكى » ، و « الفتح بن خاقان » ، و « ابن الفرات » وغيرهم . ثم « أحمد ابن طولون » ، و « كافور الأخشيدى » ، ثم من أمراء الدولة النورية والأيوبية

السلطان « نور الدين محمود » و « صلاح الدين الأيوبى » يبنون المستشفيات العديدة فى بغداد ودمشق والقاهرة والأسكندرية والموصل وغيرها من المدن ، وتبعهم فى ذلك ملوك مراكش وسلاطين المماليك فى مصر .

وأشهر هذه المستشفيات العامة الكبرى التى خدمت طويلاً على نطاق واسع أربع مستشفيات هى المستشفى العضدى ببغداد ، والمستشفى المنصورى الكبير بالقاهرة ، ومستشفى مراكش .

ونوجز القول من الناحية التاريخية أن الأول هو المستشفى العضدى كان قد أنشأها عضد الدولة من أمراء بنى بويه فى بغداد سنة ٣٧١ هجرية (٩٨١م) ولعله كان فى موضع مستشفى الخليفة العباسى المعتضد (٢٧٩-٢٨٩ هجرية) (٨٩٢ - ٩٠٢م) ثم جدد الخليفة العباسى « القائم بأمر الله » هذا المستشفى فى سنة ٤٤٩ هجرية .

أما المستشفى النورى فقد أنشأها السلطان « نور الدين محمود » مؤسس الدولة النورية بدمشق فى سنة ٥٤٩ هجرية (١١٥٤م) من مال أخذه فدية من أحد ملوك الفرنج ، وكان أحسن المستشفيات فى البلاد كلها . قد زاره الرحاله الأندلسى « ابن جبير » فى سنة ٥٨٠ هجرية فأثنى على حسن تنظيمه . وظل يؤدى هذا المستشفى خدماته حتى سنة ١٣١٧ هجرية (١٨٩٩م) حيث أنشىء مستشفى « الغرباء » ، فأقفل هذا المستشفى وأستعمل بناؤه للمدرسة الأهلية.

أما المستشفى المنصورى المعروف ببيمارستان قلاوون ، فقد أنشأها الملك المنصور قلاوون من سلاطين الدولة المملوكية بمصر سنة ٦٨٣ هجرية (١٢٨٤م) ، وألحق به مسجداً ومدرسة ومكتباً للأيتام . كان أكبر وأرقى المستشفيات فى عصره، وكان يفوق من بعض النواحى المستشفيات الحديثة بما يقدمه من أسباب الراحة والترفيه للمرضى بالإضافة للعلاج المجانى ، وقد شاهدها الفرنسيون فى سنة ١٧٩٨م عند دخولهم إلى مصر فكتبوا عنها بأعجاب وتقدير عظيمين .

أما مستشفى مراكش فأنشأها السلطان « المنصور أبويوسف » من ملوك الدولة الموحدية بالمغرب فى حديقة غناء ذات برك أربع ، فى غاية الجمال الهندسى والأثاث الغالى الممتاز ، ومن أهم مايذكر من ناحية العناية بالمرضى

فى هذا المستشفى أنه كان يقدم للمرضى فيه ثياباً لليل وأخرى للنهار ، كما كان يقدم إلى المرضى الفقراء عند خروجهم منها قدر من المال ريثما يجدون شغلاً يدر عليهم المال . وكان السلطان يزوره كل جمعة ، يعود المرضى ويسأل عن أحوالهم وعن معاملة الأطباء والممرضين لهم .



* سنان بن ثابت *

* ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة *

سنان بن ثابت

كانت المستشفيات عند المسلمين العرب منظمة تنظيماً يقرب من تنظيم المستشفيات فى العصر الحديث ، ففيها أجنحة للرجال والنساء والأطفال ، وفيها أقسام لمختلف الأمراض الباطنية والجراحة ، وطب العيون ، وكسور العظام ، وأقسام للمخازن والصيدليات ، وتوفر فيها الغذاء الجيد والملابس النظيفة للمرضى من الرجال والنساء ، وفيها أطباء متخصصون وآخرون من الأطباء العموميين والمتناوبين ليل نهار ، ويستقبل فيها المرضى دون تمييز بين فقير وغنى وبين مواطن وغريب .

وأماكنها كانت فى غاية النظافة والكثير منها بها حدائق وزهور وبساتين الفاكهة كالمستشفى العضدى ومستشفى مراكش ، ولها أوقاف عظيمة للإنفاق عليها .

ومنها ما كانت تفوق المستشفيات الحديثة من ناحية العناية بالمريض ، فمثلاً كان المرضى المصابون بالأرق فى المستشفى المنصورى الكبير كانت لهم قاعات خاصة بهم حيث يقدم لهم المغنون ألحان الموسيقى الخفيفة الشجية أو يسمعهم القصاصون القصص المسلية ، وكانت تقدم للناقهين منهم الروايات المضحكة ومشاهد من الرقص الفولكلورى .

كما كان يقدم المال فى هذا المستشفى ومستشفى مراكش للمرضى الفقراء عند خروجهم من المستشفى لكى ينفقوه فى حاجاتهم ريثما يجدوا الشغل أو يقدروا عليه ، وهذا ما لا نظير له حالياً .

وإذا قارنا أحوال هذه المستشفيات بما كانت عليه مستشفيات أوربا فى باريس ولندن فى القرون الوسطى تبين لنا أن المستشفيات الأوربية لم تكن إلا

كملاجيء للفقراء . ومنها المستشفى الشهير بباريس بأسم « أوتيل ديو » أكبر مستشفيات أوربا حتى بداية القرن الثامن عشر . ويتضح من وصفه فى سنة ١٧١٠م بقلم « توردو » بأنه كان بمثابة مأوى لمن لا مأوى لديه ، مرضى كانوا أو عاجزين . فهذا المستشفى الذى كان يحتوى على ١٢٠٠ سرير خصصت منها ٤٨٦ لنفر واحد . أما الباقى - والتى سعة الواحد منها لم تكن تتجاوز ١٥٠سم - فنجد فيها عادة مايتراوح بين ثلاثة مرضى وستة . وكانت الردهات الكبرى عفنة كثيرة الرطوبة ترى فيها كل حين حوالى ٨٠٠ مريض يفترشون الأرض ، وهم مكدسون بعضهم فوق بعض على القاع أو على كوم من القش فى حالة يرثى لها ، وكان ينام فى السرير الواحد أربعة أو خمسة أوستة مرضى مصابين بأمراض مختلفة ، ولايكاد المرء يصدقها ولكنها الحقيقة ، فإن المرأة فى حالة المخاض مع طفل مصاب بحمى التيفوس وبجانبها رجل مريض بداء الجلد ، وطعام المرضى من أخس مايتصور وبكميات قليلة وفى فترات متباعدة بدون نظام ، إلى غير ذلك من وصف بشع يبعث التقزز والأشمئزاز فى النفس . ولولا هذا الوصف بقلم مؤلف فرنسى لقيل إنه من أفتئات الخصوم .

ومن الأمور التى سبق فيها العرب والمسلمون عصرهم وجود المستشفيات المتنقلة ، ليس للجيش ولكن لسكان البوادى والأرياف .فقد أمر « على بن عيسى » وزير الخليفة العباسى المقتدر فى أوائل القرن السابع الهجرى رئيس الأطباء فى الدولة « سنان بن ثابت » أن يبعث الأطباء ومعهم خزانة من الأدوية إلى القرى والبوادى يقيمون فى كل مكان مدة يعالجون من فيه من المرضى ثم ينتقلون إلى غيره ، وقد بلغت المستشفيات المتنقلة فى أيام السلطان « محمود السلجوقى » حداً من الضخامة بحيث كان الواحد منهم يحمل على أربعين جملاً.

وكانت المستشفيات العامة الكبيرة بمثابة معاهد أو كليات طبية حيث كان الأساتذة الكبار من الأطباء يلقون الدروس فى الطب على تلاميذهم ، منها الدروس النظرية والعملية فى قاعة المرضى ، كما كان الطلبة الذين على وشك التخرج يتمرنون فيها ، وذلك لأن الطب من العلوم التجريبية فأقتضى وجود المعاهد الطبية مع المستشفيات .

 ابراهيم سنان بن ثابت بن قرة

يعتبر كتاب « رسالة فى آلات لمقياس أرتفاع الغيوم والأبخرة » «للنيريزى » من أروع المؤلفات فى الآثار العلوية أو الظواهر الجوية .

وتلك الرسالة وردت أسمها الحقيقى تحت عنوان « كتاب فى معرفة الآلات التى يعلم بها أبعاد الأشياء الشاخصة فى الهواء والتى على بسيط الأرض وأغوار الأودية والابار وعروض الأنهار » .

و « النيريزى » هو « أبو العباس الفضل بن حاتم النيريزى الفلكى الطبيعى المهندس » توفى نحو (٣١٠ هجرية / ٩٢٢م) وكان متصلاً بالخليفة العباسى المعتضد وألف له كتاب « أحداث الجو » وكتب أخرى فى الفلك والهندسة .

لكن أهم كتاب فى تاريخ الآثار العلوية هو كتاب « الإبانة عن الطريق المعترفة » للعالم « ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة » الذى توفى فى سن مبكرة (سنة ٣٣٥ هجرية) إذ لم يبلغ من العمر أربعين عاماً ، وهو صاحب أكتشافات رائعة فى الرياضيات والفلك ، وقد أبتدأ بالتأليف وهو فى مقتبل سن الشباب أى ثمانية عشر عاماً . وفى هذا الكتاب نقد لآراء أرسطو فى تعليله للظواهر الجوية والمنهج التقليدى لآرائه عند معاصرى «ابراهيم بن سنان».

ويعتبر ضياع هذا الكتاب خسارة للتراث العلمى العربى ، ومهما كان الأمر فقد بقى من نقداته الموجهة إلى آراء أرسطو فى كتابه « الآثار العلوية » ثلاثة أجزاء فقط ، هى التى تتعلق برأى أرسطو فى أنقطاع العمارة تحت مدار المنقلب الصيفى وأمتناعها فيما وراء ذلك نحو الجنوب ، ووصف ابن سينا هذا الرأى بالخطأ الفاحش .

ونقده الثانى لأرسطو فى قول الأخير « بأن البخار لايصعد جبل تاتوس

والرياح لاتبلغه وأستدل عليه ببقاء الخطوط والأرقام المعمولة على رماد القرابين والذبائح فيها من غير أن تدرسها ريح أو يمحوها مطر « بناء على الأقوال الخرافية » للصاعدين إليه بالقرابين والسامعين منهم فى وقت الرجوع » .

ونقده الثالث الذى لعل من أهم أعتراضاته هو ردّ المبدأ الذى تمسك به علماء الأغريق وكثير من علماء المسلمين لا فى تعليل الظواهر الجوية فقط بل فى الطبيعة (الفيزياء) أيضاً .

ويتلخص فى كون الحرارة تحبس نفسها ضد البرودة التى تحيط بها فلا تنقص تحت تأثير البرودة وبالعكس ، وعلى هذا « قالوا بسرعة جمود الماء الحار لطاقته وتخلخل أجزائه قبل جمود الماء البارد لكثافته وأكتناز أجزائه » . ورد « ابن سنان » هذا المبدأ بعد إجراء تجربة على الماء البارد والحار وتعريضه للهواء البارد لمدة متساوية مرتين ، وأنتهى بعد ذلك بقوله : « والتجريب يكذبهم ويصحح أن الحر والبرد كيفيتان لاحقتان بالهواء »

وقد ضرب الأستاذ « فؤاد سيزكين » على خطأ من أرسطو مثلاً عن تعليله لحدوث المطر فى الصيف مقارناً ذلك بتعليل علماء العرب الصائب وهو ألتقاء البخار الحار بالهواء البارد فى الجو ، وأنقباض حجم البخار نتيجة ذلك ، فيقل المطر فى الصيف فى مصر وجزيرة العرب ويكثر فى الهند لكثرة البخار الآتى من المحيط الهندى ولقائه بالهواء البارد الآتى من الشمال (جبال همالايا) نتيجة لأنبساطه لكون الشمس فى الميل الشمالى .

ويجدر هنا الأشارة إلى الأستقلال الفكرى لهذا العالم العربى ونعيه أولئك الذين يقلدون أرسطو تقليداً أعمى ، قائلاً : « والبلية لهؤلاء القوم من إفراطهم فى نصرة آراء أرسطو طاليس كلها وأعتقادهم أمتناع زلة فيها على علمهم إنه كان من المجتهدين دون المؤيدين المعصومين ، والأجتهاد وإن بولغ فيه على شفا الخطر من الزلل ، وهذا موضع شكاية آبائهم وتألم من طباعهم وأخلاقهم فإنهم يستجيزون لأنفسهم أن يتبعوا كتاب الآثار العلوية لأرسطو طاليس بأسره » .

ونبغ من علماء العرب فى العلوم الطبيعية عدد كبير من الفلاسفة الطبيعين والعلماء الرياضيين الفلكين ولهم نظريات مبتكرة فى تلك العلوم ، من أبرزهم « الكندى » و « ابن سينا » ، و « ابن الهيثم » ، و« النيريزى » و « ابن سنان » ، و « فخر الدين الرازى » ، و « ابن ملكا البغدادى » .

* موسى بن ميمون *

وقسم ودعاء بن ميمون



موسى بن ميمون

هو «ابن عمران موسى بن ميمون » (٥٢٩ -٦٠١ هـ) (١١٣٤ - ١٢٠٦م) ولد فى قرطبة ، وكان تلميذاً لابن رشد إلى أن طرد من قرطبة عام ١١٤٧م فهاجر إلى مدينة فاس فى المغرب حيث كانت جامعتها المشهورة فى العلوم . وتظاهرت أسرة الميمونيين بأعتناق الإسلام ، وكان عقاب الكشف عن كذبهم الإعدام ففروا إلى شاطىء عكا بعد أن كادت العواصف تغرق سفينتهم ثم أستقر بهم المقام فى مصر ، وواصل الدرس والتحصيل ، واحترف الطب ، ودخل خدمة صلاح الدين ، وعينه الملك الأفضل طبيباً له - وقد ألف عشرة تصانيف أهمها « فصول القرطبى » ومنها مقالة « السموم والتحرر من الأدوية القتاله » وله رسالة فى الربو وأخرى فى البواسير ومن أهم رسائله « الرساله الافضلية » فى الحالات النفسيه وتقويتها - وله كتب عديدة فى الفلسفه ، وعلم الكلام والطب جعلته من أشهر مفكرى القرون الوسطى - ومن مؤلفاته الخاصه بالطب والعقاقير :-

١- المختصرات : تلخيص كتب جالينوس السته عشره (٢) شرح فصول أبوقراط (٣) فصول موسى فى الطب : حكم طبية عن جالينوس وغيره رتبها فى ٢٤ فصلاً أعقبها بفصل ينتقد آراء جالينوس (٤) كتاب السموم والتحرر من الأدوية القتاله . (٥) شرح أسماء العقار : وقد رتب الأدوية أبجديا واعتمد فى شرحها على كتاب ابن جلجل (شرح العقار) وأحمد الغافقى (الجامع) وابن سمحون (الأدوية المقررة) .

ولابن ميمون مقاله فى الربو والبواسير ، وكتاب فى تدبير الصحة ، ومقالة فى بيان الأعراض .

نسب إلى موسى دعاء وقسم ابن ميمون ، ولكن الحقيقة التى أكتشفت فيما بعد ، أن هذا القسم والدعاء لم يكتب إلا فى القرن الثامن عشر ومؤلفه الحقيقى هو الألمانى (ماركوس هيرتز) أى بعد أكثر من ستمائة عام من العصر الذى عاش فيها ابن ميمون .

« المقــــريزى »

« أول من كتب عن تلوث البيئة منذ ٥٠٠ عام »

* نشأته ومؤلفاته .
* تلوث الهواء .
* تفسير تلوث الهواء .
* تلوث الماء .
* تلوث الغذاء .
* تأثير الحالة النفسية .
* التحليل العلمى لتلوث البيئة .

المقريزى

" أول من كتب عن تلوث البيئة "

لعل المقريزى هو أول مؤرخ كتب فى القرن الخامس عشر عن تلوث البيئة من هواء وماء وغذاء مما يشير إلى سعة معارفه وتمكنه من علوم الطب والفلك والمعادن والحشرات والحيوان بل والمقاييس والأوزان .

نشأته ومؤلفاته

ولد المقريزى وأسمه بالكامل « تاج الدين أحمد بن على » فى حارة برجوان بحى الجمالية بالقاهرة عام ١٣٦٤ ميلادية وعاش ٧٨ عاماً تلقد خلالها وظائف عدة من جهة « السلطان برقوق » منها وظيفة محتسب بالقاهرة والوجه البحرى وهى تشبه وظيفة « المفتش العام » ثم تنحى عن الوظيفة ، وأنتقل إلى دمشق عام ١٤٠٨م ليقوم بالتدريس والنظر على أوقاف المارستان والقلانسية ، ثم عاد بعد عشرة سنوات إلى القاهرة ليتفرغ للعلم والتدريس والتأليف ، وأرتحل مع أسرته فى فترة من فترات حياته إلى مكة ، ولكنه كان يعود فى النهاية إلى القاهرة إلى أن توفى عام ١٤٤٢م تاركاً عديداً من المؤلفات القيمة منها المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار . و « السلوك لمعرفة دول الملوك »، و «أتعاظ الحنفا بأخبار الخلفاء » و «إغاثة الأمة بكشف الغمة » .

تلوث الهواء :

يقول « المقريزى » : -

« إن هناك أمراضاً وافدة وهى : « ماتعم خلقاً كثيراً فى بلد واحد وزمان واحد » ومن هذه الأمراض نوع يقال له « الموتان » وهو الذى يكثر معه الموت .

وعن أسباب المرض الوافد - أى الجماعى - يقول المقريزى : أسبابه كثيرة

تجتمع فى أربعة أجناس وهى : تغير كيفية الهواء ، وتغير كيفية الماء ، وتغير كيفية الأغذية ، وتغير كيفية الأحداث النفسية ، ويقصد بكلمة « كيفية » (طبيعة) أى تغير طبيعة هذه الأشياء أو ما يعنى تلوثها .

تفسير تلوث الهواء

يفسر المقريزى تغير الهواء أو تلوثه « بخروج الهواء عن عادته ويكون إما أن يسخن أكثر أو يبرد أو يرطب أو يجفف أويخالطه حال عفنه ، والحال العفنة أما أن تكون قريبة أوبعيدة ، فإن « أبقراط » و «جالينوس » يقولان : « إنه ليس يمنع مانع من أن يحدث ببلد اليونانيين مرض وافد - جماعى - عن عفونة أجتمعت فى بلاد الحبشة وتراقت - أى أرتفعت - إلى الجو وأنحدرت إلى اليونانيين فأحدثت فيهم المرض » .

وهذه الملاحظة الأخيرة عن إمكانية أنتقال المرض من أفريقيا إلى أوربا بسبب تلوث الهواء كان يمكن إلا يصدقها أحد فى القرن الخامس عشر مثلاً ، ولكن بعد تلوث الهواء بالإشعاعات النووية التى حدثت بسبب التسرب من مفاعلات توليد الطاقة النووية فى روسيا وأمريكا ، يمكن أن يقال إن المقريزى يكون بذلك أول من نبه إلى التلوث الجوى عبرالقارات والبحار منذ خمسة قرون.

ويذكر المؤرخ المقريزى سبباً آخر لتلوث الهواء نتيجة أنتشار الفيروسات التى تنتقل بسبب الوافدين من بلد إلى بلد وهو الأمر الذى دعا الدول فى العصر الحديث إلى تطعيم المسافرين وعمل نظام الحجر الصحى للقادمين حيث يفسر هذا التغيير أو التلوث بقوله : « وذلك بأن يصل وفد كثير قد أنهك أبدانهم طول السفر وساءت أخلاطهم - أنفاسهم - فيخالط الهواء منها شىء كثير ويقع « الإعداء » فى الناس أى « العدوى » ويظهر المرض الوافد - أى الجماعى » .

تلـوث المـاء

أما عن تلوث الماء فيقول « المقريزى » :-

« والماء أيضاً قد يحدث المرض الوافد - الجماعى - بأن يفرط مقداره فى الزيادة - مثلما يحدث فى حالات الفيضانات والسيول المدمرة وما يترتب على

ذلك من برك ومستنقعات تسهم فى التلوث - أويفرط فى النقصان حيث تقل مصادر المياة الجارية المتجددة النظيفة .

يضيف المقريزى : أو يخالطه - يقصد الماء - حال عفنه ويضطر الناس إلى شربه . وهذا ما يحدث حالياً للأسف حيث تحولت الأنهار فى الدول المتخلفة إلى برك ومستنقعات عفنة نتيجة ما يلقى فيها من فضلات .

كما يعفن بهذا الماء الهواء المحيط بأبدانهم ، وهذه الحال أى حال العفونة التى تخالطه أما قريباً أو بعيداً بمنزله ما يمر فى جريانه بموضع خرب قد أجتمع فيه من جيف الموتى شيء كثير أو بمياه تقاطع عفنة فيحدرها معه ويخالط جسمه .

تلــوث الغــذاء

أما عن تلوث الأغذية فيقول المقريزى : - أنها تحدث الأمراض الوافدة - الجماعية - وذلك إذا لحقها « اليرقان » - أى الآفات والتلف والفساد - وأرتفعت أسعارها وأضطر الناس إلى أكلها ، أو إذا أكثر الناس منها فى وقت واحد كالذى يكون فى الأعياد فيكثر فيهم التخم ويمرضون مرضاً متشابهاً ، أو من قبيل فساد مرعى الحيوان الذى يؤكل أو فساد الماء الذى يشرب .

والمقريزى بهذا التحديد يكون قد سبق عصره فى تحديد أسباب فساد الغذاء خاصة عندما تعبث به الآفات والفطريات ويضطر الناس لظروفهم إلى تناوله ، أو بسبب الأكثار منه كما هو الحال فى تحويل المناسبات الدينية إلى مواسم للأكل ، كتخصيص عيد الأضحى لتناول كميات مهولة من اللحم ، وعيد الفطر لتناول الكعك والحلوى وغيرها من الشطائر والفطائر كثيرة الدسم والسكر ، وكذلك فساد الأطعمة التى تؤخذ من حيوانات تعتمد على أغذية ملوثة كما يحدث الآن حيث يقدمون للماشية والدواجن مواد صناعية لزيادة لحمها ثبت أنها شديدة الخطورة على صحة الأنسان ، بل أن الأسماك أصبحت تعرض صحة الأنسان للخطر بسبب ما يلقى فى الأنهار والبحار من كيماويات وحشرات ومواد بترولية .

تأثير الحالة النفسية

وعن تأثير الحالة النفسية وأثرها فى حدوث أمراض جماعية يقول «المقريزى» وقد عللها تعليلاً لطيفاً : -

« والأحداث النفسية تحدث المرض الوافد (الجماعى) حتى حدث فى الناس خوف عام من بعض الملوك فيطول سؤهم وتفكرهم فى الخلاص منه وفى وقوع البلاء فيسود هضمهم وتتغير حرارتهم الغيرزية وربما أضطروا إلى حركة عنيفة فى هذه الحال ، أو يتوقعون حدوث قحط بعض السنين فيكثرون الحركة والأجتهاد فى أدخار الأشياء ويشتد غمهم بما سيحدث » ، وبذلك يكون المقريزى أول من أشار إلى العلاقة بين الحالة النفسية للشعوب التى تحدث بسبب أرتفاع الأسعار والمجاعات والظلم والقمع ومايترتب على ذلك من غم وهم» .

التحليل العلمى لتلوث البيئة

يوجز المقريزى تحليلاته العلمية لأسباب تلوث البيئة قائلاً : -

«فجميع هذه الأشياء تحدث فى أبدان الناس المرض الوافد - الجماعى - متى كان المتعرض لها خلق كثير فى بلد واحد ووقت واحد ، وإنه إذا كثر المرض فى وقت واحدة بمدينة واحدة أرتفع من أبدانهم بخار كثير فيتغير مزاج الهواء فإذا صادف بدنا مستعداً أمرضه وإن كان صاحبه لم يتعرض لما يتعرض إليه الناس .

وعلى ذلك - والكلام للمقريزى - فأن الأمراض الوافدة بمصر تحدث إما عن فساد لم تجربه العادة يعرض للهواء سواء كانت مادة فساده من أرض مصر أو من البلاد التى تجاورها كالسودان والحجاز والشام وبرقة (ليبيا)، أو يعرض للنيل بأن تفرط زيادته فتكثر زيادة الرطوبة والعفن - أو تقل زيادته جداً فيجف عن مقدار العادة ، ويضطر الناس إلى شرب مياة رديئة ، أويخالطه عفونة تحدث عن حرب تكون بأرض مصر أو السودان أو غيرها يموت فيها خلق كثير ويرتفع بخار جيفهم فى الهواء فيعفنه ويتصل عفنه إليهم أو يسيل الماء ويحمل معه العفن أو يغلو السعر أو يلحق الغلاف آفة أو يدخل على الكباش - (الغنم) - وغيرها مضرة أو يلحق الناس خوفاً عاماً وقنوطاً » .

* مهذب الدين عبدالرحيم بن على (الدخوار) *
والمدرسة الدخوارية لطب العيون

* الحريرى *
صاحب "كتاب نهاية الأفكار
ونزهة الأبصار" لطب العيون



مهذب الدين عبد الرحيم بن على
المعروف (بالدخوار)

لقد وجدت بجانب المعاهد الطبية الملحقة بالمستشفيات المعاهد النظرية أيضاً، ولعل أول مدرسة طبية نظرية هى « المدرسة الدخوارية » بدمشق التى أسسها طبيب العيون « الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن على » المعروف « بالدخوار » (المتوفى سنة ٦٢٨ هجرية) أى (سنة ١٢٣٠م) فى أوائل القرن السابع الهجرى وكان أستاذاً بالبيمارستان الغورى الكبير وتتلمذ عليه كثيرون من أطباء دمشق ، ثم وقف داره وجعلها مدرسة للطب ووقف لها ضياعاً وعدة أماكن .

لقد ذكر المستشرق الألمانى « ماكس مايرهوف » أسماء ٤٣ مؤسسة طبية تعليمية مع المستشفيات المنتشرة من فارس إلى مراكش .

ولقد نبغ عدد كبير من أطباء العرب والمسلمين فى المشرق العربى ومغربه منهم أساتذة الطب الكبار الموسوعيون « كالرازى » و « ابن سينا » ، ومنهم المتخصصونَ فى مختلف فروع الطب « كالزهراوى » الأندلسى ، و « ابن القف » الدمشقى فى الجراحة ، و « ابن النفيس » ، و « ابن طفيل » فى التشريح ، و « ابن البيطار » ، و « داود الأنطاكى » فى الصيدلة والعقاقير ، و « ابن زهر » الأندلسى فى الطب الباطنى وأمراض القلب ، و « على بن عيسى الكحال » الدمشقى ، و « عمار الموصلى » المصرى فى طب العيون . ونظرة واحدة فى كتاب « طبقات الأطباء » « لأبن أبى أصيبعة » الذى ألف قبل سنة ٦٦٨ هجرية تعطينا فكرة مبسطة عن جهود هؤلاء الأطباء العظماء .

الحــريــرى

هو « أبو محمد عبدالله بن قاسم بن محمد بن خلف اللخمى الأشبيلى » صاحب كتاب « نهاية الأفكار ونزهة الأبصار » . كان فى شبابه يعرف بالحرار نسبة لصناعة الحرير التى كان يعمل بها . لكنه لمس صعوبة فى نطق الكلمة فأختار (الحريرى) لقباله وعرف به بعد ذلك .

كتاب " نهاية الأفكار ونزهة الأبصار"

* تناول « الحريرى » فى كتابه « نهاية الأفكار ونزهة الأبصار » عرضاً متكاملاً فى الجزء الأول لطب العيون واللحم الزائد وعلاجه ، والطرفة وعلاجها ، والتوثة وعلاجها والأنتفاخ وعلاجه ، والجسا وعلاجه ، والحكة وعلاجها ، والدبيلة وعلاجها .

* **وفى الجزء الثانى تناول الأمراض الآتية : -**

(١) أمراض الجفن مثل الجرب والشرناق والتحجر والتوثة والتهيج والعارض وثقل الأجفان والسلان والجسا والبرد والشعرة والأنتفاخ والألتصاق والسلع والأليل والدمل والكنة والشرى والسعفة والشعر الزائد وبياض الأشعار والقمل والنملة والسترة وموت الدم والقروح فى الجفون وعلاج كل هذه الأمراض .

(٢) أمراض الموق فى أربعة فصول .

(٣) أمراض القرنية فى تسعة فصول .

(٤) أمراض الطبقة العينية فى خمسة فصول .

(٥) الأمراض الخفية عن الحس وهى فى ٢١ فصلاً مثل الحول وأمراض

العصب البؤرى والخيالات وضعف البصر وأمراض الصفة الشبكية وأمراض الرطوبة الزجاجية .

وتحدث « الحريرى » عن الأدوية المركبة المستعملة فى العين مثل الأيارجات والحبوب والمعاجين والأقراص والسعوطات والأقماع والأكلية والنطولات والأعمدة والمراهم والأشيافات والدورات والذروات والأكحال الحادة المقوية للبصر .

وفى خاتمة الكتاب ورد ذكر أدوية الأمراض الظاهرة للحس مثل أمراض الملتحم وأمراض الجفن وأمراض الموق وأمراض الطبقة القرنية ، وأدوية الأمراض الخفية عن الحس .

وقد أورد سيرة ذاتية عن حياته ، وكذلك معجم المصطلحات الطبية الواردة بهذا المرجع الهام .

* ابن الجزار القيروانى *

طبيب الأطفال

ابن الجزار القيروانى

كان طب الأطفال فرع من فروع الطب الذى أهتم به أطباء العرب والمسلمين ، فبحثوا فى أمراض الأطفال فى موسوعاتهم الطبية فى فصول خاصة ، كما أفردوه لأول مرة بالتأليف ، ومنها كتاب الحصبة والجدرى « للرازى » ، ومنها « سياسة الصبيان وتدبيرهم » للطبيب « ابن الجزار القيروانى » المتوفى سنة ٣٦٩ هجرية (٩٨٠م) وهو أول كتاب فى طب الأطفال ، ودراسة موضوعية مركزة تسلك مسلك الأختصاص كما يتصوره الطب المعاصر . ومنها كتاب «خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين » « لعريب بن سعد » الطبيب الكاتب المؤرخ الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) بالأندلس .

وبحث الأطباء العرب فى موضوع المولودين لسبعة أشهر ، وطرق العناية بالمولود ، وتغذية الأطفال والنمو الطبيعى عندهم ، والتربية النفسية وطرقها ، وفى مختلف أمراضهم مثل الأسهال ، والربو ، وأمراض الأذن ، وشلل الأطفال، والحميات ، والتبول فى الفراش ، والحول عند الأطفال ، فوصفوا كل هذه الأمراض بإسهاب ودقة وشرحوا طرق علاجاتها .

ومن أهم منجزاتهم فى هذا المجال ممارسة التلقيح ضد الجدرى الذى كان معروفاً فى المغرب العربى ، ويقوم قريباً على نفس الفكرة التى يقوم عليها التلقيح الحديث قبل أن ينشر على يد أطباء الأنجليز .



★ لمحات من بعض علماء الطب العرب ★

★ حنين بن اسحق .

★ الفضل بن نوبخت .

★ يحيى بن البطريق .

★ قسطا بن لوقا .

★ ابن القف .

★ لسان الدين الخطيب الأندلسى .

★ عبداللطيف موفق الدين البغدادى .

★ خليفة بن أبى المحاسن الحلبى .

★ شرف الدين بن علي الحاج ألياس .

★ يوحنا بن ماسويه .

★ على بن عباس المجوسى .

★ على بن زين الطبرى .



* حنين بن أسحق *

هو « أبو زيد حنين بن أسحق العبادى » ، ولد بالحيرة (سنة ١٩٤هـ-٨٠٩ م) لأب مسيحى نسطورى كان يشتغل بالصيدلة ، تتلمذ على يوحنا بن ماسوية فى جند يسابور ، درس اللغه اليونانية ، ثم انتقل إلى البصره حيث أتقن اللغه العربية ، وأصبح يجيد أربع لغات هى السريانية ، الفارسية ، واليونانية والعربية ، وتوفى سنة ٢٦٥ هـ (٨٨٠ م) .

ولما عاد إلى بغداد اتصل بجبريل بن بتختيشوع طبيب المأمون الخاص الذى قربه من الخليفه ، وحصل على مخطوطات يونانية عديدة فى الطب والفلسفه وترجم قدرا كبيرا منها ورحل إلى كثير من البلاد هى العراق وسوريا وفلسطين ومصر للحصول على نوادر المخطوطات ونشط نشاطا نادرا فى ترجمة هذه المخطوطات ، فقد ترجم إلى السريانية خمسه وتسعين كتابا ، وترجم إلى العربية منها تسعه وثلاثين ، وكان يراجع ترجمة تلاميذه ، فأصلح ستة كتب مما نقل إلى السريانية ، ونحو سبعين كتابا إلى العربية ، كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التى كان قد ترجمها إلى السريانية بعض الأطباء الأقومين كما نقل عددا من كتب أبو قراط مثل كتاب « الفصول » مع تفسير جالينوس عليه والمترجم إلى السريانية والعربية وكتاب « الكسر » وكتاب « الخلع » وتقدم المعرفة وتدبير الأمراض الحادة ، وكتاب فى القروح وكتاب جراحات الرأس ، وكتاب الأبيديا ، وكتاب الأمراض الوافدة ، وكتاب فى الأخلاط ، وكتاب الأهوية ، والمياه ، والبلدان ، وكتاب الغذاء ، وكتاب طبيعة الانسان وكتاب الكنانيش لأورويباسيوس وكتابه إلى أونابيوس وكتاب السبع مقالات لبولس الأجنبطى ، والمادة الطبية « لديسقوريدس » ، وكلها كتب ضخمة وذلك بالأضافة إلى الكتب الفلسفية لأرسطو ، وأفلاطون . وكان حنين بن اسحق إلى جانب ذلك طبيباً ماهرا ، أمتاز بمعالجة أمراض العين وقد أورد ابن أبى أصيبعة أكمل قائمة لمؤلفاته العربية وهى تزيد مائة كتاب فى مختلف فروع الطب منها كتاب العشر مقالات فى العين : يذكر فى الست الأولى منها طبيعة العين وتركيبها ، وطبيعة الدماغ ، ومنافعه والعصب الباصر ، والروح الباصر ، وجملة

الأشياء التى لابد منها لحفظ الصحة واختلافها ، وأسباب الأمراض الكائنة فى العين . ويذكر فى الأربع مقالات الأخيرة قوى جميع الأدوية عامة ، (السابعة) أجناس الأدوية للعين خاصة وأنواعها ، (الثامنة) مداواة أمراض العين ، (التاسعة) وفى المقالة العاشرة الأدوية المركبة الموافقة لأمراض العين ، كما ذكر القوى المختلفة للأدوية والمصطلحات الداله على ذلك ، ويتحدث حنين فى المقالة الثامنة عن أدوية العين ، وأجناسها ، وفنون استعمالها .

كما يذكر فى المقالة العاشرة مثلا طرق تحضير الأدوية المركبة لعلاج أمراض العين ، فيتكلم عن تحضير مراهم العين (الشيافات) وأورد قائمة بأربعين مركبا منها وأربعة أكملها نقلها عن الأطباء اليونانيين . وقد أورد أمثلة وافية لهذه المركبات فثمة صفة الشياف منجح يسكن العلة من يومه ، ويحلل الورم من ساعته فيذكر المقادير المختلفة ، ويقول تعجن هذه الأدوية بماء الورد ، ويستعمل الشياف ببياض البيض وصفة الشياف الذى يقال له ليبيانون ينضح من الاحتراف ، والمدة الكامنه فى العين ، ونؤ الطبقة العينية فى القروح ، وبعد أن يذكر المقادير يقول تسحق الأدوية بالماء . وله كتاب آخر فى العين عنوانه كتاب (المسائل فى العين) ، وهو ثلاث مقالات ومحرر على طريقة السؤال والجواب ، ألفه كوكدية داوود ، واسحق وبه مائتان وتسع مسائل - أما كتابة المسائل فى الطب فهو عبارة عن مقدمة للطب العام على شكل أسئلة وأجوبة وقد أحصى لحنين ٤٧ كتابا فى الطب . كما أن له كتب أخرى كثيرة فى المنطق ، والنحو وغيره ، وقد اعتبره « لوكير » أقوى شخصيه أنجبها القرن التاسع ، بل من أشد الرجال فى التاريخ ذكاء ، وأحسنهم خلقا ، فنطاق بحوثه الشاسع الأطراف ، واختلاف أنواعها وامتيازها وأهميتها ، مما يجعله على القمة من حيث المشاركة الفعاله فى بعث النهضه فى الشرق العربى .

وأكثر تراجمه كانت « لبنى موسى بن شاكر » وقد ذكر « ابن النديم » طرفاً من مؤلفاته منها كتاب « أحكام الأعراب » على مذاهب اليونانيين ويقع فى مقالتين ، وكتاب « المسائل فى الطب » وكتاب « الأغذية »، وكتاب «معرفة أوجاع المعدة وعلاجها » .

يعتبر كتاب « المقالات العشر فى العين » الذى ألفه (حنين بن أسحق) أقدم كتاب فى طب العيون مزود بالرسوم التوضيحية لتشريح العين وقد بلغت الرسوم درجة كبيرة من الدقة ، وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية ، ويعتبر دعامة لطب العيون فى أوروبا ، وقد ترجمه « قسطنطين الأفريقى » فى القرن السادس عشر الميلادى ولكن للأسف نسبه إلى نفسه .

كان حنين طبيباً بارعاً ومترجماً عظيماً ، وطلب منه الخليفة المأمون نقل التراث اليونانى إلى العربية ، وقد عين رئيسا للأطباء بعد تأليف الكتاب ، ويقال أنه ألف الكتاب فى مدة طويلة تبلغ عشرين عاما .

كذلك قام (حنين بن أسحاق) بتصحيح ترجمة كتاب (الحشائش) للعشاب اليونانى ذائع الصيت (ديسقور يدس) الذى ترجمة (إصطفان بن باسيل) فى أيام الخليفة العباسى المتوكل بالله . وقد صاحب (ديسقور يدس) الجيش فى حملاته فتعرف على الأعشاب والنباتات المختلفة فى أمكانها الطبيعية ،ويحتوى الكتاب على أكثر من وصف ستمائة عشبة وعودا من الأدوية المعدنية والزيوت والدهون ، ولكتاب « ديسقور يدس » شأن كبير فى تصوير الأعشاب خاصة وفى تاريخ التصوير عامة .

* الفضل بن نوبخت *

هو « أبو سِهل الفضل بن نوبخت » فارسى الأصل وكان فى خزانة الحكمة أيام هارون الرشيد . نقل كتباً من الفارسية إلى العربية ، منها كتاب « الفأل النجمى » وكتاب « التشبية والتمثيل » ، وكتاب « المنتحل من أقاويل المنجمين » وغيرهم .

* يحيى بن البطريق *

هو « أبو زكريا يحيى بن البطريق » مترجم مشهور فى أوائل القرن الثالث الهجرى ، ترجم كتاب الحيوان ، وتلخيصا لكتاب النفس وكتاب «العالم» لأرسطو ، وترجم كتب « أبو قراط » فى الطب ووصفه « القفطى » فى « أخبار الحكماء » بالأمانة فى النقل .

★ قسطاً بن لوقا ★

قيل أنه يونانى نصرانى ظهر فى سنة ٩٠٠ م ، وهو من (بعلبك) بلبنان ويقول «ابن النديم» صاحب كتاب «الفهرست» بعد أن ترجم «لحنين بن اسحق» قبل « قسطا » ، « وكان من حقه ، أى من حق قسطاً أن يقدم على حنين لفضله ونبله وتقدمه فى صناعة الطب ، ولكن بعض الأخوان سأل أن يقدم «حنين » عليه ، وكلا الرجلين فاضل ، وكان قسطاً بارعاً فى علوم كثيرة منها الطب ، والفلسفة والهندسة ، فصيحاً باليونانية ، جيد العبارة بالعربية ، وتوفى بأرمينية عند بعض ملوكها بعد أن ترجم كتبا كثيرة فى الطب وترجم كتاب «صناعة الجبر » للعالم اليونانى « ديوفنطس » (Diophantus) .

★ ابن القف ★

تمكن الطبيب العربى « ابن القف » المتوفى سنة ٦٨٥ هجرية (١٢٨٧م) من الوصف الدقيق لوظائف القلب .

وكان « ابن القف » من أشهر الجراحين فى المشرق العربى وقد ألف كتاب « العمدة فى الجراحة » وشرح فيه جراحة الأنف والأذن والحنجرة بصفة خاصة .

★ لسان الدين الخطيب الأندلسى ★

أثبت الوزير الطبيب « لسان الدين الخطيب الأندلسى » (المتوفى سنة ٧٧٦ هجرية / ١٣٧٤م) أن مرض الطاعون ينتشر بواسطة العدوى .

★ عبد اللطيف موفق الدين البغدادى ★

من الذين أضافوا جديداً إلى ما كان يعرف سابقاً عن تشريح الهيكل العظمى « عبد الطيف موفق الدين البغدادى » المتوفى سنة ٦٢٩ هجرية (١٢٣١م) الذى درس أكثر من ألفى جمجمة بشرية فى مصر ، وأكد بعد ذلك أن الفك الأسفل قطعة واحدة وليس قطعتين كما قال جالينوس ، وأثبت ذلك فى كتابه المشهور « الإفادة والأعتبار » ، وملحوظته القيمة بهذه المناسبة تكشف

عن المنهج العلمى السليم عند المسلمين إذ قال : « فإن جالينوس وإن كان فى الدرجة العليا من التحرى والتحفظ فيما يباشره ويحكيه ، فإن الحس (أى المشاهدة) أصدق منه » .

* خليفة بن أبى المحاسن الحلبى *

هناك كتاب « الكافى فى الكحل » « لخليفة بن أبى المحاسن الحلبى » الذى أشتهر فى سوريا فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ووصف فيه الآلات المستعملة فى جراحة العين ، ووصف عمليات (الكتراكت) وصفاً دقيقاً وبعناية فائقة ، وكان واثقاً من نفسه ، ومن حنكته فى هذه العمليات حيث أنه كان لايتردد فى إجراءها على مريض بعين واحدة .

* شرف الدين بن على الحاج الياس *

هناك كتاب « الملكى » فى الجراحة يسمى (الجراحة الكتبية) الذى ألفه الطبيب التركى الشهير (شرف الدين بن على الحاج الياس) فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وبه رسوم كثير من الآلات الجراحية والعمليات الجراحية وصور للأطباء والمرضى ، ويعتبر من أحسن المراجع المتأخرة ، وقد أستقى كثير من معلوماته من كتاب التصريف « للزهراوى » .

* يوحنا بن ماسويه *

كان طبيباً مشهوراً من أطباء (جنديسابور) هاجر إلى بغداد فى أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ، وأنشأ بها بيمارستانا ، ثم جعله الخليفة المأمون (٢١٥ هجرية) (٨٣٠ م) رئيساً لبيت الحكمة ، وكان أستاذاً « لحنين بن أسحق » وتوفى سنة (٢٤٣ هجرية) (٨٥٧ م) ، ومن مؤلفاته كتاب « دفع ضرر الأغذية » و « كتاب الأسهال » ، و « كتاب الصداع » ، و « كتاب الدوار » وكتاب « لماذا أمتنع الأطباء عن علاج الحوامل فى بعض شهور حملهن » ، وكتاب « محنة الطب » وكتاب « الفصد والحجامة » .

* على بن عباس المجوسى *

هو على بن العباس المجوسى ، يقول عنه القفطى أنه طبيب فاضل كامل ، وهو فارسى الأصل ، صنف كتابا اسماه الملكى ، وهو المعروف بكامل الصناعة الطبية مال الناس اليه فى وقته ولزموا درسه إلى أن ظهر كتاب القانون لابن سينا فمالوا إليه وتركوا الملكى جزئيا ، والملكى فى العمل أبلغ والقانون فى العلم أثبت .

ولد المجوسى بالأهواز ببلاد فارس ولم يذكر أنه ألف غير كتاب الملكى الذى يتألف من جزأين ، يشتمل الأول على عشر مقالات ، الأولى عن الأمزجة والطبائع ، والاخلاط ، والثانيه والثالثه فى التشريح والرابعه فى الهواء والرياضه ، والحمام والأغذية والست الباقية فى أسباب الأمراض وأعراضها وعلاماتها .

وكانت المقالتان الثانيه والثالثه المرجع الرئيسى لعلم التشريح فى سالرفو بايطاليا ، وفى غيرها فى المدة بين عامى ١٠٧٠-١١٧٠م وقد حوت مقدمة الملكى نقد الاساطين فى الطب اليونانى والعربى مثل أبقراط وجالينوس ، وأوريباسوس ، وبولس الايجنطى والرازى فقال أبقراط يميل إلى الإيجاز والغموض وأن جالينوس يميل إلى التوسع والتطويل وإلى قلة عناية وأن أوريباسوس وبولس الايجنطى يميل إلى التشريح .

وقال أن كتاب الحاوى للرازى أن ضخامته وتكاليفه تجعل الحصول عليه مطلبا وعرا . ونقد المنصورى فى التشريح للرازى بشدة الاختصار .

ويقول المجوسى فى كتابه « الملكى » ومما ينبغى لطالب هذه الصناعة أن يكون ، ملازما للبيمارستانات ، ومواضع المرضى وكثير المداولة لأمورهم وأحوالهم مع الأستاذة الحذاق من الأطباء ، كثير النقد لأحوالهم والأعراض الظاهرة فيهم ، متذكرا لما كان قد قرأه من تلك الأحوال ، ومما يدل عليه من الخير ، والشر ، ويتألف الجزء الثانى من عشر مقالات ، مقصورة على المداواة وطرق العلاج ، وتختص الأخيرة بالصيدلة وتقع فى ثلاثين بابا ، ويتميز بلغته

وسلاسته ودقته . وتختص احدى مقالاته بالأدوية المفردة وامتحانها ومنافعها ، فيذكر الطرق التي يستدل بها على قوة الدواء من التجربة على الأبدان والأمراض وامتحان الدواء من سرعة استحالتها ، وعمرها ، ومن سرعة جموده ، ومن طعمه ورائحته ، ولونه . ومعرفة قوى الأدوية ، والمسكنه للأوجاع ، والمفتته للحصى ، والمدره للبول والمدره للطمث ، والمدره للبن .

وفى تقسيم الأدوية المفرده وصفه كل واحد منها فى قوته وصنعته يتحدث عن الأدوية النباتية ذاكرا الحشائش وقوتها ، وكذلك البذور والحبوب ثم الأوراق والانوار (الأزهار) ثم الثمار ، والأدهان والطبائع والعصارات والصموغ والأصول .

كما يتحدث عن الأدوية ، فيذكر أنواع الطين ، والحجارة ، والملح وأنواعه والزاج وأصنافه والاحساد المعدنيه وغيرها من المعدنيات . ويورد فى الأدوية الحيوانية منافع المراره والأبوال ، والأزبال ، وأعضاء الحيوان .

وفى إحدى المقالات يتحدث عن الأدوية المركبة ويقسمها إلى أبواب منها :

١- فى السبب الذى من أجله احتاج الأطباء إلى تأليف الدواء المركب .

٢- فى ذكر القوانين والدستوارت التى يعمل عليها فى أوراق الأدوية التى يعمل منها الدواء المركب .

٣- فى تدبير الأدوية المفردة ، وكيفية استعمالها ، وفى الغائها فى الدواء المركب فى عمل المعجونات .

٤- فى صفة منافع الترياق وعلل منافعه وامتحانه ومقدار الشربه منه فى كل مرض .

٥- فى مقدار مايبقى من الترياق وغيره من الأدوية والمعجونات من الزمان وفعله باق .

٦- فى عمل ترياق الأربعة والأدوية وسائر المعجونات .

٧- فى المعجونات المسهله .

٨- فى صفة المطبوخات المسهله وغيرها من المنقوعات والأصول .

٩- فى صفة الحقن والفتائل .

١٠- فى صفة الحبوب .

١١- فى أدوية القىء .

١٢- فى ذكر اللعوقات .

١٣- فى ذكر الأدهان .

١٤- النبرورات التى تلصق الجراحات .

١٥- فى صفة المراهم وطلى الأورام .

١٦- فى صفة الأكحال .

١٧- فى صفة الشيافات .

١٨- فى أدوية الرعاف .

١٩- فى صفة الأضمدة .

٢٠- فى صفة الأقراص .

٢١- فى صفة السفوفات .

٢٢- فى صفة الأشربه والربوب .

٢٣- فى السنونات وأدوية الفم واللهاه ، والخوانيق ، والغرغرات .

٢٤- فى أدوية الكلف والبهق ، والبرص ، والجرب ، والحكه ، والقمل ، والسعفه .

٢٥- فى وصف الأدوية المسهله .

٢٦- فى الجوارشات .

٢٧- فى الأنيجات والمربيات .

٢٨- فى أدوية السمنه .

٢٩- فيما يقطع شهوة أكل الطين والشهوات الرديئة من ذلك .

وهكذا فأن المجوسى يستقصى أنواع الأدوية المختلفة وكيفية اعدادها ومقدار جرعاتها وكيفية تناولها ، وقد تمكن من وصف الأغشية القلبية ووظائفها وأتجاه فتحاتها .

وكان لكتابه « كامل الصناعة فى الطب » شهرة كبيرة فقد توخى فى كتابه أن يسلك مسلكاً وسطا بين الحاوى ، والمنصورى ، متجنبا اسهاب الأول ، وايجاز الثانى وتوفى المجوسى سنة ٩٩٤م . (٣٨٣ هجرية) .

★ "على بن سهل بن زين الطبرى" ★

ولد بمدينة مرد من أعمال طبرستان سنة ٧٧٠م ، وقد فسر فى أول كتابه « فردوس الحكمه » معنى « زين » : فقال كان أبى من أبناء كتاب مدينة مرد وذوى الأحساب والآداب بها ، وكانت له همه فى ارتياد البر وبراعة ونفاذ فى كتب الطب والفلسفه وكان يقوم الطب على صناعة آبائه ، ولم يكن مذهبه التمدح والاكتساب بل التأله والأحتساب ، فلقب لذلك بزين وتفسيره عظيمنا ومعلمنا .

قام والده بتثقيفه وتعليمه ، علمه اللغه العربية والسريانية والعبرية ، وقليلاً من اليونانية ، وعلوم الطب والهندسه والفلسفه .

بعد فراغه من التعليم انتقل من طبرستان إلى العراق حيث أقام ، واخذ يتطبب فيها ، وفى تلك الأثناء راجع أهم الكتب فردوس الحكمه . ثم انتقل الى طبرستان فى خدمة أميرها ثم توجه الى الرى وعاد فيها إلى التطبيب ثانياً وهنا أخذ أبو بكر الرازى يقرأ عليه الطب ، ثم تولى الكتابه فى ديوان المعتصم، ولما تولى المتوكل الخلافة دعاه إلى الاسلام فاعتنقه وتوفى بعد سنة ٨٥٠ م ، وقد عاصر « على بن زين الطبرى » « حنين بن إسحاق » .

وقد ذكر «ابن النديم » فى « الفهرست » عددا من تأليفه هى :

١- تحفة الملوك .

٢- فردوس الحكمه .

٣- كناس الحضره .

٤- كتاب منافع الأدوية والأطعمه والعقاقير .

٥- كتاب فى الأمثال والأدب على مذهبا الروم والعرب وأضاف اليها ابن أبى أصيبعه فى كتابه « طبقات الأطباء » .

٦- كتاب عرفان الحياه .

٧- كتاب حفظ الصحه .

٨- كتاب فى الرقى .

٩- كتاب فى ترتيب الأغذية .

١٠- كتاب فى الحجامه .

١١- كتاب أخبار الأمم والملوك .

ويعتبر كتاب فردوس الحكمه من أهم كتبه ، وذلك من الوجهه الطبيه والصيدلية وهو أقدم كتاب جامع لفنون الطب والصيدله وصل الينا من كتب العلماء العرب ، قد اعتمد على أهم الكتب الطبية المتقدمة والمعاصرة له ، وقد عبر الطريق لمن اكتفى أثره من أمثال ابوبكر الرازى ، وعلى بن عباس المجوسى وابن سينا .

وقد أورد المضيف من مقاله منه كليات الطب الهندسى ومعالجته من كتب شاراكا وسوروتا ، ونيدانا ، واشتا نقريردى ، وقد طبع الكتاب العالم الهندسى الدكتور/ محمد زبير الصديقى عام ١٩٢٨ فى حجم متوسط بلغ ٦٠٠ صفحة وزيادة . وقد رتب كتابه على سبع أنواع أى أقسام من العلم الطبى والصيدلى فى ثلاثين مقاله جمعها فى ٣٦٠ بابا منها الأول - مقاله واحدة فى بعض المعانى الفلسفيه والمقالات والطبائع والكون والفساد . والثانى - خمس مقالات تعرض لعلم الجنين والولادة ووظائف الأعضاء فى النفس والبدن ومزاجات الأبدان وتربية الأطفال ، وتدبير الفصول والأسفار والعساكر . الثالث - مقالة واحدة

ى الاغتذاء وأنواع التغذية . الرابع - اثنتا عشرة مقاله ، وهو أكبر قسم فى لكتاب يتناول فيه الأمراض بصفة عامة ثم الأمراض الخاصة فيدرس أسبابها وعلاجها مبتدئا من الرأس حتى القدم وينتهى بمقاله فى الفصد والحجامه وفحص البول .

الخامس - مقاله واحده فى المذاقات والروائح والألوان .

السادس - ست مقالات خاصه بالمادة الطبية والسموم .

السابع - أربع مقالات فى البلدان والمياه والرياح والأفلاك والكواكب وينتهى بذكر ملخص فى كتب الهند الطبية .

وقد درس القسم السادس من المادة الطبية الحبوب وقوى البقول والثمار والألحام والألبان والأجبان ، والأسماك ، والأدهان ، والأشربه ، والأقشرجات (العصارات) والمربيات والخل ، والحلاوات والأملاح والاباريز والرياحين وأفاوية الطب ، والثياب والغراء ، وخصص المقالة الثانية من هذا القسم للمادة الصلبة وهى خمس أبواب :

الأول - فى الأدوية المفردة والعقاقير .

الثانى - فى الصموغ والأشياء المتجلبة من الأرض .

الثالث - فى الأصداف والأشياء المعدنية والدخان والرماد والزاج .

الرابع - فى قوى الأرض والطين المختوم .

الخامس - فى إصلاح الأدوية وحفظها .

أما المقالة الثالثه فتحتوى على باب واحد فى قوى الأدوية المسهله واصلاحها . والرابعه وهى اثنتان وأربعون بابا مخصصه لمنافع أعضاء الحيوانات.

والخامسه بها بابان فى السموم وعلاماتها وعلاجها .

والسادسه : تشتمل على ثمانية أبواب فى الأدوية المركبة والترياقات والأقراص والجوراشات والربوب والأشربه والأدهان والمرهمات .



* خاتمة الكلمات نحو النور *

* سيل فى الوادى ... بدايةالطريق *

* المراجـع العربيـة والأجنبيـة

● خاتمة الكلمات نحو النور ●

"الحق أمانة ، والخلق كرامة ، والحرية كلمة ، والكلمة فكر وضمير ، والضمير قلما منصفاً مسئولاً أمام الله سبحانه وتعالى المنصف الحكيم الجبار"

على الدجوى

الخــاتمة

سيل فى الوادى ...... بداية الطريق

وأخيراً .... وقد آن للملاح أن يسلم المجداف للقارىء العزيز كى يسبر أغوار الكلمات مستخلصاً لنفسه المعنى والعبرة إن كان فيها مايفيد وينفع .... أقول هذا ولزاماً على أن أذكر وأوضح نقطة هامة تصل بنا إلى الغاية المنشودة من التأريخ العلمى ، وهى أننا لايكفى أن ندرس علماء العرب من خلال مؤلفاتهم ، بل من خلال العصور التى شبوا فيها وظروفهم من الناحية الأجتماعية والعلمية والأستقرار السياسى ، ثم نحكم عليهم أولهم ، ولايكفى فقط أن نسرد جزءاً من أقوالهم بدون مقابلاته فى العلم الحديث ، ولكن واجبنا تحليل وتفصيل كل ذلك وربطه بالعلم الحديث .

لقد كان العرب هم الوصلة الحضارية بين اليونان والأوربيين مع نقل حضارة العرب أنفسهم . فيجب علينا اليوم وصل العلم الحديث بالعلم العربى حتى نتفهم الحاضر قبل تفهم الماضى ، ولجعل من تلك النقطة منطلقاً إلى الجديد ، وذلك مما يؤيده كلمات المؤرخ الأيطالى « بندتوكروتشى » التى تصدرت صفحات هذا الكتاب .

وبعد .... من بحث فقد أستهدف ، فإن أحسن فقد أستعطف ، وإن أساء فقد أستقذف.، فإن أحسنت فإن الفضل لأفاضل من أرتشفت من منهلهم العذب، وإن أسأت فذلك دأب العاجز ،

ولا أدعى الكمال ، فالكمال لله وحده ، ولكنى أبغى الأجادة ، وهى غاية صعبة الوصول ، وما تمام العلم إلا لمن علم الإنسان مالم يعلم ، وفى يقينى بأن المكتبة ينبوع العرفان ، وهذاماحاولت فعله اليوم لأضيىء شمعة جديدة تسهم فى هذا الينبوع .

المؤلف

على الدجوى

* المراجع العربية والمراجع الأجنبية *

مسلسلة أبجدياً

* المراجع العربية *

[أ]

(١) أسامة أمين العطار (دكتور) -
الغذاء الكامل أساس الصحة .
(٢) البيرونى -
الجماهر فى معرفة الجواهر .
(٣) البيرونى -
القانون المسعودى فى صناعة التنجيم
(٤) ابن القفطى -
أخبار العلماء بأخبار الحكماء
(٥) ابن أبى أصيبعة -
طبقات الأطباء -
(٦) أرفنج أدلر
العيون فى العلم .
(٧) ابراهيم ميخائيل (مترجم) -
تاريخ العالم .
(٨) البرت لطيف (دكتور) -
الكيمياء العضوية .
(٩) ابن خلكان -
وفيات الأعيان -
(١٠) (المجموعة الثالثة)
أعلام الثقافة العربية ونوابغ الفكر البشرى .
(١١) أحمد عيسى (دكتور) -
معجم الأطباء .
(١٢) أمام ابراهيم أحمد (دكتور) - عالم الأفلاك .
(١٣) أحمد حسنين القفل (دكتور) ، وبكير عباس عطيفة (دكتور) -

أصول علم الحيوان الأقتصادى .
(١٤) أحمد كامل عزب (دكتور) - علم الحشرات العام .
(١٥) أسماعيل مظهر (مترجم) - تاريخ العلم .
(١٦) أرفنج أدلر - أدوات العلم .
(١٧) البيرونى - التفهيم فى أوائل صناعة التنجيم .
(١٨) ألدو ميبلى - العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم الغربى .
(١٩) أبى العباس أحمد بن على البونى - منبع أصول الحكمة .
(٢٠) أمين رويحة (دكتور) - التداوى بالأعشاب .
(٢١) أبو الفتوح التوانسى -
من أعلام الطب العربى -
(٢٢) أنور الجندى (دكتور) -
أضواء على الفكر العربى الأسلامى .
(٢٣) أحمد زكى باشا -
الفراعنة عرب عرباء .
(٢٤) أسكندر موند هو مبدلت -
الكون الكبير .
(٢٥) الحلقة المفقود فى تاريخ العرب (مترجم)
(٢٦) أحمد سعيد الدمرداش (دكتور) -
حل الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى للبيرونى .
(٢٧) أحمد فؤاد الأهوانى (دكتور) -
القومية العربية .
(٢٨) أمام إبراهيم أحمد (دكتور) -
تاريخ الفلك عند العرب .
(٢٩) أحمد فؤاد الأهوانى (دكتور) -
الفلسفة الأسلامية .
(٣٠) أحمد محمود الحوفى (دكتور) -
البطولة والأبطال .

(٣١) البيرونى - رياض الفكر والعقل فى أستخراج ما فى قوة الأسطرلاب إلى الفعل .
(٣٢) أحمد محمود الحوفى (دكتور) -
الجاحظ .
(٣٣) أرنولد توينيبى (دكتور) -
العالم والغرب .
(٣٤) أحمد فؤاد الأهوانى (دكتور) -
الكندى فيلسوف العرب .

[ب]

(١) أ. بدوى (دكتور) (ترجمة) -
أثر التراث اليونانى فى الحضارة الأسلامية .
(٢) برنارد جافى - بواتق وأنابيق .
(٣) بول كراوسى - رسائل جابر بن حيان .
(٤) بول غليونجى - طب وسحر .
(٥) بول غليونجى - الطب عند الفراعنة .
(٦) بول غليونجى - العلاج الشعبى والطب الحديث .
(٧) البستانى - دائرة معارف البستانى .
(٨) برنارد لويس (دكتور) - العرب فى التاريخ .
(٩) بريس دافن - الفن العربى .
(١٠) بول غليونجى (دكتور) - ابن النفيس .

[ج]

(١) جورج وهبه العفى (دكتور) - الصيدلة علم وفن وأنسانية .
(٢) جوستاف لوبون -حضارة العرب .
(٣) جواشون - فلسفة ابن سينا .
(٤) جوستاف جروينباوم - الحضارة الأسلامية .
(٥) جورج سارتون (دكتور)- تاريخ العلم (مترجم) .
(٦) جوستون بوتول -ابن خلدون - (فلسفته الأجتماعية) .

(٧) جمال حمدان (دكتور) - شخصية مصر (دراسة فى عبقرية المكان) -

[ح]

(١) حاجى خليفة - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون .
(٢) حسن محمد سالم (دكتور) - الكيمياء الحيوية الفسيولوجية .
(٣) حسن صادق (دكتور) - الجيولوجيا .
(٤) حسين فوزى النجار (دكتور) - التأريخ والسير .
(٥) حيدر بامات - مجالى الأسلام .
(٦) حسن الأشمونى (دكتور) -
التعبئة الروحية فى بناء المجتمع
(٧) حسن أحمد محمود (دكتور) -
الكندى المؤرخ .

[خ]

الخوارزمى (أبى عبدالله بن يوسف) -
مفاتيح العلوم

[د]

(١) دائرة معارف الشعب - الجزء (٤٣) .
(٢) دائرة معارف الشعب - الجزء (٤٦) .
(٣) دائرة معارف الشعب - الجزء (٤٩) .
(٤) دل ديوارنت (دكتور) - قصة الحضارة .
(٥) دائرة المعارف الأسلامية .
(٦) داود الأنطاكى - « تذكرة أولى الألباب » المشهورة بأسم (تذكرة داود).
(٧) ديلاس أولدى - الفكر العربى ومكانه فى التاريخ .
(٨) درابر - تاريخ الأرتقاء العقلى فى أوربا .
(٩) دراسات تاريخية فى النهضة العربية .

[ذ]

(١) ذكى نجيب محمود (دكتور) - جابر بن حيان .

(٢) ذكى مهدى (دكتور) - تنسيق الحدائق .
(٣) ذكى نجيب محمود (دكتور) - الشرق الفنان .

[ر]

(١) الرازى - رسائل فلسفية .
(٢) روحى الخالدى - الكيمياء عند العرب .
(٣) الرسالة (أعداد مختلفة) .
(٤) روم لاندو - الأسلام والعرب .

[س]

(١) سيديو - خلاصة تاريخ العرب العام .
(٢) ساطع الحصرى - دراسات على مقدمة ابن خلدون .
(٣) سيديو - الفلك العام .
(٤) سليمان الحكيم (دكتور) الأزهار .
(٥) سيد جلال (دكتور) أنتاج المحاصيل (محاضرات) .
(٦) سيجرد هانك - شمس الله تسطع على الغرب
(٧) ساطع الحصرى (دكتور) - مجلة التربية والتعليم .
(٨) ساطع الحصرى (دكتور) - أراء وأحاديث اللغة والأدب .
(٩) سليم زبال - صيد اللؤلؤ .

[ش]

شهاب الدين أبو العباس أحمد التيفاس -
أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار .

[ص]

(١) الصفدى - الوفاء بالوفيات .
(٢) صلاح أبو النصر وآخرين (دكتور) -
الحشرات الأقتصادية .

[ط]

(١) الطب للشعب (مجموعة من العلماء) - دار الشعب .

(٢) طه حسين (دكتور) - فصول مختارة من كتب التاريخ .

[ع]

(١) عبد القادر حمزة - على هامش التاريخ المصرى القديم .

(٢) على الدجوى - أثر المسلمين فى الكيمياء (مسابقة المجلس الأعلى للشئون الأسلامية) .

(٣) على الدجوى - ابن سينا (مسابقة المجلس الأعلى للشئون الأسلامية) .

(٤) على الدجوى - جابر بن حيان (مسابقة المجلس الأعلى للشئون الأسلامية)

(٥) على الدجوى - أبو الريحان البيرونى (مسابقة المجلس الأعلى للشئون الأسلامية) .

(٦) عمر فروخ (دكتور) - عبقرية العرب فى العلم والفلسفة .

(٧) عبدالرحمن الناصر - المبادىء فى الكيمياء .

(٨) عباس محمود العقاد - ابن رشد .

(٩) عباس محمود العقاد - أثر العرب فى الحضارة الأوربية .

(١٠) عبد الفتاح عاشور (دكتور) - نصيب العرب فى تقدم العلم والحضارة.

(١١) العمرى - مسالك الأبصار فى أخبار ملوك الأمصار .

(١٢) عبدالخالق وفا (دكتور) - نحل العسل .

(١٣) عزالدين فراج (دكتور) - الخضروات .

(١٤) عباس محمود العقاد - الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين.

(١٥) عبدالرزاق نوفل - المسلمون والعلم .

(١٦) عبدالرزاق نوفل - الأسلام والعلم الحديث .

(١٧) عبدالفتاح أحمد الشاذلى - الفيزيقا .

(١٨) عبدالله زين العابدين (دكتور) - أسس علم الأراضى .

(١٩) عبدالله هنيدى (دكتور) ، على عجيزة (دكتور) طبيعة الأراضى ، وكيمياء الأراضى (محاضرات) .

(٢٠) عبدالمحسن صالح (دكتور) - الميكروبات والحياة .

(٢١) علم الحيوان العام - (مجموعة من الأساتذة من جامعات مصر) .

(٢٢) عبدالحميد سماحة (دكتور) الفلك والحياة .
(٢٣) عبدالرحمن زكى (دكتور) -
الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ .
(٢٤) عمر فودة (دكتور) وآخرين -
أ) الصناعات الزراعية (محاضرات) .
ب) الصناعات الغذائية (محاضرات) .
(٢٥) عبدالله حسن (دكتور) ، هلال الحطاب (دكتور)
زراعة المحاصيل المصرية (محاضرات) .
(٢٦) عثمان الكعال - كتاب البربر .
(٢٧) عمر فروح (دكتور) - ابن الرومى .
(٢٨) على الدجوى - التكنولوجيا الزراعية والعلاج النباتى .
(٢٩) عبدالعزيز جادو - الطريق إلى النجاح .
(٣٠) عبدالرحمن فهمى محمد (دكتور) -
النقود العربية ماضيها وحاضرها .
(٣١) عبدالرحمن صدقى -
الشرق والأسلام فى أدب جوته .
(٣٢) على عبد الواحد وافى (دكتور) -
عبد الرحمن بن خلدون .
(٣٣) على الدجوى -
فول الصويا ومشكلات التغذية فى مصر ، ودول العالم الثالث (دراسة منشورة) .
(٣٤) عبد العليم شوشان (دكتور) -
نباتات الزينة .
(٣٥) عز الدين رشاد (دكتور) -
النباتات الطبية والعطرية .
(٣٦) على الدجوى - أبصال الزينة فى هولندا .
(٣٧) على حسن شرارة (دكتور) -

أنتاج الألبان (محاضرات) -
كلية الزراعة - جامعة القاهرة .

[غ]

(١) غبريال وهبة - الكيمياء .
(٢) غبريال وهبة - الكيمياء فى خدمة المجتمع .

[ف]

(١) الفارابى - أحصاء العلوم .
(٢) فؤاد حسنين (دكتور) - أثر الشرق فى الغرب .
(٣) فتحى مصطفى الغزاوى (دكتور) - علم الحياة .
(٤) فتح الله الوكيل (دكتور) - أنتاج الزيوت (محاضرات) .

[ق]

(١) قدرى حافظ طوقان - تراث العرب العلمى .
(٢) قدرى حافظ طوقان - وجدتها .
(٣) قدرى حافظ طوقان - الخالدون العرب .
(٤) قدرى حافظ طوقان - العلوم عند العرب .
(٥) قدرى حافظ طوقان - مواقف حاسمة فى تاريخ العلم .

[ك]

كمال رمزى أستينو (دكتور) وآخرين .
أ) الخضروات . (جزء أول) .
ب) سياسة أنتاج وتسويق الخضروات المصرية . (جزء ثانى) .

[ل]

(١) لوثروب ستوارد - حاضر العالم الأسلامى .
(٢) لويجى بريناالدى - مجمل تاريخ العرب .
(٣) ل - فيتيس - التاريخ العام للموسيقى .

[م]

(١) محمود عبد الآخر (دكتور) - الكيمياء الحيوية .
(٢) محمد عبد الهادى أبو ريدة - رسائل الكندى الفلسفية .
(٣) مجموعة من المؤلفين العرب - رسالة العلم .
(٤) محفوظ أحمد غانم (دكتور) - الكيمياء المعدنية غيرالعضوية
(٥) مواقف حاسمة فى تاريخ العلم (مترجم) .
(٦) محمد فياض (دكتور) - الكيمياء الحديثة .
(٧) ماذا خسر العالم بأنحطاط المسلمين (مترجم) س . ت . وللر
(٨) محمد مفيد الشوباشى - العرب والحضارة الأوربية .
(٩) محمد غلاب - الفارابى وابن سينا .
(١٠) محمد محمد فياض (دكتور) - جابر وخلفاؤه .
(١١)مجلة أبحاث التغذية الأمريكية (أعداد مختلفة) .
(١٢) محمود يوسف الشواربى (دكتور) -
أ) أسس علم الأراضى .
ب) الأراضى والمجتمع .
جـ) الذرة فى خدمة الزراعة .
(١٣) محمد بن ابراهيم السنجارى (ابن الأكفانى) -
نخب الذخائر فى أحوال الجواهر .
(١٤) محرم كمال (دكتور) - مصر القديمة .
(١٥) محمد جمال الدين الفندى (دكتور) - قصة السموات والأرض .
(١٦) منبر الأسلام - المجلس الأعلى للشئون الأسلامية (أعداد مختلفة) .
(١٧) محمد جمال الدين الفندى (دكتور) - غزو الفضاء .
(١٨) محمد فهيم (دكتور) - ثروتنا المعدنية .
(١٩) محمد جمال الدين الفندى (دكتور) - الغلاف الهوائى .
(٢٠) المجلة (أعداد مختلفة) .
(٢١) المجلة الزراعية (أعداد مختلفة) .
(٢٢) مجلة الزراعيين (أعداد مختلفة) .

(٢٣) مجلة الفلاحة (أعداد مختلفة) .
(٢٤) مجلة (الصحيفة الزراعية) - (أعداد مختلفة) .
(٢٥) مجلة (الأرشاد الزراعى) - (أعداد مختلفة) .
(٢٦) مجلة (النباتات الطبية والعطرية) - (أعداد مختلفة) .
(٢٧) مجلة العربى - (أعداد مختلفة) .
(٢٨) مجلة تراث الأنسانية - (أعداد مختلفة) .
(٢٩) مجلة العلم - (أعداد مختلفة) .
(٣٠) مجلة الجمعية الصيدلية المصرية (أعداد مختلفة) .
(٣١) مجلة الجمعية العربية لتاريخ الصيدلة (أعداد مختلفة) .
(٣٢) محمد بكر أحمد (دكتور) وآخرين .
أ) فسيولوجيا النبات .
ب) فسيولوجيا النباتات الأقتصادية .
(٣٣) مجلة الجمعية المصرية للمحافظة على الثروات الطبيعية والحياة البرية (أعداد مختلفة) .
(٣٤) مجلة الجمعية المصرية لعلم الحيوان (أعداد مختلفة) .
(٣٥) مجلة النباتات الطبية والعطرية .
(٣٦) محمد مهدى العزونى (دكتور) -
أ) أساسيات أنتاج الفاكهة . ب) الموالح .
حـ) أنتاج وتسويق الفاكهة .
(٣٧) مصطفى لطفى (دكتور) -
النباتات الطبية والعطرية .
(٣٨) محمد ممتاز الجندى (دكتور) - أساسيات التغذية .
(٣٩) محمد عبد الرحمن (دكتور) - مرحبا .
(٤٠) محمد خلف الله (دكتور) - الأسلام والحياة المعاصرة .
(٤١) محمد زغلول سلام (دكتور) -
القومية العربية .
(٤٢) محمد بكير خليل - الثقافة الأجتماعية .

(٤٣) مصطفى محمد كامل - الشريف الأدريسى .

(٤٤) مصطفى الشهابى - الجغرافيون العرب .

(٤٥) مصطفى سويف (دكتور) - العبقرية فى الفن .

(٤٦) محمد مصطفى هدارة (دكتور) - المأمون (الخليفة العالم) .

[ن]

(١) نقولا زيادة - الرحالة العرب .

(٢) نللنيو - تاريخ علم الفلك عند العرب .

(٣) نجلاء عز الدين - العالم العربى .

(٤) نفيس أحمد - جهود المسلمين فى الجغرافيا .

[هـ]

(١) هربرت جورج ويلز -
موجز تاريخ العالم . (مترجم) .

(٢) هـ . س . بولون -
الكيمياء الحديثة (مترجم) .

(٣) هنرى جورج فارمر - تاريخ الموسيقى العربية .

[و]

(١) وليم نظير -
الزراعة القديمة .

(٢) وليم نظير -
تاريخ الزراعة الفرعونية .

[لا]

(١) لافيس ورامبو - التاريخ العام .

[ى]

(١) يوسف عبد الملك (دكتور) وآخرين -
البكتيرلوجيا الزراعية -

(٢) يوسف عبد الملك (دكتور) ، عبد الحميد الكردانى (دكتور) -
بكتيرلوجيا الألبان (محاضرات) -
(٣) يوسف والى ، جورج أستينو (دكاترة) -
أنتاج الفاكهة . (مجموعة نشرات) -
(٤) يوسف والى (دكتور) ، علاء بندق (دكتور) -
أنتاج الفاكهة المصرية (محاضرات) .
(٥) يوستاس تشسر (دكتور) -
أعرف نفسك .

[A]

- *Arthur Thomas,*
  Gardening in hot countries.

[B]

(1) Bailey, L.H.,
Manual of Cultivated plants.

(2) Bailey, L.H.,
The Standard Encyclopedia of Horticulture.

[D]

(3) Drar,
Student's Flora of Egypt.

[G]

(4) Genuther,
The essential oils.

[H]

(1) Holmyard, E.J.,
Chemistry of the time of Dalton.

(2) Harry Barron,
Agriculture as a source of raw material .

(3) Hayward, J.w., & G.B. Diser.
Soya protein as soya Flour and grits.

(4) H.G. Franks,
Home Truths about Bulbs.

(5) Horticulture Magazine (1966 - 1979) - u.s.A.

[M]

(1) Moore,
History of chemistry.

[N]

*(1) **Norman Taylor,***
The guide to the garden Flowers.

*(2) **Norman Tay lor,***
Taylor's Encyclopedia of gardening.

[R]

*(1) **Richard Sudell, F.il.A., F.R.H.S.***
odhams garden Encyclopedia.

*(2) **Ronald good,***
The geography of the flowering plants.

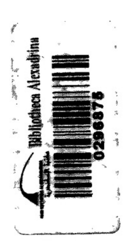
[S]

*(1) **Sarton,***
The History of Science.

*(2) **Soybean Digest*** (1960 - 1978) .



رقم الإيداع/ ٨٤٤٤ لسنة ١٩٩٧
الترقيم الدولى
I.S.P.N. 977 - 05 - 1543 - 4


Bibliotheca Alexandrina